موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية

(٤٨)

المروءة

الباحث الرئيسي ورئيس الفريق العلمي
أ.د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك

www.mtenback.com

دار رواح للنشر والتوزيع

ⓒ مرزوق بن صنيتان بن تنباك ، ١٤٢١ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية/مرزوق بن صنيتان بن تنباك ... [أخ]. الرياض.

٥٢ ج؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٨-٢٣٣-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٤٨)

١- الأدب العربي - موسوعات أ- ابن تنباك ، مرزوق بن صنيتان (م . مشارك)

ديوي ٨١٠,٣ ٢١/٢٠٧٨

رقم الإيداع : ٢١/٢٠٧٨

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٨-٢٣٣-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٤٨)

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس المحتويات

الموضـــوع	الصفحة
توطئة	٥
المروءة لغةً	٧
المروءة اصطلاحًا	٧
كلمة المروءة في الشعر	١٠
المروءة في الحديث النبوي والنثر	١٣
علامات المروءة ومظاهرها	١٨
اهتمام الإسلام بالمروءة	٢٣
الخلاف في تحديد مفهوم المروءة	٢٦
المروءة في أمثال العرب وحكمهم	٣٨
المروءة في أكمل صورها	٣٩
موازنة القدماء بين المروءة وبعض الأخلاق	٤٣
أركان المروءة	٤٧
المروءة شديدة التكاليف	٥٠
ما يخل بالمروءة ويهجنها	٥٣
الأهمية الأخلاقية للمروءة وسبل ترسيخها تربويًا	٦٠
الفهارس	٦٥

www.mtenback.com

فَإِذَا رُزِقْتَ خَلِيقَةً مَحْمُودَةً فَقَدِ اصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الأَرْزَاقِ

فَالنَّاسُ هَذَا حَظُّهُ مَالٌ وَذَا عِلْمٌ وَذَاكَ مَكَارِمُ الأَخْلَاقِ

حَافِظ إِبْرَاهِيم

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

توطئة:

كلمة «المروءة» من المفردات التي شاع استعمالها كثيرًا على ألسنة المتكلمين، وأقلام الكتاب في مختلف شؤون الحياة، قديمًا وحديثًا، لأنها تتصل بأحوال الإنسان وسلوكه وأوجُه تقلباته، ومطامحه، وعلاقاته الاجتماعية بمن حوله من الناس؛ بغض النظر عن صلته بهم.

والاهتمام بمفهوم المروءة يعكس اعتناء الناس عامةً وأشرافهم خاصة بما يحقق لهم المكانة المقبولة بين الناس ويُكسبهم طيب الذكر وحسن الحمد، كما يمنح نفوسهم شعوراً بالنبل واحترام الذات.

فللمروءة وجهان إيجابيان أحدهما فردي، على الصعيد الشخصي، يغذّي الإنسان صاحب المروءة بالمعاني السامية الرفيعة التي تصقل حِسّه وضميره وأخلاقه، وثانيهما اجتماعي يضمن التزام الفرد بقيم الجماعة فيحوز قبولها واعترافها به.

ولأن المروءة سمو في الفضائل وارتفاع إلى أعلى السلم الاجتماعي فإن التحلي بها ومحاولة اكتساب صفات النبل مطلب من مطالب الذات التي تحس بوجودها وتقدر مكانتها في المجتمع الذي يثمن عمل المرء ويقدر الفضائل ويحرص على أن يكون فيه مساحة واسعة للمروءة ومعالم وإشارات تدل على خصالها ومكانتها من هذه المعالم بذل الجاه في خدمة طالبيه والسعي في حوائج الناس ومساعدة الذين لا يكون لهم سبيل إلى من تكون حاجاتهم عنده، ومن علامات المروءة ودلائلها عون المحتاج والإسعاف في النوائب وبذل الجهد في النفع العام جذبًا له وتسهيلاً لطلبه وتقريباً للحصول عليه. ومن المروءة أن يكون الإنسان قدوة بنفسه وعمله لما يجب أن يذكره الناس فيه فيحمده العامة والخاصة عليه.

www.mtenback.com

والمروءة بعد ذلك معيار خطير يستخدم مؤشـــراته ودلالاتـــه عامـــةُ العقـــلاء والمفكرين، لفهم أحوال من يعاملون من الناس، وليصنفّوا طبائعهم وأخلاقهم في سُـــلّم الفضائل، الفردية والاجتماعية.

وفي مدخل لدرس المروءة في الثقافة العربية وآدابها، وتتبّع تجلياتها الواقعيـــة في حياة العرب وتطور دلالالتها؛ سنعرّج على مفهوم المروءة في اللغة والاصطلاح.

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

المروءة لغة:

الجذر اللغوي منها م، ر، أ. يقال مَرُؤَت الأرض، تَمْرُؤ، مراءةً: حَسُن هواؤها. فهي مرئيةٌ. ومَرُؤ فلانٌ مروءةً: صار ذا مروءة وإنسانية فهو مَرِيء. وتَمَرّأ فلان: صار ذا مروءة أو تكلف المروءة، والمرء: الرجل، فإن لم تأت بالألف واللام قلت: امرؤٌ. والأنثى مَرْأةٌ ومَرَةٌ[1]. والمروءة كمال الرجولة واجتماع خصال الفضائل في عمل المرء وقوله وسلوكه وكل ما يحمد فعله ويطلب مثله.

المروءة اصطلاحًا:

ولعل أقدم تعريف للمروءة، ما ذكره الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتاب العين - وهو أول معجم عربي للألفاظ يصل إلينا - حيث قال: «المروءة كمال الرجولية»[2].

وهذا التعريف نفسه ورد في «تهذيب اللغة» للأزهري[3]، والمُغرب للمطرزي[4]، ولسان العرب لابن منظور[5]، وأساس البلاغةوالزمخشري[6]. وورد تعريف

---

[1] المعجم الوسيط، ج٢، ص٨٦٠.

[2] الفراهيدي، الخليل بن أحمد: ترتيب كتاب العين، تحقيق: محمد مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي تصحيح: أسعد الطيب، إيران (د.ت) ج٣، ص٨٨٦١ (مادة: مرأ).

[3] الأزهري، أبو منصور: تهذيب اللغة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة، دار الكتاب العربي، ط١ (١٩٦٧)، ٢٨٦/١٥ (مادة: مرأ).

[4] المطرّزي، ناصر الدين: المُغرب في ترتيب المُعرب، تحقيق: محمود فاخوري، وعبد الحميد مختار، حلب، مكتبة أسامة بن زيد، (١٩٧٩م) ٢٦٢/٢ (مادة: مرأ).

[5] ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، بيروت، دار صادر، ودار بيروت (١٩٥٤م)، مادة «مرأ».

[6] الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر: أساس البلاغة، دار بيروت للطباعة والنشر، (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ص٥٨٧ (مرأ).

www.mtenback.com

المروءة في معاجم أخرى قديمة بأنها الإنسانية، ومنها الصحاح، والقاموس المحيط[٧]. وبعض القدماء من مؤلفي المعاجم قرنوا بين التعريفين معًا، كالذي نقله صاحب تاج العروس عن الصاغاني في «العباب» حيث قال الزبيدي: «وفي العباب: المروءة: الإنسانية وكمال الرجولية»[٨].

أما الراغب الأصفهاني فقد قال إنها «كمالُ المرء كما أن الرجولية كمال الرجل»[٩].

هذا، وقد حاول بعض اللغويين وأصحاب المعاجم أن يوضحوا معنى المروءة ويحددوا دلالتها بكلام مفصل لا غموض فيه، ولعلهم وجدوا أن التعريف السابق غير كافٍ. ومن هذا الفريق اثنان:

أولهما: الفيومي، حيث يقول: «المروءة: آداب نفسانية تحمل مراعاتُها الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق، وجميل العادات»[١٠].

وثانيهما: الشهاب الخفاجي، وقد نقل كلامه الزبيدي في تاج العروس، مع قولين آخرين، فقال:

«وفي شرح الشفاء للخفاجي: [المروءة] هي تعاطي المرء ما يستحسن، وتجنب ما يسترذل. وقيل: صيانة النفس عن الأدناس، وما يشين عند الناس. أو: السمت الحسن، وحفظ اللسان، وتجنب المجون»[١١].

---

[٧] الجوهري، إسماعيل بن حماد: الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، القاهرة، دار الكتاب العربي، (١٩٥٧)، مادة (مرأ): وأورد ابن منظور ذلك أيضًا في اللسان، الفيروزآبادي، مجد الدين: القاموس المحيط، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ط٥ (١٩٥٤م)، مادة «مرأ».

[٨] الزبيدي، محمد مرتضى: تاج العروس، تحقيق: عبد الستار فراج، الكويت (١٩٦٥م)، مادة «مرأ».

[٩] الأصفهاني، الراغب: المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، القاهرة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي (١٩٦٨م) ص ٤٦٦.

[١٠] الفيومي، أحمد بن محمد: المصباح المنير، القاهرة، المطبعة الأميرية، الطبعة السادسة، (١٩٣٥م): ٧٨١/٢ مادة: مرأ.

[١١] الزبيدي، المرتضى: تاج العروس، مادة: «مرأ».

www.mtenback.com

وهذه التعريفات الأخيرة متقاربة جدًا، ويلخصها قول الخفاجي: «تعاطي المرء ما يستحسن، وتجنب ما يُسترذل». و«المروءة» مصدر (فَعُلَ) مَرُؤَ الرجلُ يمرؤ مروءةً فهو مَرِيءٌ أي ذو مروءة[١٢]. وتمرّأ: تكلّف المروءة. وفلان يتمرّأ بنا: أي يطلب المروءة بنقصنا وعيبنا[١٣].

ويجوز في «المروءة» قلب الهمزة واوًا وإدغامها، فيقال: المروّة[١٤]، وهذه اللغة لا تزال مستعملة حتى عصرنا هذا، وقد وردت في شعر المحدثين كثيرًا، فمن ذلك قول المتنبي، مفتخرًا[١٥]:

وَتَرَى الْمُرُوَّةَ وَالْفُتُوَّةَ وَالأُبُوَّ ... ةَ فِيَّ كُلُّ مَلِيحَةٍ ضَرَّاتِهَا

هُنَّ الثَّلاثُ الْمانِعاتِي لَذَّتِي ... فِي خَلْوَتِي، لا الْخَوْفُ مِنْ تَبِعاتِهَا

وقول أحمد بن محمد الصخري مادحًا[١٦]:

جَمَعْتَ إِلى الْعُلاَ شَرَفَ الأُبُوَّهْ ... وَحُزْتَ إِلى النَّدى فَضْلَ الْمُرُوَّهْ

أَتَيْتُكَ خَادِمًا، فَرَفَعْتَ قَدْرِي ... إِلى حالِ الصَّدَاقَةِ وَالأُخُوَّهْ

---

[١٢] الجوهري، الصحاح، مادة «مرأ»، والفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير، مادة «مرأ» أيضًا.

[١٣] صحاح الجوهري، ولسان العرب، والقاموس المحيط، مادة "مرأ" فيها جميعًا. وزاد في اللسان: «تمرّأ، على تفعّل، صار ذا مروءة». وانظر الزمخشري: أساس البلاغة، ص ٥٨٧ (مرأ).

[١٤] الصحاح، ولسان العرب، مادة «مرأ» فيهما، واقتصر الراغب الأصفهاني في المفردات، ٤٦٦ على تشديد الواو.

[١٥] اليازجي، ناصيف: العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، بيروت، طبعة مصورة، بلا تاريخ، ص١٩٠. وانظر البرقوقي، عبد الرحمن: شرح ديوان المتنبي، دار الكتاب العربي، بيروت (١٤٠٧هـ/١٩٨٦م)، ج١، ص ٣٤٩-٣٥٠.

[١٦] الحموي، ياقوت: معجم الأدباء، بيروت، دار المستشرق، طبعة مصورة، بلا تاريخ ٣٠/٥.

www.mtenback.com

أما المعاجم الحديثة فلم تأت بجديد في تعريف «المروءة» ويرد في معظمها تعريف المصباح المنير، وقد يضاف إليه تعبير «كمال الرجولية» حينًا، و«النخوة» حينًا آخر[١٧]. وإذا شئنا إجمال ما تفرق في تعريف المروءة نجدها في جملة واحدة هي كل عمل يحمد فاعله ويقتدى به، وهي نفع الناس فيما يتعدى من الأعمال والأقوال وزين النفس فيما تتخذه من الآداب والأخلاق.

كلمة المروءة في الشعر:

لم ترد كلمة «المروءة» في الشعر القديم، من جاهليّ ومخضرم، إلا نادرًا. ومن ذلك قول الشاعر الجاهلي، المعلُوط القُريعي:

إذا المَرْءُ أَعْيَتْهُ المُرُوءَةُ ناشِئًا فَمَطْلَبُها كَهْلاً عَلَيهِ شَدِيدُ[١٨]

أما في العصر الأموي وما بعده فقد ورد ذكر كلمة «المروءة» كثيرًا، في شعر المديح والفخر خاصةً، إذْ أصبحت المروءة من الخصال والطبائع التي يُمدح بها عِلْية القوم ورؤساوهم، إلى جانب الكرم والشجاعة والسماحة وغيرها من القيم ومكارم

---

[١٧] انظر، على سبيل المثال، مادة «مرأ» في المعاجم الآتية:

أ – البستاني، بطرس، محيط المحيط، بيروت، مكتبة لبنان (١٩٧٧م)، وقد ذكر المعاني الثلاثة: النخوة، وكمال الرجولية، وتعريف المصباح المنير لها.

ب – ومثله تمامًا: الشرتوني، سعيد: أقرب الموارد، بيروت، طبعة مصورة، بلا تاريخ.

ج – مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٦١م، وقد اقتصر على تعريف المصباح نفسه من دون أن ينسبه إليه.

د – ومثل الوسيط تمامًا: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المعجم العربي الأساسي، لاروس (١٩٨٩م).

[١٨] المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد: شرح ديوان الحماسة، نشره: أحمد أمين وعبد السلام هارون، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر (١٩٥٢م) ص١١٤٨، والبغدادي، عبد القادر: خزانة الأدب بيروت، دار الثقافة، طبعة مصورة عن طبعة بولاق، (د.ت) ٥٣٧/١ وذكر البغدادي أن هذا البيت ينسب إلى كل من الشاعرين: سويد بن حذاق العبدي، والمخبل السعدي.

www.mtenback.com

الأخلاق التي أشاد بها الإسلام وحضّ عليها. ولو أردنا تقصّي ذلك لأعيانا الأمر، وكتب الأدب والمحاضرات، ودواوين الشعر حافلة بالأبيات التي يتكرر فيها ذكر «المروءة» في معرض الفخر أو المديح غالبًا، إلا أننا نكتفي بإيراد بعض الشواهد المؤيدة لما ذكرنا:

فمن ذلك قول الشاعر الأموي زياد الأعجم يمدح عبد الله بن الحَشْرج، وكان قد وفد عليه وهو أمير على نيسابور[١٩]:

إنَّ السَّماحَةَ وَالمُرُوْءَةَ وَالنَّدى ... فِي قُبَّةٍ ضُرِبَتْ عَلى ابْنِ الحَشْرَجِ

مَلِكٌ أَغَرُّ، مُتَوَّجٌ، ذُو نائِلٍ ... لِلْمُعْتَفِيْنَ، يَمِينُهُ لَمْ تَشْنَجِ

وقول أبي الطيب المتنبي من قصيدة في مدح المغيث بن علي العجْليُّ[٢٠]:

تَلَذُّ لَهُ المُرُوْءَةُ، وَهْيَ تُؤْذِي ... وَمَنْ يَعْشَقْ يَلَذُّ لَهُ الْغَرامُ

تَعَلَّقَها هَوى قَيْسٍ لِلَيْلَى ... وَواصَلَها، فَلَيْسَ بِهِ سَقامُ

ومعنى ذلك أن الممدوح يجد المروءة لذيذةً، مع ما فيها من التكاليف التي تؤذي صاحبها، كما أن العاشق يستلذ العشق مع ما فيه من النصب.

والغرام - كما يراه أهل اللغة - هو أشد العذاب، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾[٢١].

فالشاعر يقول: إن المروءة تؤذي صاحبها بما فيها من التكاليف، وهي مع هذا تلذّ له كالعشق، لذيذ مع ما فيه من النصب والعذاب كما قال المتنبي في مكان آخر:

---

[١٩] الأعجم، زياد: شعر زياد الأعجم، تحقيق يوسف حسين بكار، دمشق، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي (١٩٨٣م)، ص ٧٧.

[٢٠] اليازجي، ناصيف: العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ص ٩٨. وانظر أيضًا البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، ج٢، ص١٩٥- ١٩٦.

[٢١] سورة الفرقان: ٦٥.

www.mtenback.com

وَالْعِشْقُ كَالْمَعْشُوقِ يَعْذُبُ قُرْبُهُ لِلْمُبْتَلَى وَيَنَالُ مِنْ حَوْبَائِهِ

وتعلق سيف الدولة (ممدوح المتنبي) بالمروءة هوى في نفسه وعشق كعشق مجنون ليلى غير أن هذا العشق متواصل و لم يورث جسم صاحبه سقماً[٢٢].

وقد يرد ذكر المروءة في الشعر العربي في مقامات أخرى، غير المديح والفخر، كالغزل والرثاء والحكمة والموعظة وما إليها، فمن ذلك قول المتنبي متغزلاً[٢٣]:

أَجِدُ الجَفَاءَ عَلَى سِوَاكِ مُرُوءَةً وَالصَّبْرَ، إِلاَّ فِي نَوَاكِ، جَمِيْلا

فالمتنبي هنا لا يورد المروءة موردها المتعارف عليه، بل يعطيها معنى جديدًا وطريفًا يتسع له عالم الشعر والخيال، إذ يجد انصرافه عن النساء مروءةً، إلا عن محبوبته. وما عهدنا أن المروءة تأتي كذلك في حياة الناس ولكن للشاعر مذهبه ورأيه في الأشياء، كما أن الصبر على النوازل جميل، لكنه لايجمل عند بعدها عنه، ويوافقه في هذا التصور البحتري حين يقول:

ما أَحْسَنَ الصَّبْرَ إِلاَّ عِنْدَ فُرقَةِ مَنْ بِبَيْنِهِ صِرْتُ بَيْنَ البَثِّ وَالحَزَنِ

وفي مضمار الشعر الأندلسي نجد ابن حمديس الصقلي ينظم بيتين اثنين، لا ثالث لهما، في الحكمة والموعظة وينصح مخاطبه بجملة من السجايا الحميدة، وفي مقدمتها المروءة فيقول[٢٤]:

أَدِمِ المُرُوْءَةَ وَالوَفَاءَ، وَلا يَكُنْ حَبْلُ الدِّيانَةِ مِنْكَ غَيْرَ مَتِينِ

---

[٢٢] انظر شرح ديوانه، ج٢، ص ١٩٥-١٩٦.

[٢٣] اليازجي، ناصيف: العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ص ١٤٥. والبيت من مطلع قصيدة للمتنبي في مدح بدر بن عمار. والمعنى: إني أجد إعراضي عن النساء مروءة، إلا عنك، والصبرَ على كل نازلةٍ جميلاً، إلا على بعادكِ.

[٢٤] انصقلي، ابن حمديس: ديوان ابن حمديس، صححه وقدم له: إحسان عباس، بيروت، دار صادر ودار بيروت (١٩٦٠م) ص٤٨٦.

www.mtenback.com

وَالْعِزُّ أَبْقَى مـــا تَـــراهُ لِمُكْـــرَمٍ إِكْرامُـــهُ لِمُـــــرُوءَةٍ أَوْ دِيْـــنِ

وربما ورد ذكر المروءة وأهلها في معرض الحديث عن الأيام الماضية، التي قضاها الشاعر مع ندمائه وجُلاّسه وأهل مودّته، حين كان الدَّير يجمع شملهم، وكلهـــم - في نظر الشاعر - من أهل المروءات. وفي ذلك يقول أبو هريرة، أحمـــد بن عبـــد الله ابن أبي العصام، من شعراء اليتيمة[٢٥]:

أَذْكَرْتَنِي يا دَيْـــرُ مَـــنْ قَـــدْ مَضَـــى مِـــنْ أَهْـــلِ وُدِّي وَمُصـــــافاتِي

كَمْ كانَ لِـــي فِيْـــكَ وَفِيْهِـــمْ مَعًـــا مِـــنْ طِيْـــبِ أَيَّـــامٍ وَلَيْـــلاتِ

أَشْـــــكُو إِلى اللهِ مُصابـــــاتِهِمْ وَفَقْـــدَنا أَهْـــلَ المُـــــرُوْءاتِ

وهذه الشواهد تنطلق من المفهوم العام لهذه الكلمة الذي أشارت إليه المعـــاجم وأنه يؤدي مفهوم «الإنسانية» أو «كمال الرجولية»، أو «النخوة» أو «آداب نفسانية تحمل مراعاتها الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات»، وهذا هـــو الذي استقرّ في عقول الناس ونفوسهم عندما يتحدثون عن المروءة ويشـــيدون بهـــا وبأهلها.

المروءة في الحديث النبوي والنثر:

لم يكن الحديث عن المروءة حكرًا على الشعراء، فهناك شواهد نثريـــة وردت على ألسنة الخطباء والمتكلمين، أو في أقوال الحكماء والفلاسفة، وكتاباتهم، وكلهـــا ترفع من شأن المروءة عامةً، وتنوّه بأصحابها، وتدعو إلى إشاعتها في المجتمـــع، بمختلـــف الوسائل، وفي مختلف العصور، بدءًا من العصر الإسلامي فما تلاه من العصور، ذلك أن المروءة كما لا يخفى تعدّ من جملة مكارم الأخلاق التي أشاد بها الإسلام، والتي بعـــث

---

[٢٥] الثعالبي، أبو منصور: يتيمة الدهر ومحاسن أهل العصر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ط٢ (١٣٧٥هـ/١٩٥٦م)، ج١ ص٤٢٠.

www.mtenback.com

النبي ﷺ ليتمّها، حين قال في حديثه المشهور: «إنما بعثت لأتمّ صالح الأخلاق»[٢٦]. ولهذا الحديث النبوي رواية أخرى، وهي قوله عليه السلام:

«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[٢٧]، فمن تلك الأقوال ما جاء على لسان عددٍ من الصحابة، كعمر بن الخطاب الذي قال: «كرم المؤمن تقواه، ودينه حسبُه، ومروءته خُلقه، والجرأة والجبن غرائز يضعها الله حيث شاء..»[٢٨].

فهذه وجهة نظر ترى في المروءة مضمونًا أخلاقيًا عمليًا يكون بمثابة تعريف سلوكي بشخصية الإنسان أمام الآخرين، وتعلل بعض الصفات الخلقية والمكتسبة ويظهر فيها على قصرها الجانب التربوي المكتسب والجانب الخلقي وكيف أن الإنسان يجبل على الفضيلة في حال ويكتسبها من بيئته في حال آخر.

وللإمام علي بن أبي طالب أقوال كثيرة في المروءة وأهلها، منها ما ورد في «نهج البلاغة» ومنها ما ورد في غيره من المصادر الأخرى، كقوله في قصار حكمه: «قدْر الرجل على قدر همته، وصدقه على قدر مروءته، وشجاعته على قدر أنفته، وعفّته على قدر غيرته»[٢٩]. فهذا الكلام ربط بين المروءة وبين الضمير الأخلاقي في ذات الإنسان فالمروءة شرط للصدق الذي مصدره شعور المرء بواجب الالتزام

---

[٢٦] السيوطي، جلال الدين: الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، مزج وترتيب: يوسف النبهاني، القاهرة، دار الكتب العربية الكبرى (د.ت) ٤٣٧/١.

[٢٧] الحوت البيروتي، محمد بن السيد درويش: أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ط١ (١٣٥٥هـ) ص ٧.

قال المؤلف الحوت: «أورده مالك في الموطأ بلاغًا، وقال ابن عبد البر: هو متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره مرفوعًا». قوله: «بلاغًا»: أي كأن يقول: بلغنا عن رسول الله كذا وكذا، وهو كالمعلق.

[٢٨] مالك، الإمام: موطأ الإمام مالك، تخريج وتعليق وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دار الحديث (١٩٩٣م) ٣٦٩/٢.

[٢٩] ابن أبي طالب، الإمام علي: نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، أشرف على طبعه: عبد العزيز سيد الأهل، بيروت، مكتبة الأندلس (١٩٥٤م) ٩٥/٤.

www.mtenback.com

والانضباط، مع ضميره وما يختلج في نفسه من حب للفضيلة وهذا لا يدرك إلا بعد تجربة طويلة وخبرة بسلوك الناس ومعرفة لما يظهر عليهم من دلائل تعبر عما في نفوسهم من خصال المروءة التي تدفعهم إلى تجشم المشاق والصبر على تكاليف المروءة، ولولا تلك المشاق والتكاليف لأصبح الناس سواسية و لم يعرف ذو المروءة من غيره. ولهذا السبب قال الماوردي[٣٠]: إذا كانت مراعاة النفس على أفضل أحوالها هي المروءة، فليس ينقاد لها مع ثقل كلفتها إلا من تسهلت عليه المشاق، رغبة في الحمد، وهان عليه الملاذ، حذرًا من الذم ولذا قيل: سيد القوم أشقاهم وقد لحظ المتنبي ذلك فقال[٣١]:

لَوْلا المَشَقَّةُ سادَ النّاسُ كُلُّهُمُ ... اَلْجُودُ يُفْقِرُ والإِقْدامُ قَتّالُ

وقال أيضًا[٣٢]:

وَإِذا كانتِ النُّفوسُ كِبارًا ... تَعِبَتْ في مُرادِها الأَجْسامُ

وقد وجه الإمام علي اهتمامه إلى أهل المروءات، فدعا إلى الأخذ بأيديهم، وإقالة عثراتهم، لأنهم من أولي المكارم الذين يعثر بهم الحظ في كثير من الأحيان، لما يتعرضون له من مواقف صعبة، فقال: «أقيلوا ذوي المروءات عثراتهم، فما يعثر منهم عاثر إلا ويدُ الله بيده، يرفعه»[٣٣]، وفي ذلك تكريم لذوي المروءة، وإعلاء من شأنهم، وهم المعرّضون لجور الزمان، كما قال الشاعر[٣٤]:

---

[٣٠] نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول، إشراف: صالح بن حميد، نشر: دار الوسيلة، ط١، (١٤١٨هـ/١٩٩٨م)، ج٨، ص٣٣٧٥.

[٣١] البرقوقي، عبد الرحمن: شرح ديوان المتنبي، بيروت، دار الكتاب العربي، (١٤٠٧هـ/١٩٨٦م)، ج٤، ص٤٠٦.

[٣٢] المصدر السابق، ج٤، ص٦٤.

[٣٣] ابن أبي طالب، الإمام علي: نهج البلاغة، ٨٦/٤.

[٣٤] ابن يعقوب، محمد بن قاسم: روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار، مصر، المطبعة الميمنيّة (١٣٠٧هـ) ص٢٥٥ وفي هذا السياق يرد قولهم: «تجافوا عن عقوبة ذي المروءة»: المطرّزي، المغرب، مادة مرأ.

www.mtenback.com

جارَ الزَّمانُ عَلى أَهْـــلِ الْمُـــرُوْءاتِ بِكُلِّ أُعْجُوبَـــةٍ مِـــنْ جَـــوْرِهِ آتِـــي

ولا يمكن في هذا المقام إغفال بعض الحكم والآداب التي وردت في كتب ابـــن المقفع، مما يتصل بالمروءة، ولا سيما كتابه «الأدب الكبير» الذي حوى جملـــة مـــن النصائح والعظات حول صحبة السلطان وآدابه وما للمروءة من فضل في هذا المضمـــار من جهة، وفي مضمار آداب الأصدقاء وما يحسن بهم من الخلال.

ففي كلام ابن المقفع عن السلطان وآدابه وصحبته يوصي بأن يكون أهل المروءة من جملة أعوانه وأخدانه فيخاطبه بقوله: «اعرف الفضل في أهل الدين والمـــروءة، في كل كورةٍ وقرية وقبيلة، فيكونوا هم إخوانك وأعوانـــك، وأخدانـــك وأصفيـــاءَك وبطانتك ولُطفاءك، وثقاتك وخُلطاءك»[٣٥]. وفي هذا تأكيد على أثر أصحاب المروءة في صون المجتمع ودعوة القائمين عليه لحماية المبادئ الإنسانية وسيادتها فيه.

ويحث السلطان على احتمال نصح أهل المروءة، فيقول: «عوِّدْ نفسك الصـــبرَ على من خالفك من ذوي النصيحة، والتجرّع لمرارة قولهم وعَذْلهم، ولا تُسهّلنّ ســـبيل ذلك إلا لأهل العقل والسنّ والمروءة..»[٣٦]. فأصحاب المروءة تردهم مروءاتهم عـــن الهبوط إلى درك المصالح الشخصية والأهواء، ومن خيرٌ من هؤلاء كي يخلصوا النصـــح للحاكم؟!

إن على الحاكم أن يتقبل نصحهم ولو كان قاسيًا، وأن يحتمل صراحتهم ولـــو كانت مؤلمة لمشاعره، متجـــاوزة إلى خدش كبريائه، لأن نصائحهم لا تنبع من منفعة،

---

[٣٥] ابن المقفع، عبد الله: الأدب الكبير، عني بضبط غريبه وتفسير مشكله: محمد حسن نـــائل المرصفـــي، القاهرة، (١٣٣١هـــ)، ص١١، والكورة: بقعة من الأرض واسعة، يجتمع فيها قرى كثيرة.

[٣٦] ابن المقفع، الأدب الكبير، ص١٤-١٥، وانظر أقوالاً أخـــرى لابـــن المقفـــع في هـــذا الكتـــاب، ص٢٧ــ٣٨.

www.mtenback.com

ولا توجهها مصالح فردية، أو أهواء شخصية، وليس وراءها إلا الإخلاص للسلطان، والعقل رائدها إلى ماصرحت به.

وإذا كان الناصح صادقًا في نصحه تجلت جرأته في الكلام وصدقه مع أولي الأمر، في إسداء النصح إليهم، وتذكيرهم بما ينبغي أن يُذَكَّروا به. آية ذلك ما ورد في خبرٍ عن الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك، حين مرّ بالمدينة وهو يريد مكة، فاجتمع بأبي حازم - وراح يحاوره في أمور الدين والدنيا. ومما قال له: يا أبا حازم، فأيّ عباد الله أكرم؟ قال: أولو المروءة والنُّهى، قال سليمان: كيف لنا أن نَصلُح؟فأجابه أبو حازم: تدعون التصلّف، وتمسكون بالمروءة، وتقسمون بالسوية[٣٧].

ويتكرر في هذا المعنى ذكر الأقوال التي تحث على الاعتماد على أهل المروءة والنصح باتخاذهم أخلاء وأصفياء والثقة بهم، ولا سيما في مضمار الوصايا التي يوجهها الآباء إلى الأبناء حين تحضرهم الوفاة، فلا يجدون أحسن من محض النصيحة وإخلاصها لأولادهم ومن يريدونه خلفًا صالحًا لهم، كقول عبدالله بن شداد في وصيته لابنه محمد: «وليكن إخوانك وأهل بطانتك أولي الدين والعفاف والمروءات، والأخلاق الجميلة، فإني رأيت إخوان المرء يده التي يبطش بها، ولسانه الذي يصول به، وجناحه الذي ينهض به»[٣٨]. فهذه نصيحة غاية في الرشد لاختيار المرء لجلسائه الذين يتباسط معهم ويعينونه على تكاليف الحياة وصعابها.

---

[٣٧] الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن: سنن الدارمي، دار إحياء السنة النبوية ١٥٦/١ (باب في إعظام العلم) (لم يذكر مكان الطبع ولا تاريخه).

[٣٨] ابن منقذ، أسامة: لباب الآداب، بتحقيق: أحمد محمد شاكر - مصر، المطبعة الرحمانية (١٩٣٥م) ص ٢٧، وانظر أيضًا ص ٦٤، ٧٠، والهادي، جد عبد الله بن شداد، لقب بذلك لأنه كان يوقد النار للأضياف فيهتدي إليها من سلك الطريق، هامش أمالي القالي ١٩٨/٢ القاهرة، ط٣، (١٩٥٣م)، المكتبة التجارية الكبرى.

www.mtenback.com

علامات المروءة ومظاهرها:

توالى إكبار الناس عامةً للمروءة وما تقترن به من جميل الطباع والسجايا، على مر العصور، وربما حاول بعضهم أن يتقصّوا مظاهرها ويستدلوا عليها من خلال بعض الشواهد المادية والمعنوية، التي يُعرف بها صاحب المروءة، منها أن المروءة هي إحدى خلالٍ أربع توصل صاحبها إلى السيادة وهي: الأدب، والصدق، وأداء الأمانة[٣٩]. والمروءة هي التي تجعل صاحبها من أهل الحسب والأدب، وهي المقياس الصحيح في ذلك، وهو ما صرّح به أحد الحكماء بقوله: «أحسن الحلية الأدب، ولا حسب لمن لا مروءة له، ولا مروءة لمن لا أدب له..»[٤٠]. ذلك هو ما يلخص صفات المروءة في الرجل وتحققها في عمله وقوله.

ثم إن من علامات المروءة أنها تُكسب صاحبها البهاء والتجمّل، وتحمله على اتخاذ الأشياء الشريفة والاستكثار منها، وعدم الاكتفاء بما تدعو إليه الضرورة فحسب.

والمروءة خلة إنسانية لاتعترف بالحدود، ولا بالشعوب، وليست حكرًا على أمة من الأمم، فالجميع يكبرها، والكل يقدرها ويتحراها، لأنها مطلب إنساني تنساق إليه الطباع السليمة، وتنجذب إليه النفوس الكريمة أيًّا كان دينها أو لغتها وملّتها ؛ ومن أجل ذلك ترى تعلق الأمم بها، فيقول أرسطاطاليس: «كما أنه ليس من المروءة أن تقتصر من الأموال والعُقَد على ما فيه الحاجة، وتدعو إليه الضرورة، بل أن تتخذ الأشياء الشريفة التي للبهاء والتجمّل؛ فكذلك العلوم، ليس من المروءة أن تقتصر منها على ما تحتاج، لضربٍ من النفقة دون أن تكتسب تشريف السناء بها»[٤١].

---

[٣٩] ابن منقذ، أسامة: لباب الآداب، ص ٢٤٩، ونسب القول إلى «الحكيم».

[٤٠] المصدر السابق، ص ٢٣٤.

[٤١] المصدر السابق، ص ٢٣٥ تحت عنوان: «فصل في الأدب».

www.mtenback.com

ومعنى كلامه أن للمروءة مطالب أهمها أن يكون لطالب المروءة مـــال يغنيـــه ويجود بفضله ويتحمل به لتتم مروءته، وكذلك العلم يحتاج منه الإنسان إلى الاســـتزادة وبلوغ أعلى ما يمكن الوصول إليه ولا يجب أن يقف طالب المروءة عند الحد الأدنى في تحصيل المال والعلم أو اكتساب الخصال الحميدة.

وللمروءة سمات يستدل بها عليها.

ومن الطريف أن يكون للفراسة أثرها في تعرّفها لدى أصحابها، وتوسّمها فيهم من خلال صفات جسمية تبدو عليهم، وفي مقدمتها شحوب المرء، وتوسط عينـــه في حجمها، فقد سأل عبد الله بن عباس صعصعةَ بن صُوحان العَبْديّ عن إخوته، فقـــال صعصعة: أما زيد فكما قال أخو عبس:

فَتىً، لا يُبالِي أَنْ يَكُـــونَ بِوَجْهِـــهِ، إِذا نالَ خِلاّتِ الْكِـــرامِ شُـــحُوبُ

ثم قال: «كان والله يا بن عباس عظيم المروءة، شريف الأبوّة، جليـــل القـــدْر، بعيد الشرّ..»[٤٢].

وكما أن شحوب الوجه دليل على مروءة صاحبه، وهي كناية عما يلقاه هـــذا المرء من جهد ومشقة في إعطاء المروءة حقها، والسهر على رعايـــة شـــؤونها، فـــإن بعضهم أضاف إلى ذلك علامة أخرى جسمية، فقد قالوا: « إن العـــين المتوســـطة في حجمها دليل فطنةٍ وحُسنِ خلقٍ ومروءة»[٤٣].

---

[٤٢] النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب، نسخة مصورة عن طبعـــة دار الكتب المصرية، القاهرة، بلا تاريخ ١٧٥/٣، صعصعة بن صوحان: خطيب بليغ عاقل، من سادات عبد القيس، من أهل الكوفة، توفي نحو ٦٠هـــ. والبيت «فتى لا يبالي..» لم يرد في ديـــوان عنـــترة المطبوع، فإما أن يكون سقط منه، وإما أن يكون لشاعر عبسيّ آخر غير عنترة. والأبـــوة في قـــول صعصعة: «شريف الأبوة» معناها: الإباء وعزة النفس.

[٤٣] النويري، شهاب الدين: نهاية الأرب في فنون الأدب، ١٤٩/٣.

www.mtenback.com

وعلى ذلك فالمظاهر الحسية للمروءة، والعلامات الدالّة عليها كثيرة جدًا، وقد أشار إليها من وقفوا عند هذا الجانب من المروءة، وفي مقدمة ذلك عناية المرء بمظهره الخارجي وما يتصل به من طهارة البدن والثياب، إقرارًا بنعمة الله تعالى، وتحدثًا بها، وانطلاقًا من قوله عليه السلام: «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، ويكره البؤس والتباؤس»[٤٤]، ومن هذا الباب أيضًا قوله عليه السلام:

«إن الله جميل يحب الجمال»[٤٥]. والمراد هنا - كما قال العلماء - أن الله تعالى يحب التجمل في الهيئة، وعدم إظهار الحاجة لغيره تعالى، والعفاف عمن سواه.

وسبب قوله عليه السلام ذلك أنه قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبْر» فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا، ونعله حسنًا، فقال ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال»[٤٦].

أي أن هناك فرقًا بين أن يكون من طبيعة الإنسان حسن المنظر وأن يخرج إلى الناس بمظهر حسن وبين أن يكون ذلك تكبرًا وبطرًا لنعمة الله وغطرسة على عباده. لقد عرف العرب هذه الحدود، ومن ثم جعلوا مظهر الرجل الخارجي دليلاً على اهتمامه بنفسه وحسن تأتيه لما يريد، وكان ذلك دليلاً على المروءة والتثبت من علاماتها، فقد قال يزيد بن المهلب لولده: «كن أحسن ما تكون في الظاهر حالاً، أقلّ ما تكون في الباطن مآلاً»[٤٧].

وهكذا كانت طهارة البدن والثياب، ونظافتهما، والتجمّل في الهيئة، وما إلى ذلك، موضع عنايتهم واهتمامهم، فقد قيل لبعضهم: ما المروءة؟ فقال: «طهارة البدن،

---

[٤٤] الوطواط، برهان الدين الكتبي: غرر الخصائص الواضحة، بيروت، دار صعب، طبعة مصورة، (د.ت)، ص٤٢.

[٤٥] انظر الفتح الكبير للسيوطي: ٣٣١/١.

[٤٦] محمد بن السيد درويش، الشهير بالحوت، أسنى المطالب، في أحاديث مختلفة المراتب، هامش الصفحة ٦٠.

[٤٧] الوطواط: غرر الخصائص الواضحة، ص ٤٢.

www.mtenback.com

والفعل الحسن»[٤٨]. وقال عمر بن الخطاب: «المروّة الظاهرة: الثياب الطاهرة»؟[٤٩]. وقد لا يعني بالثياب المعنى المادي المباشر وإنما هي كناية عن حسن الظاهر المعبر عن الباطن، إذ استعملوا الثياب لدلالة المظهر ومقاربة التشبيه بالفضائل المادية والمعنوية.

ويتبع طهارة الثياب والبدن مظهر آخر من مظاهر المروءة، ذلك هو التطيّب، لما له من أثر جميل في النفوس، وللرائحة الزكية شذاها الذي ينعش الفؤاد، ويشيع جوًا من الطهارة والطيب والنقاء. وقد ورد عن مكحول الشامي أنه قال: «من نظف ثوبه قلّ همّه، ومن طاب ريحه زاد عقله، ومن جمع بينهما ظهرت مروءته»[٥٠]. فقد جمع مكحول في كلامه بين نظافة الثوب - التي تخفّف الهم - والتطيب الذي يزيد العقل، وجعل الجمع بينهما شاهدًا على المروءة.

ومظاهر المروءة وعلاماتها الدالة عليها كثيرة في أقوال العلماء والحكماء والأعيان، حتى وصل الأمر إلى ذكر أمور لا نعدّها اليوم من مظاهر المروءة، ولا ندري الحكمة من القيام بها، ولعل لها صلةً ببعض العادات التي كانت سائدة في المجتمع العربي في العصور الأولى، حتى إنها صارت من الأعراف التي تمسكوا بها وحثّوا عليها، واستدلوا بها على ذوي المروءات. حيث قال بعضهم: «من كمال المروءة: أن تصون عرضك، وتكرم إخوانك، وتقيل في منزلك»[٥١]. أي ملازمة منزلك إذا كان الخروج

---

[٤٨] الجاحظ، عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (١٩٤٨م)، ١٧٦/٢.

[٤٩] الوشاء، محمد بن إسحق، الموشّى: بيروت، دار صادر (١٩٦٥م)، ص٥١ ونسب الجاحظ هذا القول في البيان والتبيين ١٧٦/٢ إلى طلحة بن عبيد الله. وبعضهم يفسر طهارة الثياب بالنقاء من الذنوب (الموشى، ص٥١) وهو أحد الآراء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾.

[٥٠] الوطواط، غرر الخصائص الواضحة، ص ٤٣.

[٥١] ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله: بهجة المجالس، تحقيق: محمد مرسي الخولي، دار الكتاب العربي، القاهرة (١٩٦٧م)، ج١، ص٦٤٣.

www.mtenback.com

والذهاب لايجلب نفعًا ولايكسب علمًا، وقد نصوا في التراث العربي على أن لزوم الرجل بيته مكرمة له ومروءة يحمد عليها[٥٢].

ومن الشواهد الدالة على المروءة كرم صاحبها، وبذل الطعام للناس كافة في فناء بيته ولا سيما وقتي الغداء والعشاء، حتى يأكل منه الغادي والرائح، فقد قيل لابن هبيرة: ما المروءة؟ فقال: «إصلاح المال، والرزانة في المجلس، والغداء والعشاء بالفناء»[٥٣]. حيث يتعرض في إظهار الطعام لمن يحتاج إليه عند مروره ورؤيته، ويعتاد الرجل مشاركة الآخرين في فضله.

قال بعض الحكماء: اشتر ماء وجهك بالقناعة، وتسلّ عن الدنيا بتجافيها عن الكرام، فإن من مُني بعلو الهمم، وتحركت فيه أريحية الكرم، وآثر أن يكون رأسًا مقدمًا، وأن يرى في النفوس معظمًا ومفخمًا، فالكفاية لاتقله حتى يكون ماله فاضلاً، ونائله فائضًا، فقد قيل لبعض العرب:ماالمروءة فيكم؟ قال: طعام مأكول، ونائل مبذول وبشرٌ مقبول.

ووجوه المروءة باب واسع قد لا تحيط بها الأقوال ولا تفسر المراد منها. ومن ذلك على سبيل المثال قول الإمام علي بن أبي طالب[٥٤]: «يستدلّ على المروءة بكثرة

---

[٥٢] انظر ابن عبد البر: بهجة المجالس، ج١، ص ٦٤٢.

[٥٣] ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم: عيون الأخبار، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة، بلا تاريخ، ٢٩٥/١. وقد ورد القول نفسه تقريبًا منسوبًا إلى «أبي هريرة»، وقد سئل: ما المروءة؟ فقال: «تقوى الله، وإصلاح الصنيعة والغداء والعشاء بالأفنية». انظر البيان والتبيين ١٧٧/٢.

[٥٤] تيمور باشا، أحمد: علي بن أبي طالب، شعره وحكمه القاهرة، لجنة نشر المؤلفات التيمورية، ط١، (١٩٥٨م)، ص ٦١.

www.mtenback.com

الحياء، وبذل الندى، وكفّ الأذى». وقال رجل للأحنف بن قيس: دلّني على المروءة، فقال: «عليك بالخلق الفسيح، والكف عن القبيح»[٥٥].

وسئل القاضي إياس بن معاوية عن المروءة، فقال: «أما حيث تُعرف فالتقوى، وأما حيث لا تُعرف فاللباس»[٥٦].

وقال زياد لبعض الدهاقين: ما المروءة فيكم ؟ قال: اجتناب الريب، فإنه لاينبل مريب، وإصلاح الرجل ماله، فإنه من مروءته، وقيامه بحوائجه وحوائج أهلـــه، فإنـــه لاينبُل مـــن احتاج إلى أهله ، ولا من احتاج أهله إلى غيره، وأنشد ثعلب [٥٧]:

مَنْ عَفَّ خَفَّ عَلى الصَّدِيـــقِ لِقَـــاؤُهُ وَأَخُـــو الحَوائِـــجِ وجْهُـــهُ مَمْلُـــولُ

وَأَخُوكَ مَنْ وَفَّـــرْتَ مَـــا في كِيْســـهِ فَـــإِذَا عَبَثْـــتَ بِـــهِ فَـــأَنْتَ ثَقِيـــلُ

ثم إن هناك علامات أخرى للمروءة، بالقياس إلى ما سبق، وهي: كثرة الحياء، والكف عن القبيح وعن الأذى، والخلق الكريم، والتقوى. وإذا كانت هذه الســـمات الظاهرة من دلائل المروءة فإن الإنسان يجب أن يأخذ بما يقبله الناس ويقدرونه ويجـــاري طبائع المجتمع وقوانينه وما يرضاه من السلوك العام والخاص.

اهتمام الإسلام بالمروءة:

لم يكن الاهتمام بالمروءة لدى الفئة الواعية من الناس واســـع الانتشـــار قبـــل الإسلام، إذ كانت المروءة حينئذ خلّة من الخلال الكريمة التي يتحلـــى بهـــا المـــرء في المجتمع، كالشهامة، والنخوة، والشجاعة، والحكمة، والحِلْم، وما إلى ذلك من الخصـــال

---

[٥٥] ابن نباتة المصري، جمال الدين، محمد بن محمد: سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تحقيـــق : محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار الفكر العربي (١٩٦٤م)، ص ١١١.

[٥٦] ابن عبد البر القرطبي، بهجة المجالس، ٦٤٢/١.

[٥٧] الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري: أدب الدنيا والدين، حققـــه وعلـــق عليـــه: مصطفى السقّا، مكتبة الرياض الحديثة، ط٢، (١٣٧٥هـ/١٩٥٥م) ص ٣١٨.

www.mtenback.com

الحميدة التي تندرج تحت ما سمّاه الرسول عليه السلام بصالح الأخلاق، أو بمكارم الأخلاق التي بعث الرسول ﷺ ليتمّمها.

فلما جاء الإسلام، لقيت «المروءة» نصيبًا وافرًا من عناية الدين الحنيف، وأصبحت قيمةً اجتماعية وأخلاقية وسلوكية، إلى جانب القيم الأخرى من إيثار، وتواضع، ورعاية لحقوق الجار، وحسن المعاملة، وحفظ اللسان، والصبر، والأمانة، وغير ذلك من القيم ومكارم الأخلاق التي بدأ سلطانها يتغلغل في النفوس والعقول، مع ظهور الإسلام، وحملت المروءة في تلك المرحلة ما استقرّ في نفوس الناس من ظلال المفهوم اللغوي للكلمة، الذي يقوم على ما أوردناه آنفًا من الإنسانية وكمال الرجولية، بل على آداب نفسانية توقف صاحبها عند محاسن الأخلاق وتبعده عما يسترذل أو يستنكر أو يقلل من قيمة المرء المعنوية أو المادية وبذلك كانت المروءة اسمًا جامعًا للمحاسن كلّها، ورمزًا لأشتات المبرّات ولشوارد المحامد، وشاهدًا على كرم الأعراق، وباعثًا على كرم الأخلاق. وأجمعوا على أن الله تعالى جمع متفرقات المروءة في قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾[٥٨]، وجمعها النبي ﷺ على نوع آخر فقال: «من عامل الناس فلم يظلمهم، ووعدهم فلم يخلفهم، وحدّثهم فلم يكذبهم، فهو ممن كملت مروءته، وظهرت عدالته، ووجبت أخوّته، وحرمت غيبته»[٥٩]. إنها كلمات محددة وجمل قصيرة ولكنها جمعت ببلاغة وبيان ظاهر كل صلات الإنسان بالإنسان وطريقته في التعامل الأمثل الذي يرقى به إلى مدارج الحمد والثناء واحترام الناس له بكمال مروءته.

---

[٥٨] سورة النحل: ٩٠.

[٥٩] الوطواط، غرر: الخصائص الواضحة، ص٤١. وقد ورد الحديث النبوي أيضًا في: الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص٣٠٦. من دون الجملة الأخيرة: «وحرمت غيبته». ولم يرد لهذا الحديث ذكر في «المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي» الذي صنعه المستشرقون بإشراف فنسنك.

www.mtenback.com

وإلى جانب هذا الحديث النبوي رويت أحاديث أخرى تعرض فيها النبي عليه السلام لمعنى المروءة تارةً، ولصلتها بالعقل أو الخلق تارة أخرى، وأنها أسّ الدين تارةً ثالثة، كما تحدث عن فضل ذوي المروءات، وضرورة إكرامهم، وقد تكرر ذكر هذه الأحاديث والآثار في مصادرنا العربية أكثر من عشر مرات[٦٠].

وهذه الأحاديث والآثار لا تحدد مفهومًا واحدًا للمروءة بل تذكر مدلولات مختلفة ومتعددة للمروءة، منها قوله عليه السلام لرجل من ثقيف: «ما المروّة فيكم؟ قال: الصلاح في الدين، وإصلاح المعيشة، وسخاء النفس، وصلة الرحم، فقال النبي ﷺ: كذلك هي فينا»[٦١]. وقوله ﷺ: «لا دين إلا بمروءة»[٦٢].

---

(٦٠) إذا رغب القارئ في الاطلاع على الأحاديث النبوية التي تعرضت لذكر المروءة، يمكنه الرجوع إلى المصادر الآتية:

- ابن حنبل، أحمد بن محمد: المسند، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة: دار الحديث: ٤١٦/٨.
- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد: العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين، وأحمد الزين، وإبراهيم الأبياري، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر (١٩٥٦م)، ج٢، ص٢٩٢.
- ابن حبّان البستي، محمد: روضة العقلاء، تحقيق: محمد حامد الفقي، القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، ص٢٢٩، ٢٣٢.
- الحموي، ياقوت: معجم الأدباء، تحقيق: فريد الرفاعي، طبعة مصورة في بيروت، (بلا تاريخ) ج٨، ص٤٦.
- ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١، ص٢٩٥.
- الوشاء، الموشى، ص١٥، ٥٢.
- ابن عبد البرّ، بهجة المجالس، ج١، ص٦٤٠.

(٦١) الوشاء، محمد بن إسحق: الموشىّ، ص٥١، وورد الحديث نفسه، باختلاف يسير في: بهجة المجالس، لابن عبد البر ج١، ص٦٤٠.

(٦٢) ابن عبد ربه، أحمد بن محمد: العقد الفريد، ٢٩٢/٢، وهذا الحديث لم يرد في «المعجم المفهرس للأحاديث النبوية»، وهو نفسه ورد على أنه من قول «الحسن»!! في عيون الأخبار ٢٩٥/١.

www.mtenback.com

إذن فلا غرو أن تكون المروءة «حلية النفوس، وزينة الهمم»؛ لأنها من شواهد الفضل ودلائل الكرم.. وقد سئل أحدهم عن الفرق بين العقل والمروءة فقال: «العقل يأمرك بالأنفع، والمروءة تأمرك بالأجمل»[٦٣].

وليس هناك تعارض بينهما إلا أن للعقل رأيه في تصرفات الإنسان وأعماله التي تمليها مصلحته من جانب وتمليها المروءة من جانب آخر، فيوازن بين المصلحة الذاتية البحتة وبين النفع العام الذي يتعدى إلى غيره وإن لم يرجع بنفع مادي إليه، وعلى هذه المحاور تقوم المروءة وتغلب طبيعة الكريم ومروءته أمر عقله بالنفع الخاص له.

الخلاف في تحديد مفهوم المروءة:

يبدو أن اندراج مفهوم المروءة في صالح الأخلاق ومكارمها، بمجيء الإسلام، جعل المسلمين منذ عصر النبوة يحاولون معرفة مظاهر المروءة وصفاتها، ليتخذوها منارات يهتدون بها في حياتهم ومعاملاتهم ومختلف تقلباتهم، وآية ذلك الاختلاف منذ عصر النبوة، في تعريف المراد من المروءة، ما ذكره ابن عبد البر القرطبي حيث قال: «تذاكروا المروءة عند رسول الله ﷺ، فأكثروا فيها، فقال: أما مروءتنا فأن نعفو عمّن ظلمنا، ونعطي من حرمنا، ونصِل من قطعنا»[٦٤].

فقول الراوي: «فأكثروا فيها» يشير إلى تعدد الآراء ووجوه القول عند الصحابة في توضيح معنى المروءة أو تحديده تحديداً لا لبس فيه، وهذا ما لم يصلوا إليه، حتى حسم الرسول عليه السلام الأمر بما ذكره لهم عن مفهوم المروءة عند فريق من الناس وقد يكون فيما مرّ بنا من اختلاف مفهوم المروءة بين الناس أو من مجتمع إلى مجتمع آخر دليل على تعدد معناها بحسب عادات المجتمع وتقاليده ومواضعاته الاجتماعية واتفاق أفراده على خلق من الأخلاق واستحبابهم له دون غيره وانتشار هذا الخلق في حيّز من الأرض أو قطاع من المجتمع.

---

[٦٣] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص٣٠٦.

[٦٤] ابن عبد البر: بهجة المجالس، ١/٦٤٠.

www.mtenback.com

وهذا الاختلاف في الآراء والأقوال متوقع الحصول في ذلك العصر الذي بدأت تقام فيه قواعد الدولة الجديدة، على أسس قوية من أركان التشريع، وبناء حياة المسلمين في عباداتهم ومعاملاتهم وأخلاقهم وسلوكهم، حتى يكون ذلك كله وفق تعاليم الإسلام وأحكامه، لا ينحرف المسلم عنها ولا يجور عليها.

ومن هنا بدأ مفهوم «المروءة» يتسع شيئًا فشيئًا، وتتعدد فيه وجهات النظر، وكأنها استمرار لما بدر من هذا التعدد في صدر الإسلام. آية ذلك أن صاحب كتاب «غرر الخصائص الواضحة» قال وهو يمهّد لكلامه عن المروءة: وقد جمع الله تعالى متفرقاتها في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ﴾[٦٥]، وجمعها النبي عليه الصلاة والسلام على نوع آخر فقال: «من عامل الناس فلم يظلمهم..»[٦٦]، وجمعها بعضهم على نوع آخر فقال: باب مفتوح، وخير ممنوح، وستر مرفوع، وطعام موضوع، ونائل مبذول، وكلام معسول، وعفاف معروف، وأذى مكفوف. وجمعها آخر فقال: «مروءة الرجل صدق لسانه، واحتمال عثرات إخوانه، وبذل المعروف لأهل زمانه، وكف الأذى عن جيرانه»[٦٧].

وعلى مرّ العصور واتساع رقعة الدولة الإسلامية وازدهار العلوم والآداب، وكثرة حلقات الدرس والأمالي في عواصم البلاد العربية والإسلامية ومدنها الكبرى، وكثرة الرحلات في طلب العلم، والسعي إلى لقاء العلماء في مختلف الميادين، وانعقاد مجالس العلم في كل مكان، ولا سيما قصور الخلفاء والولاة والأمراء؛ طرحت مسائل

---

[٦٥] سورة النحل: ٩٠.

[٦٦] لم نثبت هنا نصي الآية الكريمة والحديث النبوي لأنه سبق ذكرهما من قريب.

[٦٧] الوطواط، غرر الخصائص الواضحة، ص ٤١ - ٤٢ وانظر في هذا المعنى أيضًا: روضة العقلاء للبستي، ص٢٣٠-٢٣٢.

www.mtenback.com

ومشكلات أدبية ولغوية ونحوية كثيرة، فضلاً عن قضايا أخرى في الدين والتاريخ والفلسفة وما إليها.. كل ذلك ساعد على ظهور نخبة متنوّرة ناضجة من العلماء والحكماء والفلاسفة والبلاغيين والفقهاء والرؤساء والمقدّمين في قومهم.. وهؤلاء جميعًا كانوا مطمح أنظار من حولهم، وموضع احترامهم وتقديرهم. وكثيرًا ما كان أمثال هؤلاء الأعلام يتحدثون في مجالسهم عن قضايا سلوكية وأخلاقية واجتماعية أو يُسألون عن آرائهم في تلك القضايا ومدلولاتها الحياتية أو الأدبية أو اللغوية، كالإيثار، والتواضع، والشهامة، وإكرام الجار والضيف، وما إلى ذلك من القيم الأخلاقية والسلوكية المختلفة، فكان أولئك الأعيان يجيبون سائليهم، معتمدين في إجاباتهم على خبراتهم في الحياة، وعلى عقولهم الناضجة، وأفكارهم النيّرة، وآفاقهم الواسعة، ومخزونهم العميق.. ومن الطبيعي أن تتفق أقوالهم وآراؤهم حينًا، وتختلف حينًا آخر، لأنه ليس هناك حدود واضحة، تميّز تلك القِيَم، بعضها من بعض، ولا تعاريف جامعة مانعة تزيل حجب الالتباس والغموض التي تعوق الفهم. ولا يختلف الأمر في هذه الحالة عما نألفه في زماننا هذا، ففي أذهان المثقفين والأدباء والنقاد مفاهيم عامة عن الشعر مثلاً، أو عن الفن، أو الأدب، أو الجمال أو الشرف، ولكنك لو سألت كل واحد منهم عن مفهوم الشعر لديه، وكذا سائر الاصطلاحات الأخرى لوجدت بين يديك إجابات كثيرة، متّفقة أو مختلفة، كما أن إجاباتهم قد تتفق مع تعريف المعاجم اللغوية لتلك الألفاظ، أو تختلف قليلاً أو كثيرًا، وتلك طبيعة الخلق والسلوك حيث تخضع هذه الأمور عند التعريف لاجتهاد الإنسان وتحديده للمراد من فضائل التعامل مع الآخرين وكيف ينظر إليها.

وليست «المروءة» بدعًا في ذلك، فإذا كان تعريفها اللغوي متفقًا عليه بين أصحاب المعاجم اللغوية أو قريبًا من الاتفاق، فإن التعريف إذا جاوز نطاق المعاجم اللغوية لابدّ أن يختلف من رجلٍ إلى آخر، حسب ما عُرف به كل واحد بين الناس من حكمة أو طبّ أو فقه أو إمارة، أو خلافه، أو غير ذلك من أنواع الاختصاص التي

www.mtenback.com

يغلب على الرجل الاتصاف بواحدٍ منها أو أكثر. ويعود سبب ذلك الاختلاف في الآراء والأحكام إلى المتحدثين الذين يخوضون في الجزئيات ودقائق الأمور، خلافًا لأصحاب المعاجم الذين يكتفون بالكليات والخطوط العريضة.

فلا عجب إذن أن يكون شأن تلك الأقوال المختلفة في الإحاطة بالجوانب الدلالية للمروءة شأن البلاغات المعاصرة الصادرة عن الدولة مع الدساتير وما فيها من إيجاز وتكثيف واختصار ووقوف عند المفاهيم العامة للأمور، وتأتي بعد ذلك جملة من القوانين والمراسيم والقرارات الموضحة أو المعدِّلة أو المجتهدة.

هكذا إذن شأن «المروءة» حين يهدف المسؤول عنها إلى تحديد معناها، أو بيان علاماتها ودلائلها، أو تفصيل الكلام في جانب من جوانبها.

وفي هذه الحال نلحظ المؤلفين والدارسين يتتبَّعون ما قيل في المروءة على ألسنة أعيان الأمة في مختلف العصور، ويملؤون بها صفحات كتبهم، وكثيرًا ما تصدر عن واحدٍ منهم عدة أقوال في تعريف المروءة.

ونعرض هنا جملةً من تلك الأقوال والآراء، على اختلاف أصحابها وأزمنتهم وصفاتهم، مع مراعاة التسلسل التاريخي قدر الإمكان:

قال علي بن أبي طالب: «مروءة الرجل حيث يضع نفسه»[٦٨]. أما عبد الله بن عباس فقد قال: «المروءة أن تحقِّق التوحيد، وتركب المنهج السديد، وتستدعي من الله المزيد»[٦٩]. كما روي عن ابن عمر أنه كان يقول: إنا معشر قريش، كنّا نعدّ الجود، والحِلْم والسؤدد. ونعدّ: العفاف وإصلاح المال: المروءة[٧٠]. في حين سئل الحسن بن علي عن المروءة، فقال: الدين، وحسن اليقين[٧١].

---

[٦٨] الوشاء: الموشّى، ص٥٢.

[٦٩] الراغب الأصفهاني، حسين بن محمد: محاضرات الأدباء، نشر المكتبة الحيدرية، قم (١٤١٤هـ)، ٣٠١/١.

[٧٠] المبرّد: كتاب الكامل ٤٥/١.

[٧١] التوحيدي، أبو حيان: البصائر والذخائر ٢٤٠/١.

www.mtenback.com

ولمعاوية بن أبي سفيان قول مشهور وهو أن المروءة احتمال الجريرة، وإصلاح أمر العشيرة[٧٢]، وقدم وفد على معاوية من العرب فقال لهم: ما تعدّون المروءة؟ قالوا: العفاف، وإصلاح المعيشة. قال: اسمع يا يزيد[٧٣].

وسأل معاوية أحد فتيان قريش: ما المروءة؟ فقال: إطعام الطعام، وضرب الهام. وقال ذلك لثقفيٍّ، فقال: هي تقوى الله، وإصلاح المعيشة، فقال لعمرو (ابن العاص): اقض بينهما، فقال: أما ما قال القرشيّ فهو المروءة، وقد أجاد الثقفي ولم يصب، ولكن من بدأ بكلام حسن زَيَّنَ بذلك سائر كلامه، وإن المروءة أن تعطي من حَرَمَكَ، وتعفو عمّن ظَلَمَكَ[٧٤].

وعندما سئل عمرو بن العاص عن المروءة؟ قال: العفّة عمّا حَرُم[٧٥].

ورويت عن الأحنف بن قيس أقوال كثيرة في المروءة، وتعريفها، وصفاتها، منها أنه سئل: ما المروءة؟ فأجاب: ألاّ تعمل في السرّ ما يُستحيا منه في العلانية[٧٦]. وقيل له مرة أخرى فقال: اجتناب الريب، فإنه لا يَنْبُلُ مريب، وإصلاح المال، فلا مروءة

---

[٧٢] المبرد، كتاب الكامل، ٤٥/١، وورد قول معاوية أيضًا في: الحصري القيرواني: زهر الآداب، ضبط وشرح: زكي مبارك، نشر المكتبة التجارية الكبرى، ط٢، القاهرة (١٩٢٩م)، ٨٩/١ والجريرة: الجناية، واحتمال الجريرة كفاية عن دفع الدية لئلا يؤخذ الجاني بجنايته.

[٧٣] ابن عبد ربه: العقد الفريد ٢٩٢/٢ ويزيد: هو ابن معاوية وولي العهد بعده، وجّه الخطاب إليه تعليمًا له وتنبيهًا.

[٧٤] الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء، ٣٠١/١.

[٧٥] المصدر السابق نفسه.

[٧٦] المصدر السابق نفسه، ونسب القول نفسه، باختلاف يسير في اللفظ، إلى محمد بن عمزان في البيان والتبيين ١٧٦/٢ وبلا نسبة إلى قائله في كلٍ من التهذيب للأزهري ٢٨٧/١٥ والغرر للوطواط ٢١ وتاج العروس «مرأ».

www.mtenback.com

لمحتاج، والقيام بحوائج الأهل، فلا مروءة لمن يحتاج قومه إلى غيره[٧٧]. وقيل لـه: مـا المروّة؟ قال: إصلاح المعيشة، واحتمال الجريرة[٧٨]. وقيل له أيضًا: ما المروءة؟ فقـال: العفّة والحرفة[٧٩].

وسئل الأحنف أيضًا عن المروءة فقال: التفقّه في الدين، وبِرّ الوالدين، والصـبر على النوائب[٨٠]. أما الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان فـيرى المـروءة: مـوالاة الأكفاء، ومداجاة الأعداء[٨١]. وكان عروة بن الزبير يقول لولده: يا بنيّ، العبوا، فـإن المروءة لا تكون إلا بعد اللعب[٨٢]. يقصد باللعب التعلق بالفضائل وتحشيم النفـس لمطالب المجد وإذهاب المال وإنفاقه في سبل تشبع نهم الرجال الذي يطلبـون الرفعـة والشرف ويرتقون إلى مكارم الأخلاق وكأنهم ببذلهم وإنفاقهم يلعبون بالمعنى الإيجابي للعب. فضلاً عن أن في اللعب استجابة طبيعية لتكوين الإنسان في سنّ معينة، تهيئ لـه السواء النفسي والجسمي فيصير مستعداً لتمثل الفضائل والتلبس بها في حينها بعـد أن تمتع بالصحّة والقابلية لذلك.

وسئل ابن شهاب الزهري عن المروءة، فقال: اجتناب الرِّيب، وإصلاح المـال، والقيام بحوائج الأهل[٨٣].

---

[٧٧] الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء ٣٠١/١. وانظر الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص ٣١٨.

[٧٨] الوشاء: الموشى، ص٥١.

[٧٩] الأزهري: التهذيب ٢٨٧/١٥ والماوردي: أدب الدنيا والدين، ص ٣١٧.

[٨٠] ابن عبد البر، بهجة المجالس ٦٤٢/١.

[٨١] المبرد: كتاب الكامل ٤٥/١. يريد: مداراتهم، وعدم إظهار العداوة لهم.

[٨٢] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ٢٩٥/١ وعروة بن الزبير: هو أخو عبد الله ومصعب، أحد الفقهاء السـبعة في المدينة المنورة، كان عالمًا بالدين، صالحًا كريمًا، توفي سنة ٩٣هـ.

[٨٣] ابن عبد البر: بهجة المجالس ٦٤٢/١ وابن شهاب: محمد بن مسلم، المعروف بابن شهاب الزهـري، أحد أكابر الحفّاظ والفقهاء، وأول من دوّن الحديث النبوي، توفي سنة ١٢٤هـ.

www.mtenback.com

ويذكر ربيعة الرأي أكثر من صورة للمروءة فيجعلها في ست خصالٍ ثلاث في الحضر، وثلاث في السفر: فأما التي في السفر: فبذْل الزاد، وحسن الخُلُق، ومداعبة الرفيق. وأما التي في الحضر: فتلاوة القرآن ولزوم المساجد، وعفاف الفرج[٨٤]. ويفصل سلْم بن قتيبة فيجعل الدنيا هي العافية، والصحة هي الشباب، والمروءة هي الصبر على الرجال[٨٥].

ولسفيان بن عُيينة عن المروءة مقال آخر، فهي عنده: الإنصاف من نفسك، والتفضل على غيرك. واستدل على ذلك بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ لا تتمّ المروءة إلاّ بهما: العدلُ هو الإنصاف، والإحسان هو التفضُّل[٨٦].

أما أبو عبد الله، عمرو بن عثمان فيجمل المروءة في التغافلُ عن زلل الإخوان[٨٧]. يريد احتمال المرء خطأ صحبه، وعدم محاسبتهم على هفواتهم.

وسئل أبو العباس الآدمي: ما المروءة؟ فقال: ألاّ يستكثر له عملاً[٨٨].

أما أبو الطيب الوشاء فيورد أقوالاً للسابقين، في تعريف المروءة، ثم ينهي كلامه عليها بقوله: «واعلم أن من المروّة أيضًا عشر خصال: لا مروّة لمن لم يكن فيه الحِلْم،

---

[٨٤] ابن عبد ربه، العقد الفريد ٢/٢٩٢ وورد قول ربيعة هذا في بهجة المجالس لابن عبد البر ١/٦٤٣ وروضة العقلاء لابن حبان، ص٢٣٢ باختلاف يسير، وربيعة الرأي: هو ربيعة بن فروخ، إمام حافظ فقيه مجتهد، كان بصيرًا بالرأي ومن الأجواد، توفي ١٣٦هـ.

[٨٥] ابن قتيبة، عيون الأخبار ١/٢٢٥ وسلْم: هو ابن قتيبة بن مسلم الباهلي، والي البصرة، كان من عقلاء الأمراء، من الموثوق بهم في دولتي بني أمية والعباس، توفي سنة ١٤٩هـ.

[٨٦] ابن عبد البر، بهجة المجالس ١/٦٤٤.

[٨٧] ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، نشر المكتب التجاري، بيروت، (بلا تاريخ) ٢/٢٢٦ وعمرو بن عثمان، كان من الزهاد العبّاد، توفي سنة ٢٩٧هـ.

[٨٨] ابن العماد، شذرات الذهب ٢/٢٥٧، وأبو العباس الآدمي هو أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء، زاهد ناسك، توفي سنة ٣٠٩هـ.

www.mtenback.com

والحياء، وصدقُ اللهجة، وتركُ الغيبة، وحسنُ الخلق، والعفو عند المقدرة، وبذلُ المعروف، وإنجاز الوعد»[٨٩].

هذه جملة من الأقوال في تعريف المروءة سلوكيًا واجتماعيًا، وكلّها صادرة عن أناس لهم منزلتهم في المجتمع، إذ فيهم الخلفاء والولاة والصحابة، والتابعون ومن بعدهم، والحكماء، والصُّلحاء والقضاة والأدباء، وقد تروى تعريفات أخرى للمروءة لا تنسب إلى رجال بأعيانهم، بل تقدم إلى القارئ بعبارة: «وقيل لآخر: ما المروءة؟» أو: «وسئل آخر عن المروءة فقال..». ومن هذا قولهم في تعريف المروءة: هي مواطأة القلب اللسان[٩٠] وتعاطي المرء ما يُستحسن وتجنب ما يُسترذل[٩١]. وصيانة النفس عن الأدناس، وما يشين عند الناس. والسمت الحسن، وحفظ اللسان، وتجنب المجون[٩٢].

وكان لابد من إيراد هذه التعريفات والأقوال في ماهية المروءة، مقرونًا بعضها إلى بعض، ليكون بين أيدينا نصوص كاملة تمكّننا من أن نوازن بينها ونتبين أوجه الاتفاق والاختلاف. ولا سيما أنها ترجع إلى أزمنة مختلفة، وأن الرجل الواحد أحيانًا تروى عنه عدة أقوال أو تعريفات في آن واحد، وقد يكون قالها في مجالس مختلفة.

ويلاحظ أن هذه الأقوال يجمع بينها أحيانًا جوانب مشتركة: كالجود، والحلم، والعفاف، وإصلاح المال، والقيام بحوائج الناس، والعفة، والتقوى. إلى غير ذلك من فضائل الأعمال. وبعضهم ينفرد بذكر فضائل ومآثر أخرى تندرج في مفهوم المروءة: كاحتمال الجريرة، وعفو المرء عمّن ظلمه، وألا يفعل في السرّ ما يستحي منه في العلانية، وبرّ الوالدين، ومداجاة الأعداء، وتلاوة القرآن.

---

[٨٩] الوشاء: كتاب الموشّى، ص٥٣ وقد ذكر المؤلف أن للمروءة عشر خصال، ولم يورد سوى ثمان، والوشاء مؤلف الكتاب: هو أبو الطيب محمد بن إسحق، عارف بالأدب، توفي سنة ٣٢٥هـ.

[٩٠] الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء ١/٣٠١.

[٩١] الزبيدي: تاج العروس، مادة «مرأ».

[٩٢] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

وهذا كله يدل على أن مدلول «المروءة» ليس محدداً، وأنّها جماع عدد من مكارم الأخلاق فضفاضة لا تحدها حدود، ولا تحيطها عبارة، ولا تحصر في خصلة أو خلّة من الخصال الحميدة بل كل مايدعو إلى مكارم الأخلاق يمكن أن يُعدّ من المروءة، وكل مايجمل بالمرء في الدين وأمور الدنيا داخل في المروءة. وحسبنا علماً بأن الذين تحدثوا عن ماهية المروءة هم من ذوي المروءات، وفيهم خصالها، ولذلك كانوا دائماً مسؤولين عنها مستفهمين عن كنهها، لقربها من سجاياهم. ولما عرفوا به من التلبس بمستلزماتها.

ويعود ذلك إلى أن كلمة «المروءة» ترمز إلى فضائل كثيرة، ومآثر حميدة لا يمكن حصرها وتعدادها، فهي شبيهة بألفاظ أخرى تتردد مراراً على ألسنة الناس والكتاب ولكنك لو طلبت ممن يستخدمها في كلامه أو في كتابته أن يحدّد لك معناها تماماً لما وجد إلى ذلك سبيلاً. ومن ذلك - على سبيل المثال - ألفاظ الرجولة، والشهامة، والنخوة، ومكارم الأخلاق، وغير ذلك من ألفاظ سبقت الإشارة إليها، وهي كلمات وجمل لا يمكن تعريفها تعريفاً جامعاً مانعاً والسبب هو اتساع معناها وتشعّب دائرة الاتصاف بها وشمولها، وهي ميزة لها، حيث إن التعريف المحدد يضيق مساحة المعنى الذي يتردد في أذهان الناس، فكانت هناك تعريفات عامة شاملة مثل عموم المروءة وشمولها. على أن تلك التعريفات المختلفة للمروءة تنبع كلّها، أو معظمها، من المفهوم اللغوي العام لهذه القيمة الأخلاقية، وهو أنها «آداب نفسانية تحمل مراعاتها الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات»، فهذا التعريف، على وضوح معناه، يحتمل تأويلات كثيرة حين نريد أن نعيّن تلك «الآداب النفسانية».

آية ذلك أن صاحب كتاب «أدب الدنيا والدين» بعد أن أفاض في الكلام على المروءة، معناها، وصورها، وشرائطها، قال في خاتمة كلامه: «فهذا ما اقتضاه هذا الفصل من شروط المروءة، وإن كان كل كتابنا هذا من شروطها، وما اتصل بحقوقها»[٩٣].

---

[٩٣] الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص ٣٣٤.

www.mtenback.com

وإذا قرأنا كلام الماوردي هذا، ورجعنا إلى موضوعات كتابه التي صرّح بأنها تتصل بالمروءة، وجدناها جملة من الفضائل التي وقف عندها الماوردي وفصّل في الكلام عليها: كالعقل، والعلم، والتعلم، وكل ما يتصل بأدب الدنيا وأدب الدين: من قيام بالفرائض، واتخاذ للإخوان، وبرٍّ، وحياء، وحلم، وصدق، وصبر، ومشورة، وكتمان للسر، فضلاً عن آداب مختلفة في المأكل والملبس والنوم... فلا عجب، بعد ما تقدم، أن يتسع مفهوم المروءة في الأذهان على مرّ العصور، بخلاف فضائل أخرى لا نجد عسراً في تحديد معانيها ومدلولاتها، مثل: رعاية الجار، وكتمان السر، والكرم..

فلا ضير إذن من تعدد الآراء والتعريفات التي تسعى إلى توضيح مفهوم المروءة وصورها وجوانبها المختلفة، إذ لابد أن يستقرّ في الأذهان بعد ذلك مفهوم عام ثابت الدعائم، يقوم على أسس راسخة، وثوابت واضحة يتكفل بخلودها تطور الحياة وتقدم الحضارة، وازدياد الخبرات الأدبية واللغوية والثقافية، كما هو شأن فنون وقيم أخرى: كالشعر، والنحت والرسم، والأخلاق، وأدب النفس.. وفي الوقت نفسه تضمحلّ مدلولات أخرى وتتلاشى أو تتغير وتتبدّل على مر العصور، كما هو شأن كثير من الحالات التي عُدّت قديمًا من جوهر المروءة ولبّها، ولكنها لم تعد تذكر اليوم على أنها كذلك، على الرغم من أنها جميلة في ذاتها، وحائزة على قبول الناس ورضاهم. كالذي ورد في قول الخليفة الراشد عمر بن الخطاب: «تعلّموا العربية فإنها تزيد في المروءة»[٩٤].

ومثله ما كتب به الخليفة عمر أيضًا إلى أبي موسى الأشعري: «خذ الناس بالعربية، فإنه يزيد في العقل ويثبت المروءة»[٩٥]. وقول ابن شهاب الزهري: الفصاحة من المروءة[٩٦]. ومنه أيضًا ما ورد في قول الأصمعي: «ثلاثة تحكم لهم بالمروءة حتى يُعرفوا: رجل رأيته راكبًا، أو سمعته يُعرب، أو شممت منه رائحة طيبة»[٩٧].

---

(٩٤) ابن قتيبة: عيون الأخبار ١/٢٩٦.

(٩٥) الأزهري: تهذيب اللغة، ١٥/٢٨٧ «مرأ»؛ والزبيدي، تاج العروس «مرأ».

(٩٦) ابن عبد البر: بهجة المجالس ١/٦٤٢.

(٩٧) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ١/٢٩٦.

www.mtenback.com

فالفصاحة، وتعلم العربية، وركوب الدابة، واستعمال الطيب، كل هذه أمور مستحبة أو مقبولة، ولكنها اليوم - على فضلها - لا تعدّ من لوازم المروءة، ولم تعد تهمّ إلا ذلك الذي يبحث في التطور الدلالي لمفهوم المروءة.

ومن مظاهر التطور الدلالي لمفهوم المروءة على مر الزمن، أن هذا التطور قد يكون مجانبًا للطريق الصحيح، بعيدًا عن المنهج السليم الذي انعقد الإجماع عليه أو كاد، وعندئذ يكون هذا الانحراف عن المنهج السليم موضع مرارة وسخرية، ومجال استغراب وإنكار. وهذا ما يعبّر عنه قول ابن قتيبة في مقدمة كتابه «أدب الكاتب» حين يقول: «فإني رأيت أكثر أهل زماننا هذا عن سبيل الأدب ناكبين، ومن اسمه متطيّرين، ولأهله كارهين وآضت - أي رجعت - المروءات في زخارف النَّجْد، وتشييد البنيان، ولذّاتُ النفوس في اصطفاق المزاهر ومعاطاة النَّدْمان، ونُبذت الصنائع، وجُهل قدر المعروف وماتت الخواطر، وسقطت همم النفوس. وزُهد في لسان الصدق وعَقْدِ الملكوت»[٩٨].

فابن قتيبة يظهر في كلامه هذا استياءه مما صار إليه أمر المروءة في عصره - وهو القرن الثالث للهجرة - وينكر على أهل زمنه انصرافهم عن التحلي بفضيلة المروءة الصِّرْف، إلى الاهتمام بمظاهر الترف والنعيم، من زينة ورياشٍ ثمين، ورفع البنيان وإطالته، وكأن ابن قتيبة يحاول - في بقية كلامه - أن يلمح إلى جملة من صور المروءة ومعانيها التي ينشدها، وإن لم يذكر المروءة بلفظها، كالإحسان وبذل المعروف، ويقظة الخاطر، وعلوّ الهمة، والرغبة في الذكر الحسن، وبلوغ مراتب الكمال.

---

[٩٨] ابن قتيبة: أدب الكاتب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ط٢، (١٩٥٨م)، ص١-٢. ناكبين: عادلين عنه، والنَّجْد: ما نُضّد من متاع البيت. والمزهر: العود. واصطفاق المزاهر: الضرب بها واجتلاب أصواتها. والصنائع: جمع صنيعة وهي الإحسان. ومعنى الجملة الأخيرة أن الرغبة قد قلّت في طلب الثناء الحسن، وفي بلوغ مراتب الكمال، لضعف همم الناس، وأصل معنى العَقْد: الشرّ، والملكوت: المُلك.

www.mtenback.com

وهذه كلها معانٍ وصُور تضاف إلى ما سبق من أقوال على ألسنة أعيان الرجال، تعددت مناحيها ووجوه الرأي فيها. وهذا ما يفعله أيضًا من أفردوا في كتبهم صفحات أو أبوابًا للكلام على المروءة، فنراهم يوردون خلال ذلك أبياتًا لم يرد فيها لفظ المروءة، بل اشتملت تلك الأبيات على جوانب من المروءة ودلائلها. ومن ذلك - على سبيل المثال - قول الشاعر منبهًا إلى مسؤولية الإنسان في التحلّي بأسباب المكارم والمحامد وداعيًا إلى أن يلتزم الأخلاق السامية الصالحة التي توفّر له الشرف والمروءة[٩٩]:

وَمَا الْمَرْءُ إِلاَّ حَيْثُ يَجْعَلُ نَفْسَهُ ... فَفِي صالِحِ الأَخْلاقِ نَفْسَكَ فَاجْعَلِ

وقول الآخر مشيرًا إلى أن شرف الأصل وطيب معدن الآباء والجاه الرفيع السابق؛ ما أيسر أن يهدمه ابنٌ وضيع الخلق ساقط المروءة[١٠٠]:

فَإِنْ قُلْتَ: لِي آبَاءُ صِدْقٍ وَمَنْصِبٌ ... كَرِيمٌ، وَإِخْوانٌ مَضَتْ، وَجُدُودُ

صَدَقْتَ، وَلَكِنْ أَنْتَ هَدَّمْتَ مَا بَنَوا ... بِكَفِّكَ عَمْدًا، وَالْبِناءُ جَدِيدُ

وقول مسلم بن الوليد، الملقّب بصريع الغواني يذكر أن خلق المروءة الذي كان يدفعه للكرم وعون المحتاجين، مع التعفّف عن طلب الدنيا ومتاعها، هو شرف مجيد تمسك به منذ عهد بعيد[١٠١]:

وَمَا ذَمِّيَ الأَيَّامَ أَنْ لَسْتُ حامِدًا ... لِعَهْدِ لَيالِيَّ الَّتِي سَلَفَتْ قَبْلُ

أَلا رُبَّ يَوْمٍ صادِقِ الْعَيْشِ نِلْتُهُ ... بِها، وَنَدامايَ العَفافَةُ وَالبَذْلُ

---

[٩٩] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢٩٣/٢ تحت عنوان «المروءة».

[١٠٠] البستي، روضة العقلاء، ٢٣٠ تحت عنوان: «ذكر الحث على إقامة المروءات».

[١٠١] ابن عبد البر: بهجة المجالس، ٦٤٦/١ «باب المروءة والفتوة» والبيتان في ديوان مسلم، بتحقيق: الدهان ص٨٩، ٩١.

www.mtenback.com

وقال منصور الفقيه مبيّنًا أن الورع واتقاء المحارم هو عين المروءة، حيث لاينفع جاهٌ ولا نسب ولا فصاحة إذا لم يصدّقها نُبل الخلق والتعفّف عن الدنايا[١٠٢]:

فَضْلُ التُّقى أَفْضَلُ مِنْ ... فَضْلِ اللِّسَانِ والحَسَبْ

إذا هُما لَمْ يُجْمَعا ... إلى العَفافِ وَالأَدَبْ

وقد ميز منصور الفقيه المروءة عن غيرها من صنوف الأدب وما يتجمل به الإنسان من علم أو دراية بالشعر أو رواية للأخبار وزعم أن ذلك كله هين قليل لا يرتفع به مقام صاحبه إذا لم يجمع مع كل خصال الأدب والعلم شيئاً من خصال المروءة فيزيّن مكاسبه الأدبية ومعارفه بضرب حسن من خلق المروءة فقال[١٠٣]:

لَيْسَ الأَدِيبُ أَخا الرِّوا ... يَةِ لِلنَّوادِرِ وَالغَرِيْبْ

وَلِشِعْرِ شَيْخِ المُحْدَثِيـ ... ـنَ أَبِي نُوَاسٍ أَوْ حَبِيْبْ

بَلْ ذُو التَّفَضُّلِ وَالمُرُو ... ءَةِ وَالعَفافِ هُوَ الأَدِيبْ

فهذه الأبيات جميعًا، وردت في سياق أبواب تتحدث عن المروءة وما قيل في تعريفها، وتضمنت ألفاظًا وإشارات سُلكت في نظام مفهوم المروءة من دون أن يذكر في بعض تلك الأبيات لفظ «المروءة» بعينه: مثل: صالح الأخلاق، وكرم النسب، وكثرة الإخوان، والعفاف، وبذل المال.. وبعضها جديد بالقياس إلى الأقوال التي رويت من قبل على ألسنة الأعيان من الرجال.

المروءة في أمثال العرب وحكمهم:

وكما كان للمروءة نصيب في أقوال الخلفاء والولاة والفقهاء ومن إليهم في مجالس القوم ومحاوراتهم، فقد كان لها حيّز أيضًا فيما يتناقله الناس من الحكم والأمثال

---

[١٠٢] ابن عبد البر: بهجة المجالس، ٦٤٦/١.

[١٠٣] الحموي، ياقوت: معجم الأدباء، دار إحياء التراث العربي بيروت (د.ت) ج١١، ص١٩٨.

www.mtenback.com

العربية، وهذه الحكم والأمثال التي وصلت إلينا لا تعنى بتعريف المروءة على الأنواع التي سبقت، وإنما تتناول ما يزين المروءة حينًا كقولهم: «تاج المروءة التواضع»[١٠٤] - وهو من أمثال المولدين - وما يشينها ويعيبها تارة أخرى، كخلف الموعد، والمراء، وذلك في قولهم الذي ينسب إلى عوف الكلبي: «آفة المروءة خُلْفُ الموعد»[١٠٥] وقولهم الآخر: «من ترك المراء سلمتْ له المروءة»[١٠٦]، والمراء - كما هو معلوم - الجدال. وأضافوا في أمثالهم إلى خُلف الموعد والمراء، آفة ثالثة من آفات المروءة وهي الكذب، والكذب فيه، أصلاً، المأثم والعار، فكيف يليق بصاحب المروءة أن يكون كذوبًا؟ وعلى هذا جاء المثل العربي القديم، وهو قولهم: «لو لم يترك العاقلُ الكذب إلا للمروءة، لكان حقيقًا بذلك، فكيف وفيه المأثم والعار؟»[١٠٧].

وهذه الأمثال، وما ورد من نظائرها، تهدف إلى التعليم والتربية والتوجيه، كما هو شأن الأمثال القديمة عامة، فهي نابعة من الخبرة والتمرس بتجارب الحياة وعِشرة الناس، فمن الطبيعي ألاّ تخرج عن هذا الهدف في صياغتها وفحواها.

المروءة في أكمل صورها:

يحلو لبعض من خاضوا غمار المروءة أن يفصلوا في صفات وفضائل أخرى تكمل بها المروءة وتتمّ، وكأنهم يعدّونها عناصر أساسية لابد منها، وإلا بقيت تلك المكرمة ناقصة، وهنا لا نجد الأسئلة توجّه إلى أولئك الأعيان من الرجال، وإنما يبادرون من تلقاء أنفسهم إلى بيان آرائهم فيما تتم به المروءة وتكتمل.

ويرد هنا على ألسنتهم جملة من المآثر، مرّ بعضها فيما سبق من تعريفات للمروءة، وهنا يبدو الاختلاف الذي يعبّر عن وجهة نظر صاحبه فيما ذهب إليه،

---

[١٠٤] الميداني: مجمع الأمثال ١/١٥١.

[١٠٥] المصدر السابق، ١/٥٩، المثل رقم ٢٦٩.

[١٠٦] المصدر السابق ٢/٢٩٦، المثل رقم ٣٩٩٤.

[١٠٧] المصدر السابق، ٢/٢١٠، المثل ٣٤٨٣.

www.mtenback.com

كقول محمد بن علي بن الحسين: «كمال المروّة الفقهُ في الدين، والصبر على النوائب، وحُسن تقدير المعيشة»[١٠٨]. وقول العُتْبي عن أبيه: «لا تتم مروءة الرجل إلا بخمس: أن يكون عالمًا، صادقًا، عاقلاً، ذا بيان، مستغنيًا عن الناس»[١٠٩].

فالفقه في الدين، والصبر على الشدائد، وحسن تقدير المعيشة، والصدق، والفصاحة.. كلّها صفات استدعتها المروءة عامةً، من قبل، و لم تنل أهمية خاصة كتلك التي حظيت بها هنا.

وقد تكون العناصر التي تتم بها المروءة جديدة خالصة، أو ممزوجة بعناصر مكررة، ومن هذا قول بعضهم: «من تمام المروءة أن تنسى الحق لك، وتذكر الحق عليك، وتستكبر الإساءة منك، وتستصغرها من غيرك»[١١٠]. وقول سلْم بن قتيبة: «لا تتم مروّة الرجل حتى يصبر على مناجاة الشيوخ الدُّرْد»[١١١].

وقول بعضهم: «من كمال المروءة: أن تصون عرضك، وتكرم إخوانك، وتقيل في منزلك»[١١٢]، وقول الآخر: «من أمات شهوته أحيا مروءته»[١١٣].

وهذا الاختلاف فيما يتمم المروءة أشبه باختلاف الناس فيما هو رابع المستحيلات، فقد اتفقوا على أن المستحيلات ثلاثة: الغُول، والعنقاء[١١٤]، والخِلّ الوفي، لكنهم اختلفوا في رابعها، فالمستحيل الرابع عند زيد غير ما هو عند عمرو،

---

[١٠٨] الوشاء: الموشى، ص٥١.

[١٠٩] ابن عبد ربه: العقد الفريد ٢/٢٩٣.

[١١٠] الأبشيهي: المستطرف في كل فن مستظرف، القاهرة، المكتبة التجارية، ط٢، ١٩٥٣م ١/٢٨.

[١١١] الوشاء، الموشى، ص ٥٢ والدُّرد: جمع أدرد، وهو من ذهبت أسنانه.

[١١٢] ابن عبد البر: بهجة المجالس، ١/٦٤٣.

[١١٣] الأبشيهي: المستطرف، ١/٢٩.

[١١٤] الغول: حيوان خرافي مفترس، زعموا أنه يتراءى للناس في القفار والفلوات بصور شتى. والعنقاء: طائر أسطوري معروف الاسم، ولكنه مجهول الجسم، ولا وجود له.

www.mtenback.com

وهكذا سائر الناس، ولا نسمع أحدًا يقول: هذا ثاني المستحيلات، أو ثالثها، فالنـــاس متفقون على استحالة وجود الثلاثة المذكورة، ثم تخالفوا في الرابع حتى لا اتفاق بينهم، وتعددت وجهات النظر فيه حتى عند الشخص الواحد، ومن ثم صعبـــت الإحاطـــة بذلك المستحيل الرابع، ومعرفته على وجه الصواب والحصر.

وهذا الاختلاف نفسه، الذي يتجلى فيما يتمم المروءة، يبرز أيضًا فيما حاولـــه بعضهم من رسم الصورة الكاملة للمروءة، أو تحديد الرجل الكامل في مروءته، علـــى حدّ قول الشاعر[١١٥]:

وَإذا الفَتى جَمَعَ المُـــرُوءَةَ وَالتُّقَـــى وَحَوى، مَعَ الأَدَبِ، الحَياءَ فَقَدْ كَمُـــلْ

ونلاحظ أن الأقوال في هذا الجانب لا تتضمن بالضرورة أمورًا جديدة فحسب، بل نجد إلى جانبها عناصر تكررت في التعريفات العامة للمروءة، أو في تعداد العنـــاصر التي تتمّ بها الصورة الكاملة للمروءة، وهذا الاختلاف هنا وهناك لا يختـــص بعصـــر معيّن، متقدمٍ أو متأخر، بل يسري على مختلف العصور.

ولنذكر بعض الشواهد والأقوال في ذلك مما يرسم صورة الرجل الكامل المروءة:

روي أن عبد الملك بن مروان - وهو فتى يافع - دخل على الخليفة معاوية بن أبي سفيان، وعنده عمرو بن العاص، فجلس مليًا ثم انصرف، فقال معاوية: ما أكمـــل مروّة هذا الفتى، وأخلقه أن يبلغ. فقال عمرو: «يا أمير المؤمنين إن هذا أخذ بخلائـــق أربعٍ وترك ثلاثًا: أخذ بأحسن الحديث إذا حدّث، وبأحسن الاســـتماع إذا حُـــدّث، وبأيسر المؤونة إذا خولف، وبأحسنِ البِشْر إذا لقي، وترك مزاح من لا يوثق بعقله، ولا دينه، وترك مخالفة لئام الناس، وترك من الكلام ما يُعتذر منه»[١١٦].

---

[١١٥] ابن عبد البر: بهجة المجالس، ١/٦٤٤.

[١١٦] الوشاء: الموشّى، ص ٥٣.

www.mtenback.com

وروي عن الفُضيل بن عياض رحمه الله أنه سئل عن الرجل الكامل التام المروءة، فقال: «الكاملُ: من برّ والديه، ووصل رحمه، وأكرم إخوانه، وحسّن خلقه، وأحرز دينه، وأصلح ماله، وأنفق من فضله، وحسن لسانه، ولزم بيته»[١١٧].

ومثل ذلك أيضًا أو قريب منه ما قاله بعض الحكماء وهو يعدد مناقب الرجال وفضائل الأعمال: «من كان وفاؤه سجيةً، وطباعه كريمةً، ورأى المكافأة بالإحسان تقصيرًا حتى يتفضل، ولم يقصّر عن معروفٍ يمكنه وإن لم يُشكر، ويبذل جهده لمن امتحن ودّه، فذلك الكامل»[١١٨].

ولا حاجة بنا هنا إلى أن ندل القارئ على ما استجدّ من عناصر في رسم الصورة الكاملة لذي المروءة، وما كان منها تكرارًا لما سبق من عناصرها العامة، فالقارئ نفسه يستطيع تمييز هذه وتلك إذا أنعم النظر فيما روي من أقوال معاوية وعمرو بن العاص، والفُضيل بن عياض، وغيرهم.. لكن المهم بعد كل هذا أن نعلم يقينًا أنه ليس هناك اتفاق تام ولا إجماع عام على عناصر معينة توضع هنا أو هناك. وليس هناك ضوابط دقيقة، ولا صيغ ثابتة يُتمسك بها في التمييز بين الرجل ذي المروءة، والرجل الكامل المروءة، وأن ماذكر من كريم الأخلاق والخلال إنما هو إشارات ولمحات يستأنس بها ولا تغني في رسم صورة للمروءة واضحة القسمات. من ذلك مثلاً، أن الشيب، عند بعضهم، تاج المروءة، لأنه يكسو صاحبه - ولا سيما الحكماء وذوي المروءات - وقارًا وهيبة، وسَمْتًا جميلاً، ويُبدله من سَفه الصِّبا فضيلة، فهو - على هذا - زين لمن تحلّى به، وشرف عظيم، ومجد رفيع. وفي هذا المعنى يقول الشاعر طُرَيح بن إسماعيل الثقفي[١١٩]:

---

[١١٧] ابن عبد البر: بهجة المجالس ١/٦٤٤ والفضيل بن عياض: شيخ الحرم المكي، من أكابر العبّاد الصلحاء، توفي سنة ١٨٧هـ.

[١١٨] ابن منقذ، أسامة: لباب الآداب، ص ٢٤٥، وقوله: «حتى يتفضل» أي حتى يزيد في الفضل والإحسان.

[١١٩] الحموي، ياقوت : معجم الأدباء، دار التراث، ١٢/٢٤ والمُهرَع، الذي يُحمل على الإسراع، وطريح: شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، توفي ١٦٥هـ.

www.mtenback.com

وَالشَّيْبُ لِلْحُكَماءِ، مِنْ سَفَهِ الصِّبَـــا ... بَدَلٌ تُنـــالُ به الفَضيـــلَةُ، مُقْنِـــــعُ
وَالشَّيْبُ زَيْنُ بَنِي الْمُرُوءَةِ وَالْحِجَـــا ... فِيهِ لَهُمْ شَرَفٌ، وَمَجْـــدٌ يُرْفَـــــعُ
وَالبِرُّ، تَصْحَبُهُ المُـــرُوءَةُ وَالتُّقَـــى ... تَبْدُو بِأَشْيَبَ، جِسْـــمُهُ يَتَضَعْضَـــعُ
أَشْهَى إِلَيَّ مِنَ الشَّـــبابِ مَعَ المُنَـــى ... وَالغَـــيُّ يَتْبَعُـــهُ القَـــوِيُّ المُهْـــرَعُ

فتعريف المروءة يأخذ جانبين: جانب طموح الشباب وتوثبه للمعالي وحرصه على إدراكها وقوة طلبه لها، وجانب الوقار والتجربة وعظة الأيام التي يمثلها الشيب وتقدم التجربة وحسن التأتي للأمور، وهذا هو التكامل بين جانبي الصورة أو هما طرفاها اللذان يخلقان جيلاً من أهل المروءة شيوخًا وشبابًا.

وهكذا يبقى المفهوم العام للمروءة، وعناصرها الأساسية أو المتمّمة، أو المؤدية إلى الصورة الكاملة مستقرةً في الأذهان بخطوطها العريضة، وملامحها البارزة، من دون التنقيب عمّا يبلبل الأفكار، ويوقع الخواطر في بحر من الاضطراب والخلل، وألوان من التأويل وتقليب وجوه الرأي، إلا أن هذا لا يحول بيننا وبين عرض تلك الآراء والأقوال على اختلافها وتشعب منافذها، ولو كنا نحن مكان أولئك القوم لما كانت حالنا أفضل من حالهم في مذاهب التعريف والتأويل، لأن مكارم الأخلاق والمروءة توءمها، باب واسع يمتدّ طريقه إلى عصور كثيرة، وشخصيات مختلفة الثقافات والأفكار والمؤهلات، ومن ثم كان ذلك الاختلاف متوقعًا ومقبولاً، لأنه لا يخرج، كما قلنا، عن الخط العام، والدلالة المستقرة في النفوس، بل إن الاختلاف، كما سبق، هو دليل سعة ورحمة، وحث على الأخذ من أسباب المروءة بأكثر من معنى.

موازنة القدماء بين المروءة وبعض الأخلاق:

وقد يحلو لبعض القدماء من الأعيان - إذا تحدثوا عن المروءة - أن يحددوا معالمها من خلال بيان آدابها، أو من خلال الموازنة بينها وبين القيم والفضائل الأخرى:

www.mtenback.com

كالفتوّة والعقل، والكرم، والنجدة، وما إلى ذلك، ولكنهم هنا أيضًا لا يستقرون على حال، ولا يسعفوننا - عند الجمع بين أقوالهم - بما يثلج الصدر ويريح النفس، وكأن الآراء الخاصة هي العمدة. ففي هذا السياق يروى أن أبا نُواس جلس إلى نفرٍ من قريش، فذكروا صديقًا له فعابوه، فقام أبو نواس، فاستجلسوه فقال: ليس من المروءة أن أجالس قومًا يذمّون صديقًا لي، وأنشأ يقول[١٢٠]:

لاَ أُعِيْرُ الدَّهْرَ سَمْعِي ... لِيَعِيْبُوا لِي حَبِيبَا

اِحْفَظِ الإِخْوانَ كَيْمَا ... يَحْفَظُوا مِنْكَ المَغِيبَا

وأما الفتوة فكثيرًا ما ترد على ألسنتهم في معرض الحديث عن المروءة، وكأنهما توأمان لا يكادان يفترقان، فمن مأثور كلامهم في هذا قول بديع الزمان الهمذاني: «ودّ الحضر إخاء ومروّة، وودّ السفر وفاءٌ وفتوّة»[١٢١]. وما قاله البوشنجي، شيخ خراسان، حين قيل له: ما المروّة؟ فقال: طهارة الزيّ، قيل: فما الفتوة؟ فقال: طهارة السرّ[١٢٢]. وقال بعضهم: فلان قد جمع طهارة المروّة وأريحية الفتوّة[١٢٣].

وقد نتساءل ما وجه الصلة بين المروءة والعقل؟ وهل من فرق بينهما؟ وهنا يجيب بعض الحكماء، حين سئل عن ذلك، بقوله: «العقل يأمرك بالأنفع، والمروءة تأمرك بالأجمل»[١٢٤]. وأوضح آخر ذلك فقال: «المروءات كلها تبع للعقل، والرأي يتبع للتجربة، والعقل آلة التثبّت، وثمرته السلامة»[١٢٥].

---

[١٢٠] محمد إسعاف النشاشيبي: نقل الأديب، دار ريحاني للطباعة والنشر، بيروت، بلا تاريخ، ص٩٥ نقلاً عن كتاب «مرآة المروءات» للثعالبي.

[١٢١] الثعالبي: يتيمة الدهر، ٢٩١/٤.

[١٢٢] أبو حيان التوحيدي: البصائر والذخائر ٩٣/١.

[١٢٣] المصدر نفسه ٩٣/١.

[١٢٤] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص ٣٠٦.

[١٢٥] الأبشيهي: المستطرف ٣٠/١.

www.mtenback.com

وقال بعض العلماء[١٢٦]: «إذا طلب رجلان أمرًا ظفر به أعظمهما مروءة».

ورويت أحاديث نبوية تصرّح بأن كرم المرء دينه، ومروءته عقله، والصلة بينهما، كما قال ابن حبّان البستي: « العقل اسم يقع على العلم بسلوك الصواب، واجتناب الخطأ، فالواجب على العاقل أن يلزم إقامة المروءة، بما قدر عليه من الخصال المحمودة، وترك الخلال المذمومة»[١٢٧].

وربما يتضح مفهوم الفتوّة أكثر حين نقرأ قول الشاعر، وقد أورده صاحب «بهجة المجالس» وهو يوازن بين المروءة والفتوة[١٢٨]:

وَلَيْسَ فَتى الْفِتْيانِ مَنْ راحَ وَاغْتَدى ... لِشُرْبِ صَبُوحٍ، أَوْ لِشُرْبِ غَبُوقِ

وَلَكِنْ فَتى الْفِتْيانِ مَنْ راحَ وَاغْتَدى ... لِضَرِّ عَدُوٍّ، أَوْ لِنَفْعِ صَدِيْقِ

ونقل الماوردي جواب بعض الحكماء وقد قيل له: ما أصعب شيء على الإنسان؟ قال: أن يعرف نفسه، ويكتم الأسرار، فإذا اجتمع الأمران، واقترن بشرف النفس علّو الهمة، كان الفضل بهما ظاهرًا، والأدب بهما وافرًا، ومشاق الحمد بينهما مسهلة، وشروط المروءة بينهما متينة، وقد قال الحصين بن المنذر الرقاشي[١٢٩]:

إِنَّ المُرُوءَةَ لَيْسَ يُدْرِكُها امْرُؤٌ ... وَرِثَ المَكَارِمَ عَنْ أَبٍ فَأَضَاعَها

أَمَرَتْهُ نَفْسٌ بالدَّنَاءَةِ والخَنَا ... وَنَهَتْهُ عَنْ سُبْلِ العُلا فَأَطَاعَها

فَإِذا أَصَابَ مِنَ المَكَارِمِ خَلَّةً ... يَبْنِي الكَرِيمُ بِها المَكَارِمَ بَاعَها

---

[١٢٦] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص٣٠٧.

[١٢٧] ابن حبان البستي، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص ٢٣٢.

[١٢٨] ابن عبد البر: بهجة المجالس ٦٤٧/١، الصّبوح: ما يُشرب بالغداة فما دون القائلة، والغَبوق: ما يشرب بالعشي.

[١٢٩] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص ٣٠٩ (السّفا).

www.mtenback.com

وكان الناس - ولا يزالون - يتساءلون عن الفرق بين المروءة، والكرم، والنجدة، وكلها من الفضائل ومكارم الأخلاق، وقد يصدر هذا التساؤل حتى من الأعيان الكبار، ممن يتّجه الناس إليهم عادة ليشفوا غليلهم في مثل هذه الأمور، فهذا معاوية بن أبي سفيان، أول خليفة أموي، والصحابي المعروف، يقول يومًا لمن حضر في مجلسه: من يخبرني عن المروءة والنجدة؟ فقال أحد الحاضرين: يا أمير المؤمنين، أما المروءة فالصلاح في الدين، والإصلاح في المال، والمحاماة عن الجار، وأما النجدة فالجرأة على الإقدام، والصبر عند ازورار الأقدام[١٣٠].

وسئل عبد الله بن عُمر عن المروءة والنجدة والكرم، فقال: «أمّا المروءة: فحفظ الرجل نفسه، وإحرازه دينه، وحُسن قيامه بصنعته، وحسن المنازعة، وإفشاء السلام، وأما الكرم: فالتبرع بالمعروف، والإعطاء قبل السؤال، والإطعام في المَحْل، وأما النجدة: فالذبُّ عن الجار، والصبر في المواطن، والإقدام في الكريهة»[١٣١].

وهذه الأقوال على ما يبدو من حرص أصحابها على التمييز بين المروءة وبعض القيم الأخلاقية الأخرى: من عقل، وكرم، ونجدة لا نراها تتفق فيما بينها أبدًا، مع أن كلاً من العقل والكرم والنجدة واضح المعنى في الأذهان بمفهومه العام، فإذا لجأ كل قائل إلى الشرح والتفصيل فهناك يظهر التباين والاختلاف، ولا نصل إلى رأي واحد أو آراء متقاربة، بَلْهَ أن تكون قد اتفقت على تعريف جامع مانع.

وهكذا نبقى في الدائرة نفسها، ولكنها دائرة لا تبعث القلق في نفوسنا، لأن هذه الأقوال أشبه بروافد لنهر واحد، أو بجداول تخرج من نهر واحد، فالماء عذب مشترك، وكلّ ما يقال في هذا السبيل يثبت معاني المروءة في النفوس، ولا علينا بعد ذلك من تسميات وأوصاف ؛ لأنها إن اختلفت في ألفاظها اتفقت في مؤداها إلى

---

(١٣٠) ابن عبد البر: بهجة المجالس ١/٦٤١.

(١٣١) المصدر نفسه ١/٦٤١.

www.mtenback.com

جانب من المروءة، فهي لا تخرج في جوهرها وحقيقتها عن جملة من قواعد السلوك الاجتماعي والفردي الذي يسعى إلى بناء شخصية إسلامية وعربية نقيّة، وسليمة من كل ما يشينها، سواء أكان ذلك عن طريق التعريف، أو الموازنة، أو تبادل الآراء والمشورات أو غير ذلك، وهي كلها تصبّ أخيرًا في مورد واحد، وتعين على خلود ما هو أصلح، من تلك التعاريف والتحديدات، على ضوء الخبرة والواقع المَعيش، ويُنفى من ذلك كل ما كان غريبًا أو مهجورًا.

أركان المروءة:

على أن الذي حاز الرضا والقبول لدى العارفين بمدلول المروءة وأحوالها وعناصرها، بل كاد ينال إجماعهم ويحظى باتفاقهم، هو أن المال يعدّ أهم ركنٍ من أركان المروءة، ولا نُنعم النظر فيما تقوم عليه هذه القيمة الأخلاقية إلا وجدنا عناصرها الواردة في تعاريفها المختلفة لا تتحقق إلا بالمال وإصلاحه: كالجود، واحتمال الجريرة، وإصلاح أمر العشيرة، وطيب المعيشة، وإطعام الطعام، والقيام بحوائج الناس عامة والأهل خاصة، وبرّ الوالدين، واللباس، والتجمّل، والتفضل على غيرك، وبذل المعروف،... وقد يتكرر بعض هذه المعاني بصيغ أُخر من الكلام، والفحوى واحدة أو متقاربة، مثل، التبرع بالمعروف، والإعطاء قبل السؤال، والإطعام في المَحْل، والسَّمْت الحسن، وحُسن تقدير المعيشة، وإكرام الإخوان... الخ، بَلْه مواقف مختلفة تتطلب من صاحب المروءة الظهور بالمظهر اللائق، وقد سبق ذكر بعضها، منها ألاّ يساوي غيره من الناس فيما يتطلب الإكرام والجود، بل عليه أن يزيد على ما يعطيه العامة لتظهر مروءته بينهم فيعظموه، ومن ذلك أيضًا «الغداء والعشاء بالأفنية» حتى يتاح تناول الطعام في هذين الوقتين للناس عامة، غادين رائحين، ولا سيما العُفاة والمحتاجين لأنه متى تعرض الإنسان لإكرام الناس بغرض الإكرام جعل طعامه سهل المنال قريبًا للرائح والغادي. هذا كله يؤيد ما سلف ذكره من أنه «لا مروءة لمحتاج» وأنه «لا مروءة لمن

www.mtenback.com

يحتاج قومه إلى غيره». ولعل في ذلك دليلاً قويًا على أن المال ركن ركين في بناء صرح المروءة، لا ليعود بالنفع على صاحبه، بل ليكون عونًا لغيره من ذوي الحاجات الذين لا يجدون ما ينفقون، أو تنقطع بهم السبل فيفتقرون إلى الطعام والمأوى واللباس والمال أيضًا، وعندئذ تكون تربية المال وحسن كسبه وإنفاقه في الخير والجود وبذله للناس الأساس القوي في المروءة.

وقد عبّر الشاعر القديم عن ذلك خير تعبير، حين قال مبينًا أن العقل وحده - مهما سما - لا يقوم مقام المال[١٣٢]:

رُزِقْتُ لُبًّا وَلَمْ أُرْزَقْ مُرُوءَتَهُ ... وَمَا الْمُرُوءَةُ إِلاَّ كَثْرَةُ الْمَالِ

إِذَا أَرَدْتُ مُسَامَاةً تَقَعَّدَنِي، ... عَمَّا يُنَوِّهُ بِاسْمِي، رِقَّةُ الْحَالِ

فالمرء بلا مال عاجز عن تحقيق مظاهر المروءة على الوجه الأكمل، وليس معنى ذلك خلوّه من المروءة كما قد يتبادر إلى الخاطر، بل معناه أن المال ضروري لمن يريد أن يعطي هذه القيمة الأخلاقية والسلوكية حقّها من الفاعلية والقوة. ولا حرج مع ذلك على من لا يجد المال الكافي لاستطاعة المروءة. وهذا ما عبّر عنه الأحنف بن قيس تعبيرًا واضحًا وصريحًا، في تواضع جمّ حين قال[١٣٣]:

فَلَوْ مُدَّ سَرْوِي بِمَالٍ كَثِيرٍ ... لَجُدْتُ، وَكُنْتُ لَهُ بَاذِلا

فَإِنَّ الْمُرُوءَةَ لاتُسْتَطَاعُ ... إِذا لَمْ يَكُنْ مَالُها فَاضِلا

---

[١٣٢] الجاحظ: البيان والتبيين، ٢٠٦/٣ وابن قتيبة: عيون الأخبار ٢٣٩/١ وابن عبد البر: بهجة المجالس ٦٤٥/١ بلا نسبة. وتقعّدني: حبسني، يقال: ما تقعّدني عن ذلك الأمر إلا شُغلٌ: أي ما حبسني (اللسان). وقد يروى «تقاعدني» وهو تحريف.

[١٣٣] الجاحظ: البيان والتبيين ٢٩٢/٢، ٢٠٦/٣، وابن عبد البر: بهجة المجالس ٦٤٥/١، والبيت الثاني وحده في كتاب «التمثيل والمحاضرة» لأبي منصور الثعالبي، ص ٤٢٢ بلا نسبة، السَّرو: المروءة والشرف.

www.mtenback.com

ومن ثم كان للمال أثر كبير في إشاعة المروءة وتهيئة أسبابها، وتحقيق متطلباتها، وقد جاء في أمثال المولدين: «نعم العون على المروءة: المالُ»[١٣٤] وقال سفيان الثوري: «المالُ في هذا الزمان عزّ للمؤمن»[١٣٥] وقال أيضًا: «المال سلاح المؤمن في هذا الزمان»[١٣٦] وذلك لأنه كما سبق يعين على المروءة، ويقضي حوائج صاحبه ويصون نفسه عن المهانة ويجلب له الأنس. قال يحيى بن يحيى[١٣٧]:

نِعْمَ الْمُعِينُ على الْمُرُوءَةِ لِلفَتَى ... مالٌ يَصُونُ عَنِ التَّبَذُّلِ نَفْسَهُ

لا شَيْءَ أَنْفَعُ لِلْفَتَى مِنْ مالِهِ ... يَقْضِي حَوائجَهُ، وَيَجْلُبُ أُنْسَهُ

وَإِذا رَمَتْهُ يَدُ الزَّمانِ بِسَهْمِهِ ... غَدَتِ الدَّراهِمُ، دُونَ ذَلِكَ، تُرْسَهُ

فليس على الإنسان، بعد هذا، بأس ولا حرجٌ في أن يسعى إلى جمع المال، لا ليختزنه لنفسه، بل لينفقه في وجوه المروءة والخير، حتى لا يخسر دنياه وآخرته معًا، ويؤول ماله إلى الورثة الذين لن يذكروه بحمد ولا شكر، يقول ابن حبان البستي: «الواجب على العاقل أن يقيم مروءته بما قدر عليه، ولا سبيل إلى إقامة مروءته إلا باليسار من المال، فمن رزق ذلك وضنّ بإنفاقه في إقامة مروءته، فهو الذي خسر الدنيا والآخرة، ولا آمنُ أن تفجأه المنيّةُ، فتسلبه عما ملك كريهًا، وتودعه قبرًا وحيدًا، ثم يرث المالَ بعدُ من يأكله ولا يحمده، وينفقه ولا يشكره، فأي ندامة تشبه هذه، وأي حسرة تزيد عليها؟»[١٣٨].

---

(١٣٤) الميداني: مجمع الأمثال ٢/٣٥٨.

(١٣٥) ابن يعقوب: روض الأخيار، ص ٧٢.

(١٣٦) المصدر نفسه، ص ٧٢.

(١٣٧) ياقوت الحموي: معجم الأدباء ٢٠/٤١.

(١٣٨) ابن حبان البستي: روضة العقلاء، ص ٢٣٣.

www.mtenback.com

ولا حرج على الإنسان أيضًا في أن يتحرى الطرائق المختلفة، المباحة والمشروعة، لجني المال، ويُعمل كل آلةٍ لاكتساب الرزق، وفق الشروط والقيود السابقة. قال الشاعر[١٣٩]:

احْتَلْ لِنَفْسِكَ أَيُّهَا الْمُحْتَالُ ... فَمِنَ الْمُرُوءَةِ أَنْ يُرى لَكَ مَالُ

كَمْ ناطِقٍ وَسْطَ الرِّجَالِ، وَإِنَّما ... عَنْهُمْ هُناكَ تَكَلَّمُ الأَمْوالُ

ويجب أن يراعى أن قيمة المرء ليست فيما يملك من الأموال، وإنما الأموال تزيد في مروءته إن هو استغلها فيما ينبل به المرء، وتحمد خلاله وخصاله، لا أن يتكبر على الناس بما آتاه الله من حطام الدنيا، فالدنيا زائلة بما عليها، وحسبنا مثلاً زوال قارون وماله، وما أتبعه ذلك المال من عقوبة وهلاك، فالصبر على الفقر مع احتساب الأجر خير من المال مع البطر والكبرياء.

المروءة شديدة التكاليف:

لعل القارئ أدرك تمام الإدراك أن التحلي بالمروءة على أكمل وجوهها ليس بالأمر السهل، ولا بالسبيل الميسور، لأن أعباءها المادية والمعنوية كثيرة، ومؤونتها شديدة، وهي مرتبة اجتماعية وأخلاقية سامية يتطلع إليها الناس جميعًا، ولكن دونها خَرْطُ القتاد، والجهد المتواصل، والسعي الحثيث، ولا يصح فيها الاتكال على الحسب الماضي، والأمجاد التليدة، وهذا ما عبّر عنه الشاعر[١٤٠]:

لَيْسَ الكَرِيمُ بِمَنْ يُدَنِّسُ عِرْضَهُ ... وَيَرى مُرُوءَتَهُ تَكُونُ بِمَنْ مَضى

حَتَّى يُشِيْدَ بِنَاءَهُ بِبِنَائِهِ ... وَيَزِيْنَ صالِحَ مَا أَتَوْهُ بِما أَتى

---

[١٣٩] ابن حبان البستي: روضة العقلاء، ص ٢٣٣.

[١٤٠] المصدر نفسه، ص ٢٣٠.

www.mtenback.com

فلا عجب أن تعزف بعض النفوس عن هذه المحمدة، ويؤثر عليها حياة ثانية تحقق فيها ذواتهم بطرائق محمودة أو غير محمودة، ما بين مجون ولهو تارة، وانحراف عن جادة الصواب تارة أخرى. ومن هؤلاء ابن وكيع التنيسي القائل[١٤١]:

إِنَّ التَّوَقُّرَ لِلْحَيَاةِ مُكَدِّرٌ وَالْعَيْشَ فَهْوَ تَهَتُّكُ الأَسْتَارِ

مَنْ تابَعَتْ أَمْرَ الْمُرُوءَةِ نَفْسُهُ فَنِيَتْ مِنْ الْحَسَرَاتِ وَالأَفْكَارِ

فهو يرى أن الوقار يكدّر حياة صاحبه العابث وأن المجون وهتك الأستار هما الحياة الحقيقية في نظره، وأن من يسعى إلى تحقيق معاني المروءة والتقيد بها هالك لا محالة، كما يعاني من الهموم والحسرات والتفكير في شؤون الحياة. والشاهد في هذا أن المروءة عبء ثقيل لا تتحمله وتصبر عليه إلا النفوس الكريمة ذوات المعادن الأصيلة. وقد ورد في الأثر أن الناس معادن وأن خيار المعدن كامن في ذات المرء فقد يستثيره موقف أو رأي أو نصيحة مثلما حدث لمالك بن الريب الشاعر الأموي المعروف الذي كان يقطع الطريق ويُخيف الناس هو ورفاقه من أهل الصعلكة، فلما مرّ به سعيد بن عثمان بن عفان وهو متوجّه إلى خراسان، قال لمالك: ويحك تُفسد نفسك بقطع الطريق، فما يدعوك إلى ما يبلغني عنك من العبث والفساد؟ فقال له مالك: يدعوني إليه العجزُ عن المعالي ومساواة ذوي المروءات ومكافأة الإخوان[١٤٢]. وكان نتيجة ذلك أن أقلع عمّا كان يشينه وعادت نفسه إلى طبيعتها ومعدنها الأصيل فذهب غازيًا مجاهدًا مع سعيد وتحولت شجاعته إلى عامل إيجابي نافع وأقلع عما كان فيه من خطأ توهم أنه سبيل المروءة، ولكنه لمّا عرف حقيقة الأمر، عاد إلى الحق فأدرك المروءة الحقيقية التي لايعاب عليها، ولايؤاخذ باقترافها.

---

(١٤١) الثعالبي: يتيمة الدهر ٣٩٠/١ وابن وكيع: من شعراء اليتيمة، اسمه الحسن بن علي، توفي ٣٩٣هـ.

(١٤٢) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، تحقيق: العزباوي ورفيقيه، القاهرة، الهيئة المصرية العامة ١٩٧٣م، ٢٨٦/٢٢.

www.mtenback.com

حقًا إن «أصحاب المروءة في جهد»[١٤٣] وإن النفوس الكبار تتعب في مرادها الأجسام، وإن «الصبر على المروءة صعب، وتحمّلها عبء»[١٤٤]، و«لا يقدر على القيام بأدنى المفترض فيها إلا ذوو العقول الفاضلة، والآداب الكاملة»[١٤٥].

ولهذا قال محمد بن عمران التيمي: «ما شيءٌ أشدّ حملاً عليّ من المروءة»[١٤٦]. ولولا ما في المروءة من حمل شديد، وعبء ثقيل، وعجز عن المعالي وعن مساواة ذوي المروءات، لسمتْ إليها همم الصغار، وطمع فيها من ليس له مطمع، وعندئذ تفقد أَلَقها، ويخبو بريقها ولمعانها، وتسقط منزلتها، وما شأنها في ذلك إلا شأن الفن مثلاً، أو الشعر، لابد أن يكون كل منهما صعبًا، لا يسمح للمتطفلين أن يطرقوا بابه، فضلاً عن أن يلجوه إلى الداخل، ولو كان أمر كل منهما على طرف الثمام، أو على حبل الذراع لتلاشيا، ولأصبح الناس جميعًا شعراء أو فنانين، وليس في هذا عندئذ رفع من قدْر الشعر، ولا إعلاء من منزلة الفن.

وفي هذا السياق يقول خالد بن صفوان: «لو لا أن المروّة اشتدت مؤونتها، وثقل حملها، ما ترك اللئام للكرام منها شيئًا. ولكنه لما ثقُل محملها واشتدت مؤونتها، حاد عنها اللئام، فاحتملها الكرام»[١٤٧].

وقال بعضهم: «المكارم لا تكون إلا بالمكاره، ولو كانت خفيفة لتناولها السِّفْلةُ بالغلبة»[١٤٨].

---

[١٤٣] من قول الإمام الشافعي: كتاب «الأئمة الأربعة» لأحمد الشرباصي، ص١٣٨.

[١٤٤] من قول بعض الحكماء الفرس: كتاب الموشى، ص ٥١.

[١٤٥] من كلام الوشاء في كتابه «الموشى»، ص ٥١.

[١٤٦] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ٢٩٥/١.

[١٤٧] الوشاء: الموشى، ص٥١ وقول خالد هذا نسب إلى «أعرابي» في الغرر للوطواط، ص٤٢ باختلاف يسير.

[١٤٨] الوشاء: الموشّى، ص٥١.

www.mtenback.com

هذه الشدة في تكاليف المروءة تقتضي من صاحبها سَمْتًا خاصًا، وتصرفاتٍ معينة، من وقارٍ ورزانة، وحسن معاملة، لأنه بعيون الناس يرصدونه ويحصون عليه حركاته وسكناته ويستمعون إلى أقواله، ويحاسبونه على كل كلمة تصدر عنه، فقد يُحظر عليه أشياء تباح لغيره من سائر الناس، وقد يطالب بما يحظر على غيره، وقد يُتساهل مع غيره في أمور لا يُتساهل فيها معه، والعكس صحيح أيضًا، شأنه في ذلك شأن أولياء الأمور، من رؤساء وخلفاء، وأمراء وولاة، وقضاة ووزراء، ومن إليهم ممن لا يستطيعون أن يعيشوا في حياتهم كسائر الرعية، بل يخضعون لأعراف قاسيةٍ أحيانًا، وأنماطٍ وطُرزٍ مرسومة لا يحيدون عنها، بل لا يستطيعون ذلك، ولا سيما الأمور غير المستحسنة، وكل منهم مطالب بأن يتفقد «الأسباب المستحقرة عند العوام، من نفسه، حتى لا يثلم مروءته، فإن المحقّرات من ضد المروءات تؤذي الكامل في الحال بالرجوع القهقرى إلى مراتب العوام وأوباش الناس»[١٤٩].

ما يخل بالمروءة ويهجنها:

ويحلو هنا لبعض الناس أن يسألوا عمّا يخلّ بالمروءة أو يُذهبها، أو يتحدثوا هم عن ذلك، جملة تارةً وتفاريق تارةً أخرى، مستخدمين من أجل ذلك ألفاظًا وتراكيب تتفق في فحواها، وإن اختلفت في صياغتها، من أمثال قولهم: آفة المروءة كذا، وليس من المروءة كذا ويُذهب المروءة كذا، ومن قلّة مروءة الرجل، وما يثلم المروءة، وأشد تهجينًا للمروءة، ويهدم المروءة، ويزري بها.. وكل ذلك يمكن ردّه إلى ما يخلّ بالمروءة ويثلمها، ومن هذا قول الإمام الشافعي: «لو علمت أن شرب الماء البارد يثلم المروءة ما شربته»[١٥٠].

---

[١٤٩] ابن حبان البستي: روضة العقلاء، ص٢٣٤، والأوباش: كلمة مولدة، عربيتها «أوشاب الناس» أي أخلاطهم.

[١٥٠] أحمد الشرباصي: الأئمة الأربعة، ص ١٣٨.

www.mtenback.com

ونذكر هنا جملة مما وقعنا عليه من السقطات التي تخلّ بمروءة الرجل:

قيل لعبد الملك بن مروان: أكان مصعب بن الزبير يشرب الطِلاء؟ فقال: «لو علم مصعب أن الماء يفسد مروءته ما شربه»[١٥١].

ومنها كثرة المزاح، فقد قال الأحنف بن قيس: «كثرة الضحك تُذهب الهيبة، وكثرة المزاح تُذهب المروءة»[١٥٢]، وكذا مزاح من لا يوثق بعقله ودينه[١٥٣].

وكثرة الالتفات في الطريق، قال إبراهيم النخعي: «ليس من المروءة كثرة الالتفات في الطريق»[١٥٤].

والربح على الصديق. قال أبوقِلابة الجَرْميّ: «ليس من المروءة أن يربح الرجل على صديقه»[١٥٥]. والكذب: قال الأحنف بن قيس: «لا مروءة لكذوب، ولا سؤدد لبخيل، ولا ورع لسيئ الخلق»[١٥٦]، وقالت الحكماء: «ليس لكاذب مروءة»[١٥٧].

وكذلك الحسد: «إياك والحسد، فإنه يُذهب الدين، ويضعف اليقين، ويُذهب المروءة»[١٥٨].

---

(١٥١) ابن عبد ربه: العقد الفريد ٢/٢٩٣. والطلاء ما طُبخ من عصير العنب.

(١٥٢) المبرد: كتاب الكامل، ١/٤٥.

(١٥٣) الوشاء: الموشى، ص٥٣.

(١٥٤) ابن عبد البر: بهجة المجالس ١/٦٤٢، والموشى ٥٢، وعيون الأخبار ١/٢٩٥ وأضاف ابن قتيبة في العيون إلى قول إبراهيم النخعي: «ولا سرعة المشي» وقول إبراهيم أيضًا: «سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن».

(١٥٥) ابن حبان: روضة العقلاء، ص ٢٣٣، وبهجة المجالس ١/٦٤٢ باختلاف يسير، وأبو قِلابة: عبد الله ابن زيد، عالم بالقضاء والأحكام، ناسك، ثقة في الحديث، توفي ١٠٤هـ.

(١٥٦) ابن عبد ربه: العقد الفريد ٢/٢٩٢.

(١٥٧) النويري: نهاية الأرب ٣/٣٦٠.

(١٥٨) الأبشيهي: المستطرف ١/٢٨.

www.mtenback.com

والمراء: وهو الجدال، قال أبو الفتح البُستيّ: «المِراء يهدم المروءة»[١٥٩].

ومن ذهاب المروءة اتخاذ إخوان السوء. قال معاوية بن أبي سفيان: «آفة المروءة إخوان السوء»[١٦٠].

وبالمقابل فمن كان ذا مروءة فإن عليه أن يتعرف على أهل المروءات حيثما كانوا، ليجعل منهم إخوانه وأعوانه وبطانته، وألا يقدم على أمر دون استشارة عاقل ذي مروءة، فإن ذلك لايشينه في شيء، بل يزينه استشارة العقلاء ، ويكفيه فخرًا أن يقال عنه عند ذوي الفضائل: إنه لاينفرد برأيه دون استشارة ذوي الرأي[١٦١].

والغرام بالنساء وزيادة الشهوة، من مذهبات المروءة. قيل: «من زادت شهوته نقصت مروءته»[١٦٢]. وقال ابن المقفع: «اعلم أن من أوقع الأمور في الدين، وأنهكها للجسد، وأتلفها للمال، وأضرها بالعقل، وأسرعها في ذهاب الجلالة والوقار: الغرام بالنساء»[١٦٣].

لو جمعت كل النصائح وبذلت كل الأقوال في التحذير مما يخدش الكرامة ويذل المرء ويذهب ماله وبهاء وجهه وكرامته لما أحكمت معنى ما تعرض مثلما أحكمته هذه الجملة السابقة التي جمعت في سطرين ما يترتب على اللهو بالنساء والغرام بهن من آفات وأضرار تصيب دين الإنسان وعقله وماله وسمعته وتذهب بكل خير فيه.

وألاّ يلهج اللسان بذكر الطعام. فقد كان الأحنف بن قيس يدعو جلساءه إلى أن يتجنبوا ذكر الطعام، ويبغض الرجل أن يكون وصافًا لبطنه، «وإن من المروءة أن

---

[١٥٩] الثعالبي: يتيمة الدهر ٤/٣٠٥.

[١٦٠] ابن حبان: روضة العقلاء ٢٣٤.

[١٦١] ابن المقفع: الأدب الكبير، ص ٢٤٨.

[١٦٢] الأبشيهي: المستطرف ١/٢٩.

[١٦٣] ابن المقفع: الأدب الكبير ص٢٧١.

www.mtenback.com

يترك الرجل الطعام وهو يشتهيه»[١٦٤]. ومن المروءة أيضًا: «ألاّ تتوق نفس الإنسان إلى طعام غيره»[١٦٥].

ولبس ثوب الشهرة. وهذا لا يتنافى وما سبق لأن المروءة تتطلب الثياب الطاهرة، والتجمل في اللباس. والمراد بما يخلّ بالمروءة من اللباس أن تُتوخىّ فيه الشهرة والظهور، ومخالفة ما عليه الناس إلى ثياب ملوّنة تلفت الأنظار، أو دالّة على الخيلاء والصلف، وقيل في ذلك: «التعريّ البارُح خير من الزيّ الفاضح»[١٦٦]. وقال عبد الملك بن صالح: «ليس من لباس السادات ذوي المروءات، ذواتُ الألوان، فإنها لباس الغلمان والنسوان»[١٦٧]. وقال الشاعر[١٦٨]:

قُلْ لِلَّذي يَخْرُجُ مِن شَكْلِهِ ... لِيَرْتَقِيْ أَسْبابَ أَو عارِ

مَنْ فارَقَ الْمَعْهُودَ مِنْ زِيِّهِ ... فَذاكَ لاكاسٍ وَلا عارِ

وخُلف الموعد: في أمثال العرب قول عوف الكلبي: «آفة المروءة خُلف الموعد»[١٦٩].

ويطول بنا الكلام إذا رحنا نتقصى ما قيل إنه يُخلّ بالمروءة، أو يذهب بها، أو يثلمها، أو ينقصها، وسوف يفضي بنا الأمر إلى ما مرّ بنا عند الكلام على تعريف

---

[١٦٤] ابن يعقوب: روض الأخبار ١٧٤.

[١٦٥] الوشاء: الموشى، ص ٥٢.

[١٦٦] الوطواط: غرر الخصائص الواضحة، ص ٤٢.

[١٦٧] الوطواط: الغرر، ص ٤٢، وعبد الملك بن صالح: أمير من بني العباس، وخطيب فصيح، له مهابة وجلالة، توفي ١٩٦هـ.

[١٦٨] الوطواط: الغرر، ص ٤٢.

[١٦٩] الميداني:مجمع الأمثال، ٥٩/١.

www.mtenback.com

المروءة، وقد رأينا اختلاف الأقوال والآراء في ذلك، عند تحديدها لمدلول المروءة، وكذلك هنا، وسوف نرى أمورًا أخرى تخلّ بالمروءة أيضًا، غير ما سبق، منها: تركُ مخالفة لئام الناس[١٧٠]، لأنهم سفهاء، ولا يليق بذي المروءة أن يعرّض نفسه لما يؤذيه من لؤمهم وسفاهتهم، وكذلك ترْك ما يُعتذر عنه من الكلام[١٧١]، والشحّ والحرص[١٧٢].

وقد يصل بنا التقصي إلى أمور غريبة تعد من السقطات التي تفسد المروءة، أو تقلّلها، منها حَمْل الرجل لكيس الدراهم في كمّه[١٧٣]، ونوم الغداة، وشرب العشيّ، في قول الشاعر[١٧٤]:

نَومُ الغَدَاةِ، وَشُرْبٌ بِالْعَشِيَّاتِ مُوَكَّلانِ بِتَهْدِيمِ الْمُرُوءاتِ

ومن ذلك أيضًا: الأكل في الأسواق، والادّهان عند العطار[١٧٥]، والمنازعة على ظهر الطريق[١٧٦]، وأن تشمّ من الرجل رائحة نبيذ في محفل[١٧٧]، وعدم إحسان الوصية عند الموت، وفقًا لما جاء في قول النبي عليه السلام: «من لم يُحسن الوصية عند الموت، كان نقصًا في مروءته وعقله»[١٧٨].

---

[١٧٠] الوشاء: الموشيّ، ص٥٣.

[١٧١] المصدر السابق نفسه.

[١٧٢] المصدر السابق، ص٥٢.

[١٧٣] ابن حبان: روضة العقلاء، ص ٢٣٤، وابن عبد البر: بهجة المجالس ٦٤٢/١.

[١٧٤] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ٢٩٦/١.

[١٧٥] ابن حبان: روضة العقلاء، ص ٢٣٣.

[١٧٦] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ٢٩٦/١.

[١٧٧] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ٢٩٦/١.

[١٧٨] الحموي، ياقوت: معجم الأدباء ٤٦/٨.

www.mtenback.com

وقد تُذكر أمور تخلّ بالمروءة، وليس لها تعليل علميّ مقبول، ولا يقبلها العقل البتّة، وربما كانت أقرب إلى مألوف العادات التي تكاد تقترب من الأساطير والخرافات، منها أن تسمع رجلاً يتكلم في مصر عربيّ بالفارسية[١٧٩]، والنظر في مرآة الحجّام[١٨٠]، ونظرُه في بيت الحائك[١٨١].

ولربما كانت كذلك لاختلاف العصور والنظرة إلى هذه الأمور من زمن لآخر، فمقاييس الأمور تختلف باختلاف الأزمان والثقافات، فما تحقره اليوم قد يكون مفخرة في بعض الأزمان، وربما كان العكس، ولا أدلّ على ذلك مما نراه في مجتمعاتنا الحاضرة من النظر بالإجلال والاحترام للرجل إذا كان يجيد أكثر من لغة، ويشارك بها في المحافل والمجالس، فقد يفرض احترامه على المتحدثين بفضل ما يحسن من اللغات التي يعجز عنها غيره.

بل إن بعضهم جعل لكل طبقة من الناس شائنةً تهجّن مروءتها، فنقص مروءة الملوك: الصغر في الهمة، ونقص مروءة العامة: الصلف، ونقص مروءة الفقهاء: الهوى، ونقص مروءة النساء: قلّةُ الحياء[١٨٢].

وبالتأمل في هذا كله نجد أن الأمور التي تخلّ بالمروءة لا ضابط لها، ولا ناظم، فهي تراعي النواحي السلوكية والأخلاقية للإنسان، أو الاجتماعية للناس، أو تحسب للدين حسابًا، في الدنيا والآخرة، وترتبط أحيانًا بالبيئة، أو بالعصر الذي قيلت فيه، أو بشخصية المتكلم الذي حاول أن يوضح معالم تلك الملامح التي تنقص المروءة أو تهجّنها ومن ثم ليس هناك اتفاق ولا إجماع على معنى محدد، أو معانٍ معينة، وهذا ما

---

[١٧٩] ابن قتيبة: عيون الأخبار ٢٩٦/١.

[١٨٠] ابن حبان: روضة العقلاء، ص٢٣٣.

[١٨١] ابن حبان: روضة العقلاء، ص ٢٣٤.

[١٨٢] الوشّاء: الموشّى، ص ٥٠.

www.mtenback.com

رأيناه أيضًا في الكلام على ما وُضّحت به المروءة من مفاهيم وتصورات ودلالات، بل إن بعض السّقطات أضداد لبعض ما سبق في التعريفات السلوكية للمروءة: كالشحّ، والحرص، والصغر في الهمة.. ونحن، قياسًا على ذلك، نستطيع أن نضيف إلى ذلك سماتٍ سلوكيةٍ جديدة، للمروءة تقابل السقطات المخلّة بالمروءة، وكذلك نستطيع إضافة سقطات أخرى تذهب المروءة تقابل تلك التي وردت في مزاياها وشرائطها، من دون أن نخرج عن جادة الصواب في ذلك.

وخلاصة الأمر أن جمهرة تلك الأقوال والأحكام، فيما يخلّ بالمروءة أو ينقصها، أو يهجّنها، كانت تهدف إلى توضيح أنماط من السلوك الفردي والاجتماعي، تعبر في الغالب عن وجهة نظر أصحاب تلك الأقوال، وهم أيضًا من الخلفاء والأمراء والحكماء، والشعراء، والفقهاء، وكان المقام يقتضي تسمية بعضهم وسرد أقوالهم لنستخلص منها ما يعين على تجلية مهجّنات المروءة أو مُذْهباتها، ولا شك أنها مستنبطة، كما قلنا، من العصر والبيئة وخبرة المتكلم، وعلى ضوء ذلك كان أولئك الأعيان يطلقون أحكامهم وآراءهم، أو يجيبون من سألهم عنها. وهذا هو السبب في أنه لم يحصل بينهم إجماع ولا مواضعة على تعريفات معينة، أو سقطات محددة تختلّ بها المروءة، إلا قليلاً. زد على ذلك أنها ليست تعريفات لغوية دقيقة يلتزم بها المرء، بل هي حديث عن أنماط سلوكية، والحديث عنها فسيح المدى، فضفاض العبارة، وهذا ما أطلق العنان لجملة من الآراء والأوضاع والتصورات المختلفة في قوالبها، ولكنها جميعًا تعود إلى ينبوع واحد، وسلك ناظم لها، يتمثل في جملة من الآداب النفسانية التي تأخذ نصيبها من التحقق تارة فتتحلى المروءة بأحلى صورها، أو تضمرُ وتقلّ وتشوّه صورتها تارةً أخرى فتختلّ المروءة وتتثلم.

ولا شك أن هناك أسبابًا ودواعي عامةً وخاصة، تتدخل في تلك الأحكام، ويكون لها أثر واضح، يضعف حينًا ويقوى حينًا آخر، ويأخذ في حسابه مختلف

www.mtenback.com

العادات الاجتماعية السائدة، والدين والعقيدة، والتاريخ، والنصوص القرآنية والحديثية، وغير ذلك مما يهدف إلى النأي عن كل ما يشين الإنسان، ويقرّبه من الرجولية الكاملة، والإنسانية المثلى التي اشتهر بها رجالٌ كثيرون، في مختلف العصور العربية والإسلامية.

التصنيف في المروءة:

ولو قرأنا في تراثنا العربي فإننا سنجد كثيرين ممن اشتهروا بالمروءة، وخلدتهم مروءاتهم، يضاف إلى ذلك أن الاهتمام برصد هذه القيمة والتأليف فيها قديم غني في تراثنا العربي، بل إن بعضهم أفرد كتابًا أو رسالة في المروءة أو آدابها، ونظرة إلى القوائم البيبلوجرافية مثل: كشف الظنون، وإيضاح المكنون وغيرهما تطلعنا على مدى اهتمام علمائنا القدامى والمتأخرين بالبحث في المروءة على نحو:

- كتاب التجمل والمروّة: لأبي الحسن علي الدورقي وآخران بالعنوان نفسه لأبي سهل القمي وابن يقطين.

- ثم رسالة كتبها أبو منصور الثعالبي بعنوان: مرآة المروّات إلى غير ذلك من الكتب والرسائل التي تدل على مدى اهتمام الأوائل بدراسة هذه القيمة الاجتماعية.

الأهمية الأخلاقية للمروءة وسبل ترسيخها تربويًا:

وبعد هذه الجولة الواسعة في عالم «المروءة» الغني بمعطياته اللغوية والأخلاقية وجوانبه السلوكية والتاريخية والاجتماعية، ومفاهيمه الدينية والتربوية والتوجيهية،.. بعد هذا كله، لابد أنه قد وقر في نفوسنا أهمية هذه القيمة الأخلاقية، والمكرمة الاجتماعية التي نالت الحظوة الكبرى لدى الخلفاء والوزراء، والأمراء والقضاة والحكماء والأدباء والشعراء جميعًا، في مختلف العصور، يحثون على التحلي بها، ويدعون إلى إحياء معالمها عند دثورها، ويأسفون لضعف سلطانها في النفوس أحيانًا. وقد ظلت «المروءة» بمفهومها العام القائم على الإنسانية وكمال الرجولية سائدة حتى اليوم بالرغم من اختلاف المدارك عند الدخوُل في جزئياتها ودقائقها، فهي موضع

www.mtenback.com

الإجلال والتقدير، وهي هدف تربوي نبيل، إذا أُحسنت رعايتها والاهتمام بها، لأنها مقوّم أساسي من مقومات السلوك الإنساني لدى الفرد والجماعة، وعلينا، مصلحين ومعلمين وموجهين، أن نعنى بهذه القيمة الأخلاقية السامية، وأن نحيي معالمها بمختلف الوسائل والطرائق التي تحقق المثل الأعلى للإنسان لكي يعيش في مجتمع عربي وإسلامي خالٍ من الشوائب التي تضرّ به أو تبعده عن جادة الصواب.

والوسائل إلى ذلك كثيرة لا مجال للإفاضة فيها هنا، إلا أننا نشير إلى خطوطها العامة، كنشر الوعي التربوي، والمنهج الأخلاقي، واستخدام القصص والمسرحيات الموجّهة في غاياتها وأهدافها نحو إحياء صرح المروءة وإعلاء شأنها في النفوس فضلاً عن وسائل الإعلام المختلفة من صحف ومجلات وإذاعة وتلفزة، ولابد أن يؤتي ذلك أُكُله بعد مدة يسيرة، ويجد سبيله ذلولاً وعميقًا في نفوس الناشئة والأجيال المتعاقبة.

ومع أن وسائل القدماء إلى إحياء هذه القيمة الأخلاقية كانت محدودة بالقياس إلى ما لدينا منها اليوم، فإنهم لم يقصروا في التنويه بها، والعمل بشرائطها، وإيفائها حقوقها كاملةً، وبذلك نالت المحلّ الأرفع، وأصبح ذووها نجومًا يُهتدى بهم ويُقتدى، وملاذًا آمنًا لأصحاب الشكاوى والمظالم، على حدّ قول بشار بن برد[١٨٣]:

وَلَابُدَّ مِنْ شَكْوى إِلى ذِي مُرُوءَةٍ يُواسِيكَ، أَوْ يُسْلِيكَ، أَوْ يَتَوَجَّعُ

فأهل المروءات - كما قال الوشّاء - «محمودة أفعالهم، متّبعةٌ أحوالهم»[١٨٤]، حتى قيل فيهم: «مجالسة ذوي المروءات تدل على مكارم الأخلاق»[١٨٥]، وقد بقوا يحملون هذه الأمانة الثقيلة، ويحرصون على أن يكونوا قدوة حسنة في كل أعمالهم وتقلباتهم على الرغم من أمرين كانوا يتعرضون لهما، ويعانون منهما الكثير، وهما في الوقت نفسه دليلان قويان على فضلهم وتقدمهم واحترام الناس لهم:

---

[١٨٣] النويري: نهاية الأرب، ٣/٨٠.

[١٨٤] الوشاء: الموشى، ص ٥٠.

[١٨٥] ابن حبان البستي: روضة العلاء، ص ٢٣٤.

www.mtenback.com

أولهما: أنهم لم ينجوا من الحسّاد والأعداء الكائدين كما قال الشاعر معرّضًا بهؤلاء الضالّين[١٨٦]:

عَادَوْا مُرُوَّتَنَا فَضُلَّ سَعْيُهُمْ ... وَلِكُلِّ بَيْتِ مُرُوَّةٍ أَعْدَاءُ

وثانيهما: القلّة في المال وضيق ذات اليد، لكثرة ما ينفقون في وجوه الخير والإصلاح، وتدبير معيشة الأهل وذوي الحاجات، بخلاف غيرهم من أولئك الذين فارقوا المروءة وآثروا التنعم في العيش، فكانوا من سقط المتاع، لا خير لهم في الحياة، ولا فائدة منهم ترجى، وفي ذلك يقول الشاعر منصور الفقيه[١٨٧]:

كُلُّ مَنْ فَارَقَ الْمُرُوءَةَ عَاشَا ... وَنَمَا وَفْرُهُ، وَزَادَ رِيَاشَا

وَأَخُو الْفَضْلِ وَالْمُرُوءَةِ وَالدِّيـ ... ـنِ مُقِلٌّ، أُمُورُهُ تَتَلاَشَى

هذا، وإن في تراثنا الأدبي، وتاريخنا العربي والإسلامي روائع خالدات من قصص ذوي المروءات وأخبارهم الدالة على مكارمهم ومآثرهم الجلى، وعلى ما أُثر عنهم من جلائل الأعمال، وجميل الأخلاق، وحسن المعاملة والتدبير، مما يحوز الإعجاب، ويبعث على الإكبار.

ولكي يطّلع القارئ على بعض قصص ذوي المروءة وأخبارهم، مما ورد في سياقه لفظ «المروءة»، وهي كثيرة وطويلة، نحيله إلى كتب الأدب والثقافة العامة والتراجم لأسلافنا الذين رعوا مراتب المروءة وأحسنوا وصفها قولاً وعملاً وحددوا طرق سلوكها للناشئة والطامحين إلى أخلاق العرب وشمم مروءتهم وعاداتهم وتقاليدهم المحمودة. كان العربي هو صانع المروءة والخلق الجميل يحافظ عليه ويرعاه ويشتد في طلبه حتى لو اضطره الأمر إلى القسوة على نفسه والبذل لماله والتضحية بسعادته

---

[١٨٦] الوشّاء: الموشى، ص ٥٠.

[١٨٧] ابن عبد البر: بهجة المجالس، ١/٦٤٥.

www.mtenback.com

الشخصية، فقد كانت أخلاق العرب وفضائلهم منارًا يهدي إلى شرائع إنسانية وطرق واضحة المعالم في مدرسة السلوك الحضاري والتعلم من مأثور العـــرب في جـــاهليتهم ومأثورهم بعد الإسلام، حين زكت الأخلاق وارتفع شأن الفضيلة في نفوسهم فعلمـــوا البشرية المروءة والكرم والخلق الحسن.

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

الفهارس

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الآيات القرآنية

السورة	الآيـــة	رقمها	الصفحة
النحل	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي ... الآية﴾	٩٠	٢٤، ٢٧ ٣٢
الفرقان	﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا... الآية﴾	٦٥	١١
المدثر	﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ... الآية﴾	٤	٢١

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
«أمّا مروءتنا فأن نعفو عمّن ظلمنا، ونعطي مَن حرمنا، ونصل من قطعنا»	٢٦
«إنّ الله جميل يحب الجمال»	٢٠
«إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده»	٢٠
«إنما بُعثت لأتمّم صالح الأخلاق»	١٤
«إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق»	١٤
«لا دين إلاّ بمروءة»	٢٥
«لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر....»	٢٠
«ما المروّة فيكم؟ قال: الصلاح في الدين وإصلاح المعيشة وسخاء النفس...»	٤٦
«من عامل الناس فلم يظلمهم، ووعدهم فلم يخلفهم،....»	٢٤
«مَن لم يُحْسِن الوصية عند الموت، كان نقصاً في مروءته وعقله»	٥٧

موقع الدكتور مرتضى تنبك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأشعار

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـ ى ـ		
ليس الكريم	مضى	ـ	٢	٥٠
		ـ ء ـ		
عادَوا	أعداءُ	ـ	١	٦٢
والعشق	حوبائه	المتنبي	١	١٢
		ـ ب ـ		
فضلُ	والحسَبُ	منصور الفقيه	٢	٣٨
ليس الأديب	والغريب	منصور الفقيه	٣	٣٨
لا أعير	حبيبا	أبو نواس	٢	٤٤
فتى	شحوبُ	أخو عبس	١	١٩
		ـ ت ـ		
جار الزمان	آتي	ـ	١	١٦
أذكرتني	مصافاتي	أحمد بن عبد الله	٣	١٣
وترى	ضرّاتِها	المتنبي	٢	٩
نوم الغداة	المروءات	ـ		٥٧
		ـ ج ـ		
إنّ السماحة	الحشرَج	زياد الأعجم	٢	١١
		ـ د ـ		
فإنْ قُلْتَ	جدود	ـ	٢	٣٧
إذا المرء	شديد	المعلوط القريعي	١	١٠

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		— ر —		
إنّ التوقر	الأستارِ	ابن وكيع التنيسي	٢	٥١
قل للذي	أو عارِ	—		٥٦
		— س —		
نعم المعين	نفسهُ	يحيى بن يحيى	٣	٤٩
		— ش —		
كُل مَن	رياشا	منصور الفقيه		٦٢
		— ع —		
إن المروءة	فأضاعها	الحصين بن المنذر الرقاشي	٣	٤٥
ولابدّ من	يتوجعُ	بشار بن برد	١	٦١
والشيبُ	مُقْنِعُ	طريح بن إسماعيل الثقفي	٤	٤٣
		— ق —		
وليس فتى	غَبوقِ	—	٢	٤٥
		— ل —		
وإذا الفتى	كَمُلْ	—	١	٤١
فلَوْ مُدّ	باذلا	الأحنف بن قيس	٢	٤٨
أجد	جميلا	المتنبي	١	١٢
مَنْ عَفّ	مملولُ	(أنشده) ثعلب	١	٢٣
احتل	مالُ	—	٢	٥٠
وما ذمّي	قبلُ	مسلم بن الوليد	٢	٣٧
وأخوكَ	ثقيلُ	(أنشده) ثعلب	١	٢٣
رُزِقْتُ	المالِ	—	٢	٤٨
وما المرءُ	فاجعَلِ	—	١	٣٧

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـــ م ـــ		
تلذُلُهُ	الغرامُ	المتنبي	٢	١١
		ـــ ن ـــ		
ما أحسن	والحزَنِ	البحتري	١	١٢
أدمِ المروءة	متينِ	ابن حمديس الصقلي	٢	١٢
		ـــ و ـــ		
جمعتَ إلى	المُرُوّهْ	أحمد بن محمد الصخري	٢	٩

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأمثال

المثـــل	الصفحة
«آفة المروءة خُلف الوعد»	٣٩
«تاج المروءة التواضع»	٣٩
«لو لم يترك العاقل الكذب إلا للمروءة، لكان حقيقاً بذلك، فكيف..»	٣٩
«مَن ترك المِراء سلمت له المروءة»	٣٩
«نعم العون على المروءة المال»	٤٨

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

المصادر والمراجع

الأبشيهي، شهاب الدين أحمد:

المستطرف في كل فن مستظرف، القاهرة، المكتبة التجارية، ط٢، ١٣٧٢هـ، ١٩٥٣م.

الأزهري، أبو منصور:

تهذيب اللغة، تح: إبراهيم الأبياري، الجزء/١٥، القاهرة، دار الكتاب العربي، ط١، ١٩٦٧م.

الأصفهاني، أبو الفرج:

الأغاني، الجزء/٢٢، تح: علي السباعي ورفيقيه، القاهرة، الهيئة المصرية العامة، ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م.

الأعجم، زياد:

شعر زياد الأعجم، ح: يوسف حسين بكار، دمشق، وزارة الثقافة ١٩٨٣م.

البستاني، بطرس:

محيط المحيط، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٧٧م.

البغدادي، إسماعيل باشا:

إيضاح المكنون، طهران، المكتبة الإسلامية، ١٩٦٧م.

البغدادي، عبد القادر:

خزانة الأدب، بيروت، دار الثقافة، مصورة عن طبعة بولاق، بلا تاريخ.

الترمذي، محمد بن عيسى:

سنن الترمذي، تعليق : عزة عبيد الدعاس، حمص، مطابع الفجر الحديثة ١٣٨٥هـ، ١٩٦٥م.

www.mtenback.com

التنوخي، المحسّن بن علي:

المستجاد من فعلات الأجواد، تح: محمد كرد علي، بيروت، دار صادر ١٤١٢هـ، ١٩٥٢م.

التوحيدي، أبو حيان:

البصائر والذخائر، ج/١، تح: أحمد أمين وأحمد صخر، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٧٣هـ، ١٩٥٣م.

تيمور باشا، أحمد:

علي بن أبي طالب، شعره وحِكَمه، القاهرة، لجنة نشر المؤلفات التيمورية ١٣٧٨هـ، ١٩٥٨م.

الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد:

أ- التمثيل والمحاضرة، تح: عبد الفتاح محمد الحلو، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية ١٣٨١هـ، ١٩٦١م.

ب - ثمار القلوب، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٥م.

ج - يتيمة الدهر، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى ١٣٧٥هـ، ١٩٥٦م.

الجاحظ، عمرو بن بحر:

البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٦٧هـ، ١٩٤٨م.

الجوهري، إسماعيل بن حمّاد:

الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، القاهرة، دار الكتاب العربي ١٩٥١م.

www.mtenback.com

حاجي خليفة:

كشف الظنون، طهران، المكتبة الإسلامية ١٩٦٧م.

ابن حبان البُسْتيّ، أبو حاتم محمد:

روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تح: محمد حامد الفقّي، القاهرة، مطبعة السنّة المحمدية ١٣٧٤هـ، ١٩٥٥م.

الحُصْري القيرواني، أبو إسحق:

زهر الآداب وثمر الألباب، شرح وضبط: زكي مبارك، نصر، المكتبة التجارية الكبرى ١٩٢٩م.

الحموي، ياقوت:

معجم الأدباء، بيروت، دار المستشرق، طبعة مصورة عن طبعة فريد الرفاعي، بلا تاريخ، ولا مكان الطبع.

ابن حنبل، أحمد بن محمد:

المُسند، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة، دار الحديث.

الحوت، البيروتي، محمد بن السيد درويش:

أسنى المطالب، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٥هـ.

الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن:

سنن الدارمي، بعناية : محمد أحمد دهمان، دار إحياء السنة النبوية، بلا تاريخ.

الراغب الأصفهاني، حسين بن محمد:

- محاضرات الأدباء: إيران، المكتبة الحيدرية، ١٤١٤هـ.
- المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، القاهرة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦١م.

www.mtenback.com

الزَّبيدي، محمد مرتضى:

تاج العروس، تح: عبد الستار فرّاج، الجزء الأول، الكويت، ١٩٦٥م.

الزركلي، خير الدين:

الأعلام، القاهرة، ١٩٥٩م.

زين الدين، أبو الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي:

جامع العلوم والحكم، تح: محمد الأحمدي أبو النور، دار الكتاب الجديد، جزآن.

سركيس، يوسف:

معجم المطبوعات العربية والمعربة، مصر ١٣٤٦هـ، ١٩٢٨م.

السيوطي، جلال الدين:

الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، شرح وترتيب: يوسف النبهاني، القاهرة، دار الكتب العربية الكبرى، بلا تاريخ.

الشرباصي، أحمد:

الأئمة الأربعة، القاهرة، دار الهلال، بلا تاريخ.

الشريوني، سعيد:

أقرب الموارد، بيروت، طبعة مصورة، بلا تاريخ.

الصقلي، ابن حمديس:

ديوان ابن حمديس، تح: إحسان عباس، بيروت، دار صادر ودار بيروت ١٣٧٩هـ، ١٩٦٠م.

ابن أبي طالب، الإمام علي:

نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، بإشراف: عبد العزيز سيد الأهل، بيروت، مكتبة الأندلس، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م.

www.mtenback.com

ابن عبد البرّ القرطبي، يوسف بن عبد الله:

بهجة المجالس، تح: محمد مرسي الخولي، القاهرة، دار الكاتب العربي ١٩٦٧م.

ابن عبد ربه، أحمد بن محمد:

العقد الفريد، تحقيق: أحمد الزين ورفاقه، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م.

ابن العماد الحنبلي، عبد الحي ابن العماد:

شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، المكتب التجاري، بلا تاريخ.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد:

ترتيب كتاب العين، تح: محمد مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، تصحيح: أسعد الطيب، إيران، بلا تاريخ.

الفيروزابادي، مجد الدين:

القاموس المحيط، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى ١٩٥٤م.

الفيومي، أحمد بن محمد:

المصباح المنير، القاهرة، المطبعة الأميرية ١٩٣٥م.

القالي، أبو علي:

الأمالي، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى ١٩٥٣م.

ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم:

- عيون الأخبار، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية في القاهرة، بلا تاريخ.
- أدب الكاتب، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م.

www.mtenback.com

مالك، الإمام:

موطأ الإمام مالك، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دار الحديث، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

الماوَردي، علي بن محمد:

أدب الدنيا والدين، تح: مصطفى السقا، بيروت، دار الفكر، بلا تاريخ.

المبرّد، محمد بن يزيد:

الكامل، تحقيق: زكي مبارك وأحمد شاكر، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م.

مجمع اللغة العربية:

المعجم الوسيط، القاهرة، ط١، ١٩٦١م.

المحِبي، محمد أمين:

خلاصة الأثر، بيروت، دار صادر، بلا تاريخ.

المرزوقي، أحمد بن محمد:

شرح ديوان الحماسة، تح: أحمد أمين وعبد السلام هارون، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٢م.

المطرّزي، ناصر الدين:

المُغْرِب في ترتيب المُعرب، تح: محمود فاخوري وعبد الحميد مختار، حلب، مكتبة أسامة بن زيد، ١٩٧٩م.

ابن المقفع، عبد الله:

الأدب الكبير، بعناية: محمد حسن نائل المرصفي، القاهرة، ١٣٣هـ.

المكّي، أبو طالب، محمد بن علي:

قوت القلوب، بيروت، دار الفكر، طبعة مصورة.

www.mtenback.com

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم:

المعجم العربي الأساسي، لاروس، ١٩٨٩م.

ابن منظور، محمد بن مكرم:

لسان العرب، بيروت، دار صادر، ودار بيروت، ١٩٥٤م.

ابن منقذ، أسامة:

لباب الآداب، تح: أحمد محمد شاكر، مصر، المطبعة الرحمانية، ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م.

الميداني، أحمد بن محمد:

مجمع الأمثال، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م.

ابن نُباتة المصري، جمال الدين:

سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م.

النشاشيبي، محمد إسعاف:

نُقل الأديب، بيروت، دار ريحاني، بلا تاريخ.

النويري، أحمد بن عبد الوهاب:

نهاية الأرب، القاهرة، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، بلا تاريخ.

الوشاء، محمد بن إسحاق:

الموشى، بيروت، دار صادر، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

الوطواط، برهان الدين الكتبي:

غُرر الخصائص الواضحة، بيروت، دار صعب، بلا تاريخ.

www.mtenback.com

اليازجي، ناصيف:

العَرْف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، بيروت، طبعة مصورة، د.ت.

ابن يعقوب، محمد بن قاسم:

روض الأخيار، مصر، المطبعة الميمنية، ١٣٠٧هـ.

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية

(٤٩)

المشورة

الباحث الرئيسي ورئيس الفريق العلمي
أ.د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك

www.mtenback.com

دار رواح للنشر والتوزيع

(ح) مرزوق بن صنيتان بن تنباك ، ١٤٢١ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية/مرزوق بن صنيتان بن تنباك ... [أخ]. الرياض.

٥٢ ج؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٦-٢٣٤-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٤٩)

١- الأدب العربي - موسوعات أ- ابن تنباك ، مرزوق بن صنيتان (م . مشارك)

ديوي ٨١٠,٣ ٢١/٢٠٧٨

رقم الإيداع : ٢١/٢٠٧٨

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٦-٢٣٤-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٤٩)

موقع الشيخ مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس المحتويات

الموضـــوع	الصفحة
توطئة	٥
المشورة لغةً	٧
المشورة اصطلاحاً	٨
المشورة قيمة اجتماعية	٩
فوائد المشورة	٢٣
شروط المشورة	٣٧
صفات المستشار	٤٧
مشورة الشيوخ والشباب	٥٨
استشارة أصحاب المهن	٦٣
استشارة النساء	٦٥
صفات المستشير وعاقبة من لا يستمع إلى المشورة	٦٩
اكتساب خلق المشورة	٧٩
المشورة في القضاء	٨٣
الفهارس	٨٩

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فَإِذَا رُزِقَتْ خَلِيقَةً مَحْمُودَةً فَقَدْ اصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الأَرْزَاقِ

فَالنَّاسُ هَذَا حَظُّهُ مَالٌ وَذَا عِلْمٌ وَذَاكَ مَكَارِمُ الأَخْلَاقِ

حَافِظ إِبْرَاهِيم

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

توطئة:

المشورة من القيم العربية الأصيلة، بل إنها من أبرزها وأكثرها أهمية، لما لها من فوائد جليلة، ومنافع جزيلة، تخلّق بها العرب، وامتدحها الشعراء، وأوصى بها البلغاء. وعندما أشرق الإسلام، وأنار دياجي الجزيرة العربية بنور العلم والإيمان، وجعل من العرب مادة الإسلام الأولى، وبناة دولة الحق والعدل والحضارة، حافظ على كثير من القيم العربية النبيلة، وأعطاها بعدًا إسلاميًا جديدًا، وحضّ على التخلق بها، والتمسك بآدابها، وكان من أشهر تلك القيم المشورة، ويكفي دليلاً على أهميتها أن الله عز وجل أمر نبيّه الكريم بها، ووصف عباده المؤمنين بأنّ أمرهم شورى؛ ولذلك مارسها الرعيل الأول ممارسة فعلية، وتمسّكوا بها، وعضّوا عليها بالنواجذ.

وللمشورة عظيم الأثر وبالغ الأهمية في حياة الفرد والمجتمع، فالإنسان الذي تعاورته الشكوك، واشتبهت عليه السبل، وأغلقت من دونه منافذ الرأي، فأصبح حائرًا مترددًا، لا يعرف موردًا من مصدر، لا ينقذه مما هو فيه إلاّ اللجوء إلى المشورة، والرجوع إلى ذي مرة، عجمته الخطوب وهذبته الدهور، وعندئذ تُفتّح له أبواب من الرأي كانت موصدة، وتكشف له أنوار الحقيقة، فيتخلص من أثقال الهواجس والظنون.

والمجتمع الذي يتخذ من المشورة منهجًا ودستورًا، يصبح مجتمعًا متماسكًا قويًا، تربطه وشائج المحبة والألفة، وتشدّه أواصر الودّ والتعاون، فيتخلص من الحقد والحسد والتشاحن، ويصير مجتمعًا تحكمه إرادة جماعية واعية، تقوم على الحوار البنّاء، والنقاش الفعّال، فينجو من الاستبداد والطغيان المؤديين إلى الهلاك والدمار.

لقد تناولت كتب التراث بمختلف فروعها هذه القيمة الخلقية، وأولتها عناية خاصة في معالجتها وإبراز فضلها، فبيّنت فوائدها الجمة، وثمارها الغَضّة، وأثرها الطيب في حياة الإنسان صغيرًا كان أو كبيرًا، سيدًا أو مسودًا. وبحثت في شروطها وأدلتها،

www.mtenback.com

وتحدثت عن صفات المستشار كما أوضحت صفات المستشير أيضًا. وبينت سوء العاقبة والمصير المظلم لمن يترك الشورى ويعطل دلالتها.

ولعل في هذا البحث إسهاماً في تأصيل هذه القيمة الخلقية في نفوس أجيالنا، وجعلها سلوكًا لهم في حياتهم الخاصة والعامة، وخلقًا نبيلاً يمارسونه قولاً وعملاً.

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

المشورة لغة:

يُرَدُّ معنى المشورة إلى أصلين لغويين: الأول منهما، الإبداء والإظهار، والثاني الأخذ. قال ابن فارس[1]: «الشين والواو والراء أصلان مطردان، الأول منها إبداء شيء وإظهاره وعرضه، والآخر أخذ شيء».

فمن الأصل الأول، قولهم: شُرْت الدابة شورًا، إذا عرضتها، والمكان الذي تعرض فيه الدواب هو المشوار[2].

ومن الأصل الآخر، قولهم: شُرْتُ العسل أَشُوره[3]. أي استخرجته.

وذهب ابن فارس إلى أنّ المشورة أخذت من الأصل الأخير، فقال[4]: «قال بعض أهل اللغة: من هذا الباب، شاورت فلانًا في أمري. قال: وهو مشتق من شور العسل، فكأن المستشير يأخذ الرأي من غيره». وإلى ذلك ذهب أيضًا الراغب الأصفهاني، فقال[5]: «والتشاور والمشاورة والمشورة: استخراج الرأي بمراجعة البعض إلى البعض، من قولهم: شرت العسل: إذا أخذته من موضعه، واستخرجته منه... والشورى: الأمر الذي يتشاور فيه».

ويرد معنى المشورة إلى الأصل الأول أيضاً، فالزمخشري يقول: في أساس البلاغة[6]: «وشُرتُ الدابة وشوّرتها: عرضتها للبيع، ويقال: شورها تنظر كيف مِشْوارها، أي اختبرها تعلم كيف سيرتُها».

---

(1) أحمد بن فارس: مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١، (١٣٦٨هـ)، ج٣، ص٢٢٦. (شور)

(2) السابق نفسه، وانظر مجد الدين الفيروز آبادي، القاموس المحيط، بيروت، مؤسسة الرسالة، (شور).

(3) ابن فارس: مقاييس اللغة، ج٣، ص٢٢٦، (شور).

(4) المصدر السابق، ج٣، ص٢٢٧، (شور).

(5) الأصفهاني، الراغب: مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دمشق، دار القلم، (١٤١٢/١٩٩٢)، ص٤٦٩.

(6) الزمخشري، محمود بن عمر: أساس البلاغة، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، (١٤٠٤/١٩٨٤)، ص٣٤٠. مادة (شور).

www.mtenback.com

والمستشير من يعرف الحائل من غيرها، وهو مجاز[٧]. فمما ورد نستطيع أن نرد المشورة إلى هذا الأصل، فكأن المستشير يعرض الأمر، ويقلبه على عدة أوجه ليرى ما فيه من محاسن، ويصل إلى وجه الصواب فيه.

ويؤيد هذا ما قاله الفخر الرازي[٨]: «قيل المشاورة مأخوذة من قولهم: شرت العسل أشوره إذا أخذته من موضعه، واستخرجته، وقيل مأخوذة من قولهم شرت الدابة شوراً إذا عرضتها، والمكان الذي تعرض فيه الدواب يسمى مِشْواراً، كأنه بالعرض يعلم خيره وشره، فكذلك بالمشاورة يعلم خير الأمور وشرها».

وفي اللسان[٩] هي الشورى والمشورة بضم الشين...، وتقول شاورته في الأمر واستشرته...، واستشاره طلب منه المشورة.

نخلص من هذا كله إلى أن معاني مادة (شور) كلها تؤدي إلى معنى النظر والتفكر في أمر ما، لاستخلاص وإظهار ما فيه مادياً كان أو معنوياً، وإلى هذا يعود معنى المشورة.

المشورة اصطلاحًا:

لا يبعد معنى المشورة في الاصطلاح عن معناها اللغوي، فالمشورة هي السعي إلى استخلاص الرأي الصواب، عن طريق مناقشة الآخرين، والاستئناس بآرائهم، يقول ابن العربي[١٠]: «إن المشاورة هي الاجتماع على الأمر ليستشير كل واحد منهم صاحبه، ويستخرج ما عنده».

---

[٧] الزبيدي، محمود بن محمد: تاج العروس، الكويت، مطبعة حكومة الكويت، (شور).

[٨] الرازي، فخر الدين محمد بن عمر: تفسير الفخر الرازي، بيروت، دار الفكر، ج٩، ص٦٧.

[٩] ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، (شور).

[١٠] العربي، أبو بكر محمد: أحكام القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ج١، ص٢٩٧؛ وانظر: القرطبي، محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (١٤٠٥/١٩٨٥)، ج٤، ص٢٤٩.

www.mtenback.com

وهناك من عرّف المشورة بأنها المفاوضة في الكلام ليظهر الحق[١١]، ومنهم من عرفها بأنّها آلة يستعان بها في تدبير السياسة والآراء وأصنافها[١٢].

من هذه التعاريف الاصطلاحية نجد الغرض منها، هو الوصول إلى الصواب والرأي الأمثل، بعد موازنة الآراء، ومقارنة الأفكار، بعضها مع بعضها الآخر.

فالمشورة تعني عرض الأمر الذي فيه إشكال على من يُتَوسم فيهم الفكر الحصيف والرأي السديد، من ذوي التجارب والخبرات، وسماع أقوالهم المختلفة للوصول إلى حل مناسب لذلك الإشكال، لاتخاذ القرار المناسب.

وهي تعني أيضًا عدم الاستبداد والانفراد بالتصرف، قبل معرفة ما للأمر وما عليه عند مناقشته، وتبادل وجهات النظر حوله، حتى تظهر المصلحة فيه، ويُستبان وجه الصواب من المحاورة والمناقشة[١٣].

المشورة قيمة اجتماعية:

مهما أوتي الإنسان من ذكاء وقاد، وبصيرة نافذة، وقدرة على التمييز بين الخير والشر، فإنه يظل قاصرًا عن إدراك الصواب، والوصول إلى الحقيقة في كلّ آونة وحين، وقد تمر عليه أوقات تتعطل لديه ملكة التفكير، فلا يميز صوابًا من خطأ، ولا صالحًا من طالح، ويشعر أنه في مفترق طرق لا يدري أيها طريق الهدى والنجاة.

---

[١١] الطبرسي، الفضل بن الحسن: مجمع البيان في تفسير القرآن، إيران، شركة المعارف الإسلامية، ج٩، ص٣٣.

[١٢] الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد: تحفة الوزارة، تحقيق: حبيب علي الراوي، وابتسام مرهون الصفار، بغداد، مطبعة العاني، (١٩٧٧م)، ص٨٦.

[١٣] انظر: التميمي، عز الدين: الشورى بين الأصالة والمعاصرة، عمان، دار البشير، (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ص١٥.

www.mtenback.com

وعندها لابد من أن يلجأ إلى من يأنس إليه، ويتوسم فيه الرشد والفطنة وبعد النظر، وسداد الرأي، لعله يجد عنده حلاً لمشكلته وخلاصًا لمعاناته. جاء في ربيع الأبرار[١٤]: «أعقل الرجال لا يستغني عن مشاورة ذوي الألباب».

وهذا يصدق على جميع بني البشر، لأن الضعف طبيعتهم، والعجز معدنهم، قال الله عز وجل: ﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾[١٥]. فهم بحاجة ماسة إلى المساعدة والتعاون والمشاورة فيما بينهم، بسبب ذلك الضعف الذي جبلوا عليه، والعجز الذي نشؤوا فيه.

والرسول عليه السلام، وهو أكمل الناس عقلاً وأغزرهم علمًا، وأتمهم تدبيرًا، وأجودهم رأيًا، وأعظمهم فكرًا، وفوق هذا كله، فهو مؤيد بالوحي الإلهي يأتيه من فوق سبع طباق ومع ذلك فإن الله يأمره أن يشاور أصحابه، فيقول: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[١٦]، وبهذه الآية الكريمة استدل بعضهم على أنه لا يمكن لأي مخلوق مهما علت منزلته، أن يستغني عن المشورة فيما يعرض عليه من أمور الدنيا، يقول الفخر الرازي، عندما فسر هذه الآية[١٧]: الثاني: أنه عليه السلام وإن كان أكمل الناس عقلاً، إلا أن علوم الخلق متناهية، فلا يبعد أن يخطر ببال إنسان من وجه المصالح ما لا يخطر بباله، ولا سيما فيما يفعل من أمور الدنيا، فإنه عليه السلام قال: «ما تشاور قوم قط، إلا هدوا لأرشد أمرهم»[١٨].

---

[١٤] الزمخشري، جار الله محمود بن عمر: ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق: سليم النعيمي، بغداد، مطبعة العاني، (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ج٣، ص١٤٦.

[١٥] سورة النساء: ٢٨.

[١٦] سورة آل عمران: ١٥٩.

[١٧] الفخر الرازي: التفسير الكبير، ج٩، ص٦٨.

[١٨] لم أجده بهذا اللفظ، وإنما أخرج السيوطي في الجامع الصغير، ج٢، ص١٦٢، حديثًا بلفظ قريب من هذا هو: «من أراد أمرًا فشاور فيه امرأً مسلمًا وفقه الله لأرشد أموره».

www.mtenback.com

وفي هذا التوجيه الإلهي ترسيخ لمبدأ الشورى بين القاعدة والقمة، بين الشعب والسلطة، بين الحاكم والمحكوم، وفيه تصور عام لأساس الحكم في المجتمع الإسلامي، يقوم على التحاور والتشاور، وفي هذا إصلاح المجتمع ونهضته ورقيّه، إذ يجنّبه الاستبداد بالرأي الذي يَقود إلى الجور والظلم والتعسف، ومن ثمة ينتهي به إلى الدمار والهلاك.

فالمشورة ضرورة حتمية، وقيمة خلقية عليا، في ظلها يشعر الفرد بالأمان والاطمئنان، فهناك من يمد له يد المساعدة، وينتشله من براثن الحيرة، ولجج الضياع، ويضعه على نهج واضح، فينير طريقه، ويهديه سبل الرشاد، وبذلك يصبح المجتمع متماسكًا مترابطًا، تشده وشائج المحبة والألفة، وتسوده مظاهر التعاون والتآزر، ويقوم على التناصح والتشاور.

ولأهمية المشورة في حياة الفرد والمجتمع، ولعظيم شأنها، ولكثرة ثمارها وفوائدها، وصف سبحانه المسلمين بأنهم يتمثلون هذا المبدأ العظيم، ويتحلون بهذا الخلق الحميد، ويجعلونه سلوكًا لهم في حياتهم وشؤونهم الخاصة والعامة، فقال في كتابه العزيز: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[19].

وبهذا النص رسخ مبدأ المشاورة، وأصبح من قواعد الدين وأحكام الشريعة، فمارسها المسلمون الأوائل في شؤون حياتهم الفردية والاجتماعية، وتواصوا بها وتعاهدوا عليها.

فهذه دعوة إلى المشاورة بين أفراد المجتمع بمختلف مستوياتهم، لتنظيم العلاقات الاجتماعية بين الأفراد بطبقاتهم المتنوعة، وتجعل تلك العلاقات قائمة على الحوار والنقاش والمشاورة، مما يعني أنّهم التزموا المشورة فلسفة وسلوكاً، ومنهج حياة، مما

[19] سورة الشورى: ٣٨.

www.mtenback.com

يؤدي إلى تماسك المجتمع، إذ تسوده روح المحبة والتعاون والتآزر، فيصبح - كما وصفه الرسول عليه السلام - «كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً»[٢٠].

وقد رويت الأحاديث في شأنها والدعوة إليها والتمسك بها، وكان النبي ﷺ يقوم بها مع أصحابه، ويطبق هذا المبدأ العظيم قولاً وعملاً فكان كثيراً ما يشاور أصحابه ويأخذ بآرائهم،: قال أبو هريرة: «ما رأيت أحداً كان أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله ﷺ»[٢١].

وقال السرخسي: «وقد كان رسول الله ﷺ أكثر الناس مشاورة لأصحابه رضي الله عنهم، يستشيرهم حتى في قوت أهله وآدامهم»[٢٢]. وقال ابن قتيبة: «كان رسول الله ﷺ يستشير حتى المرأة فتشير عليه بالشيء فيأخذه»[٢٣].

وقد مَجَّدَ العرب في جاهليتهم هذا المبدأ الخلقي الرفيع، فكانوا لا يقدمون على أمر خطير إلاّ بعد مشاورة، حتى إن قريشاً أنشأت داراً لهذا الغرض، أسمتها دار الندوة، يجتمع فيها الرؤساء والأعيان للتشاور، في الأمور، والبت فيها، يقول جواد علي[٢٤]: «فدار الندوة إذن هي دار ملأ مكة، وهم سادتها ووجوهها وأشرافها، وأولو الأمر فيها، و لم تكن برلمانًا أو مجلس شيوخ على النحو المفهوم من اللفظين في المصطلح

---

[٢٠] نص الحديث هو: «المؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً» انظر جلال الدين السيوطي الجامع الصغير، نشر عبد الحميد أحمد حنفي، مصر، ج٢، ص١٨٤.

[٢١] البيهقي، أحمد بن الحسين: السنن الكبرى، بيروت، دار المعرفة،، ج١٠، ص١٠٩.

[٢٢] السرخسي، شمس الدين: المبسوط، تصنيف: الشيخ خليل الميس، دار المعرفة، بيروت، (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ج١٦، ص٧١.

[٢٣] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص٨٢.

[٢٤] علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، دار العلم للملايين، بغداد، مكتبة النهضة، (١٩٧٠م)، ج٤، ص٤٧.

www.mtenback.com

السياسي، وإنما كانت دار أولي الشورى والرأي، تتخذ رأيًا عند ظهور حاجة، أو أخذ الرأي، عند وجوب حصول زعماء الملأ على قرار في أمر هام».

وكان لا يدخل هذه الدار إلا من تجاوز سن الأربعين، ولكن يسمح أحيانًا بالدخول لمن لم يصل إلى هذه السن، إن كان من ذوي الذكاء والفطنة، ومن أصحاب الآراء السديدة والعقول النيرة، وهذا دليل على أن الهدف من هذه الدار التشاور والتفاوض، في الأمور المهمة التي تتطلب تقليب الآراء ومناقشتها، للوصول إلى اتخاذ القرار في شأنها[٢٥]..

وقد عبر شعراء الجاهلية وخطباؤها عن أهمية المشورة وقيمتها وخاصة في الأمور الجسيمة، يقول أوس بن حَجَر[٢٦]:

رَحَلْتُ إِلى قَوْمي لأَدْعُوَ جُلَّهُمْ ... إِلى أَمْرِ حَزْمٍ أَحْكَمَتْهُ الجَوامِعُ

ويقول أيضًا مفتخرًا بقدرته على تمييز الآراء، وأنه يقدم المشورة الجيدة والصائبة إلى من يطلبها منه[٢٧]:

وَإِنْ قالَ لِي: ماذا تَرَى يَسْتَشِيرُني ... يَجِدْني ابنَ عَمٍّ مُخْلِطَ الأَمْرِ مُزْيِلاَ

ويقول طُرَفَةُ بن العبد مبيناً أن مشاورة الحكيم صاحب الفهم تحلّ المعضلات وتفتح مغاليق الأمور[٢٨]:

وَإِنْ بابُ أَمْرٍ عَلَيْكَ الْتَوَى ... فَشاوِرْ لَبِيبًا وَلا تَعْصِهِ

---

[٢٥] انظر السابق، ج٤، ص٤٧.

[٢٦] أوس بن حجر، ديوانه، تحقيق:: محمد يوسف نجم، (بيروت، دار صادر، ودار بيروت للطباعة والنشر، (١٣٨٠هـ/١٩٦٠م)، ص١٣٣.

[٢٧] السابق ص٨٢.

[٢٨] طرفة بن العبد، ديوان طرفة بن العبد، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ص٦٤.

www.mtenback.com

ويدعو إلى تقريب ذوي الرأي والنصح والاستماع لقولهم، واتباع ما يشيرون به، فيقول[٢٩]:

وَإِنْ نَاصِحٌ مِنْكَ يَوْمًا دَنَا فَلا تَنْأَ عَنْهُ، وَلا تَعْصِهِ

كما رويت أقوال لخطباء الجاهلية وحكمائها، تمجد المشورة، وتعلي من شأنها، من ذلك ما روي عن أكثم بن صيفي أنه قال[٣٠]: «المشورة مادة الرأي» وجاء في أدب الدنيا والدين للماوردي[٣١]: «وقيل لرجل من عبس ما أكثر صوابكم! قال: نحن ألف رجل، وفينا حازم نطيعه، فكأننا ألف حازم».

فالمشورة ذات شأن خطير، ونفع جليل، وفوائدها أكثر من أن تحصى، فلا يستغني عنها كبير ولا صغير، عالم أو جاهل، رئيس أو مرؤوس، حتى إنّها عدت من مقومات الملك، وأساس الحكم، قال الطرطوشي[٣٢]: «هي مما تعده الحكماء من أساس المملكة، وقواعد السلطنة، ويفتقر إليها الرئيس والمرؤوس».

وقال ابن العربي[٣٣]: «المشاورة أصل الدين وسنة الله في العالمين، وهي حق على عامة الخليقة من الرسول إلى أقل خلق بعده في درجاتهم». وقال أيضًا[٣٤]: «وهذه سيرة أولية، وسنة نبوية، وخصلة عند جميع الأمم المرضية».

---

[٢٩] ديوان طرفة بن العبد، ص٦٤.

[٣٠] القرطبي، يوسف بن عبد الله النميري: بهجة المجالس وأنس المجالس، وشحن الذاهن والهاجس، تحقيق: محمد مرسي الخولي، بيروت، دار الكتب العلمية، ج٢، القسم الأول، ص٤٥٤.

[٣١] الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب: أدب الدنيا والدين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ص٢٢٤.

[٣٢] ابن الأزرق، أبو عبد الله محمد: بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق: محمد بن عبد الكريم، ليبيا، تونس، الدار العربية للكتاب، ج١، ص٢٩٤.

[٣٣] السابق نفسه.

[٣٤] السابق نفسه.

www.mtenback.com

ولأهمية الشورى، وجليل فوائدها، كانوا لا يعدون الرجل كامل الرجولة، إن لم يتخذ المشورة منهجًا له في الحياة، يلجأ إليها إن حزبه أمر، أو اعتاص عليه شـــأن، فقد روي عن الحسن البصري أنه قال[٣٥]: «الناس ثلاثة: فرجل رجلٌ، ورجلٌ نصف رجل، ورجل لا رجل، فأما الرجل، فذو الرأي والمشورة، وأما نصف الرجل، فالذي له رأي ولا يشاور، وأما الرجل الذي ليس برجل، فالذي لا رأي له ولا مشاورة».

ومما يدل على عظيم شأنها عندهم، أنهم كانوا يفضلون الخطأ مع المشورة على الصواب مع عدمها، فقد روي عن عبد الملك بن مروان، أنّه قال[٣٦]: «لأن أخطـــئ وقد استشرت أحبُّ إليَّ من أن أصيب وقد استبددت برأي، وأمضيته من غير مشورة، لأن المقدم على رأيه، يزري به أمران: تصديقه رأيه الواجب عليه تكذيبه، وتركه مـــن المشورة ما يزداد به بصيرة».

وقال بعض البلغاء[٣٧]: «الخطأ مع الاسترشاد، أحمد من الصواب مع الاستبداد».

وما ذاك إلا لتمكن المشورة من نفوسهم، وإيمانهم العميق بفوائدها الجليلة، قال علي بن أبي طالب[٣٨]: «لا مظاهرة أوثق من المشاورة».

ولنفورهم من الاستبداد بالرأي، أو الإعجاب به، قال عبد الملك بن مروان[٣٩]: «العُجْب آفة الرأي».

---

[٣٥] الزمخشري: ربيع الأبرار، ج٣، ص١٤٦.

[٣٦] الشيزري، عبد الرحمن بن عبد الله بن نصر: المنهج المسلوك في سياسة الملوك، تحقيق: علي عبـــد الله الموسى، الأردن، الزرقاء، مكتبة المنار، (١٤٠٧م/١٩٨٧م)، ص٤٨١.

[٣٧] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص٢٢٦.

[٣٨] الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسين: نهج البلاغة، شرح: الشيخ محمد عبده، بيروت، مكتبة الأندلس، ج٤، ص١١٠.

[٣٩] القرطبي، يوسف بن عبد الله: بهجة المجالس، ج٢، من القسم الأول، ص٤٥٧.

www.mtenback.com

فالرأي السديد العلّة فيه والبلاء، إعجاب صاحبه وغروره، فيطغى ويفسد منه ما كان صالحًا، وتذهب الثمرة بعد أن كانت وشيكة الإيناع.

والإعجاب بالرأي يجعل الإنسان يعتد بنفسه، ويترفع عن استشارة الآخرين والاستعانة بهم، فيقع في مهاوي الردى والضلال، ولذلك حذّر الحكماء منه، وبيّنوا خطره وسوء عاقبته، ففي تفسير القرطبي[٤٠]: «من أعجب برأيه ضل»، وقال بعض الحكماء[٤١]: «حقيق أن يوكل إلى نفسه من أعجب برأيه»، وجاء في المستطرف[٤٢]: «من أعجبته آراؤه غلبته أعداؤه».

وقد ذم الشعراء الاستبداد بالرأي، وامتدحوا المشورة، وبيّنوا فضلها، قالوا في ذلك[٤٣]:

إنَّ اللَّبيبَ إذا تَفَرَّقَ أَمْرُهُ ... فَتَقَ الأُمُورَ مُناظِرًا ومُشاوِرا

وَأَخُو الجَهالَةِ يَسْتَبِدُّ بِرَأْيِهِ ... فَتَراهُ يَعْتَسِفُ الأُمُورَ مُخاطِرا

فجعل المشورة قرين الفهم والعلم، والاستبداد قرين الجهل والجور وقال آخر[٤٤]:

تَأَنَّ وَشاوِرْ فَإِنَّ الأُمُو ... رَ مِنْها مُضِيءٌ وَمُسْتَغْمَضُ

---

[٤٠] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن، بيروت، إحياء التراث العربي، (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ج٤، ص٢٥٠.

[٤١] القرطبي، يوسف بن عبد الله: بهجة المجالس، ج٢، القسم الأول، ص٤٥٧.

[٤٢] الأبشيهي، شهاب الدين أحمد: المستطرف في كل فن مستظرف، إشراف المكتب العالمي للبحوث، بيروت، دار مكتبة الحياة، (١٩٨٧م)، ج١، ٤٢.

[٤٣] الزمخشري، ربيع الأبرار، ج٣، ص١٥٥.

[٤٤] الزوزني، أبو محمد عبد الله العبدلكاني: حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء، تحقيق: محمد جبار المعيبد، العراق، منشورات وزارة الإعلام، (١٩٧٣م)، ص١٨٩.

www.mtenback.com

وَرَأْيـانِ أَفْضَـلُ مِـنْ واحـدٍ وَرَأْيُ الثَّلاثَـةِ لا يُنْقَـضُ

وروى القالي في صورة عفوية عن شاعر عاقل أدرك أن صواب الرأي،لن يكون له إذا ترك مشورة أصحابه، لذلك توجه إلى صاحبيه وطلب مشورتهما. قال[٤٥]:

خَلِيلَيَّ لَيْسَ الرَّأْيُ في صَدْرِ واحِـدٍ أَشِـيرا عَلَـيَّ اليَـوْمَ مـا تَرَيَـانِ

ومتى اقتضت الحكمة وبلوغ الحقّ الاستعانة بآراء أصحاب الخـبرة والدرايـة، فعلى المرء ألا يتأخر عن الاسترشاد بوجهات نظرهم، وألا يعتبر ذلك إنقاصاً من قدره، أو إشارة لضعف وعجز قال بشار بن برد[٤٦]:

إِذا بَلَغَ الـرَّأْيُ المَشُـورَةَ فَاسْـتَعِنْ بِرَأْيِ نَصِيـحٍ أَوْ نَصيحَـةِ حـازِمِ
وَلا تَجْعَلِ الشُّورى عَلَيْكَ غَضاضَـةً مَكـانُ الخَوافـي قُـوَّةٌ لِلْقَـوادِمِ

وإذا كان المرء مِمّن يُستنصحون ويؤخذ برأيهم في الملمّات والمشكلات فهذا لا يعني استغناءه، عن مداولة الرأي مع ذوي العقل والبصيرة من الناس، إذا ما واجهتـه معضلة ما، قال القاضي الأرجاني في برهان منطقي لطيف على هذا المعنى[٤٧]:

شـاوِرْ سِـواكَ إِذا نـابَتْكَ نائِبَـةٌ يَوْمًا وَإِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ المَشُـوراتِ
فَالْعَيْنُ تَلْقَى كِفاحًا ما نَـأَى وَدَنـا وَلا تَـرَى نَفْسَـها إِلاّ بِمِـرْآةِ

وقد امتدح العلماء والحكماء والمفكرون قديمًا وحديثًا المشورة، وحضوا عليها، وبيّنوا فضلها وفوائدها، ودعوا إلى التمسك بها واتخاذها منهج حياة، وسلوكًا وخلقًـا،

---

[٤٥] البغدادي، أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي: الأمالي، بيروت، دار الكتب العلمية، ج١، ص٤٤.

[٤٦] بشار بن برد، ديوان بشار، نشره: محمد الطاهر بن عاشور، مراجعة: محمد شوقي أمـين، القـاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (١٣٨٦هـ/١٩٦٦م)، ج٤، ملحقـات الديـوان، ص١٧٢، ورواهما الزمخشري في ربيع الأبرار، ج٣، ص١٤٤، إلى الجعجاع الأزدي.

[٤٧] الأرجاني، أبو بكر أحمد بن محمد الحسين: ديوان الأرجاني، تحقيق: محمد قاسم مصطفـى، بغـداد، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراقية، (١٩٧٩م)، ج١، ص٢٤٦-٢٤٧.

www.mtenback.com

جاء في المنهج المسلوك[٤٨]: «اعلم أن المشورة عين الهداية، وسبيل الرشاد إلى الأمر، وإيضاح المبهم من الرأي، ومفتاح المغلق من الصواب، وقد حثَّ الشارع عليها، وندبَ الخلقَ إليها».

وقال الماوردي[٤٩]: «اعلم أن من الحزم لكل ذي لب، ألا يبرم أمرًا ولا يمضي عزمًا إلاَّ بمشورة ذي الرأي الناصح، ومطالعة ذي العقل الراجح، فإن الله تعالى أمر بالمشورة نبيه ﷺ، مع ما تكفَّل به من إرشاده ووعد به من تأييده، فقال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[٥٠].

فالمشورة دعامة أساسية من دعامات المجتمع الإنساني في كلّ زمان ومكان، ولا تنتظم شؤون الناس، ولا تستقيم أمورهم إلاّ بها. فأسعد المجتمعات البشرية هي التي يسودها نظام الشورى، وأشقاها ما طغى عليها الاستبداد، والتفرد بالرأي، قال الثعالبي[٥١]: «والمشورة آلة يستعان بها في تدبير السياسة والآراء وأصنافها، والسياسة نظام الدولة، وصورة الملك، فإذا ضعفت الآلة أو فسدت، ضعف الملك وفسد».

وقال: «المشورة والآراء صناعة نفسانية صرفة؛ فلهذا كانت أشرف، كما أن الحمل على الرأس وغيره صناعة جسدانية؛ فلهذا كانت أخس، والخطأ في ذلك شديد، والضرر والخلل بخلاف هذا، فكم من دماء أريقت، وبلاد خربت، ومحارم انتهكت، وسبب ذلك سوء الآراء وخللها»[٥٢].

---

[٤٨] الشيزري، المنهج المسلوك في سياسة الملوك، ص٤٧٥.

[٤٩] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص٢٢٣.

[٥٠] سورة آل عمران: ١٥٩.

[٥١] الثعالبي، تحفة الوزارة، ص٨٦.

[٥٢] السابق ص٨٧.

www.mtenback.com

فالمشورة واجبة لكونها ضرورة من ضرورات الحياة الاجتماعية والسياسية، لا تستغني عنها أمة من الأمم، ولا جماعة من الجماعات، فهي ضمان لحرية المجتمع وسلامته، وحمايته من الفوضى والارتكاس في حمأة الطغيان والاستبداد، اللذين ينذران بهلاك المجتمعات ودمارها، قال الرسول عليه السلام: «لم يهلك امرؤ بعد المشورة»[٥٣] فالمشورة سنة من سنن الله في الكون منذ بدء الخليقة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قال الرسول عليه السلام: «إذا كان أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم سمحاءكم، وأموركم شورى بينكم فظهر الأرض خير من بطنها، وإذا كان أمراؤكم شراركم، وأغنياؤكم بخلاءكم وأموركم إلى نسائكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها»[٥٤] ويقول عز الدين التميمي[٥٥]: «والشورى بطبيعة الحال، تمثل عملاً سياسيًا ضروريًا لنجاح الدولة في تدبير شؤون الأمة. وهي تشكل منهجًا حيويًا يتوقف عليه انتصار الحق في المجتمع، والتزام السداد في شؤونه، كما يتوقف عليه احترام العقل في الدولة، واحترام الإنسان في ظلها، وهي ضمانة سياسية لاستقرار الدولة وحمايتها من عوامل الضعف، وهي سبيل رئيسي لسلامة المجتمع من الفوضى».

فالمشورة إذًا هي الضابط الذي يضبط إيقاع الحياة، وهي صمام الأمان الذي يسدُّ منافذ الطغيان والجبروت والتسلط والقهر، فتغدو الحياة أكثر أمنًا وأمانًا، فيمارس

---

[٥٣] المراغي، أبو الوفا مصطفى: اللباب في شرح الشهاب، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م) ص١٦٥. وفي الهامش (٣) قال: أخرجه القضاعي في المسند عن سعيد بن المسيب.

[٥٤] الترمذي، محمد بن عيسى: صحيح الترمذي، بشرح: الإمام ابن العربي المالكي، دار الكتاب العربي، ج٤، ص٥٢٩.

[٥٥] التميمي، عز الدين: الشورى بين الأصالة والمعاصرة، عمان، دار البشير للنشر والتوزيع، (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ص٣٥.

www.mtenback.com

الجميع نشاطاتهم وفعالياتهم بكل حرية وثقة واطمئنان، يقول محمد أبو فارس[٥٦]: «فالشورى حين تسود المجتمع الإسلامي، تجعل الأفراد يشعرون بإنسانيتهم، ويحققون ذاتهم[٥٧]، من خلال ممارستهم هذا الحق الذي حباهم الله إياه، فتبرز الكفاءات والقدرات المختلفة في المجتمع، ويتعرف الناس عليها، فيستفيد منها المجتمع لوضع الرجل المناسب في المكان المناسب».

إنّ من يستقرئ التاريخ الإسلامي يدرك صدق ذلك، فأفضل أطوار الأمة الإسلامية وأكثرها ازدهارًا ورخاءً وتقدمًا، هي تلك التي تنعم بتطبيق شريعة الله، وتسودها الشورى قولاً وعملاً، ولكن عندما تتعطل الشورى ويستشري الطغيان، تنقلب الصورة، فيعم البؤس والشقاء ويعشش الجهل والظلم، ويُفرِّخ التخلف والفساد.

وقد يظن أن الشورى من شؤون أولي الحكم والسياسة فقط أما عامة الناس فليسوا معنيين بها، حتى إن بعضهم ذهب إلى أنها أمر كفاية، جاء في بدائع السلك[٥٨]: «قال الخطابي: لا تجب الإشارة إلاّ على الأعيان، بل على الكفاية، إذا قام بها بعض الناس سقط عن الباقين، وقد يرخص في تركها، لآفة تعرض فيها، أو عائق يمنع منها».

وفي هذا الكلام نظر، فالقائل بهذا الرأي حصر المشورة في أمور السياسة العليا، وشؤون الحكم، وفي هذه الحال تكون المشورة ــ كما قال ــ من أمر الأعيان والوجهاء، فهم الذين يستطيعون مقابلة ذوي الحكم والسلطان، وتقديم المشورة إليهم.

---

[٥٦] محمد أبو فارس، ارتباط الشورى بالفتوى، وقضايا الاجتهاد، الشورى في الإسلام، المجمع الملكي، لبحوث الحضارة الإسلامية، عمان، (١٩٨٩م)، ص٩٩٥.

[٥٧] كذا، والأفضل: ذواتهم.

[٥٨] ابن الأزرق الأندلسي، بدائع السلك، ج١، ص٢٩٨.

www.mtenback.com

لكن مفهوم المشورة أوسع من ذلك وأشمل، فهو يَعُمُّ المجتمع بأكمله أفراداً وجماعات، ورؤساء ومرؤوسين،روى تميم بن أوس الداري[٥٩]، أن النبي ﷺ، قال: «الدين النصيحة» قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[٦٠].

وأخرج السيوطي[٦١]، أن الرسول عليه السلام قال: «إذا استشار أحدكم أخاه فليشر عليه».

فالمشورة واجبة على الجميع حكاماً ومحكومين، لا يُعْفَى أحدٌ منها. نعم قد تكون المشورة لأولي الأمر والرؤساء أوجب وآكد من غيرهم؛ لأن فوائدها تنعكس على أفراد المجتمع عامة، قال النووي[٦٢]: «يستحب لمن هم بأمر أن يشاور فيه» ثم قال: «ويتأكد الأمر بها في حق ولاة الأمور العامة كالسلطان والقاضي ونحوهما».

وهذا ما كان عليه سلف الأمة، فأبو بكر الصديق رضي الله عنه، عندما شعر بدنو أجله، أخذ يستشير كبار الصحابة، ويستطلع آراءهم فيمن يكون خليفة بعده، جاء في الصواعق المحرقة[٦٣]: «أن أبا بكر لما ثقل، دعا عبد الرحمن بن عوف، فقال: أخبرني عن عمر بن الخطاب، فقال ما تسألني عن أمر إلاّ وأنت أعلم به مني، فقال أبو بكر: وإن يكن، فقال عبد الرحمن: هو والله أفضل من رأيك فيه، ثم دعا عثمان بن عفان، فقال: أخبرني عن عمر. فقال: أنت أخبرنا به، فقال عليٌ ذلك. اللهم علمي به

---

[٥٩] النووي، الإمام أبو زكريا محيي الدين: رياض الصالحين، تحقيق: جماعة من العلماء، بيروت، دمشق، عمان، المكتب الإسلامي، (١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ص١٢٣.

[٦٠] أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الإيمان، حديث رقم ٥٥، ج١، ص٧٤.

[٦١] السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر: الجامع الصغير، نشر: عبد الحميد أحمد حنفي مصر، ج١، ص١٩.

[٦٢] ابن الأزرق الأندلسي، بدائع السلك، ص٢٩٨.

[٦٣] المكي، أحمد بن حجر: الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، تقديم: عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة القاهرة، القاهرة، (١٣٨٥هـ/١٩٦٥م) ص٨٩.

www.mtenback.com

أن سريرته خير من علانيته، وأنّه ليس فينا مثله، وشاور معهما سعيد بن زيد وأسيد بن حضير وغيرهما من المهاجرين والأنصار» وقال ابن خلدون[٦٤]: أنه شاور علياً وطلحة، وعثمان، وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم. فأثنوا على رأيه. فلما استوثق من تلك الآراء استخلف عمر.

أما اختيار عثمان بن عفان رضي الله عنه، فقد جرى على طريقة الشورى الخالصة، ومع أنها لم تكن شورى منظمة بالعرف الحديث، إلاّ أنها ربما كانت أفضل من كثير مما نراه في انتخاب الرؤساء في كثير من البلدان في الوقت الحاضر. فلما طعن عمر، جعل الخلافة شورى في ستة من كبار الصحابة، ثم دعا هؤلاء. وقال لهم: إنيّ نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم، فإذا ما قبضت، فاجتمعوا وتشاوروا واختاروا رجلاً منكم. ولما اجتمعوا للتشاور أخرج عبد الرحمن بن عوف نفسه من الخلافة، ثم خلا بكل واحد منهم يستطلع رأيه، وبعد هذه المشورة الخاصة، كانت المشورة العامة، إذ قام عبد الرحمن بما يشبه الاستفتاء العام، فكان يتنقل بين الناس على مختلف مستوياتهم ليل نهار، يسألهم رأيهم في الخليفة القادم، ويستشيرهم في ذلك، فوجد غالبية الخاصة والعامة تميل إلى عثمان[٦٥].

إن من يتأمل الطريقة التي تمّ فيها اختيار الخلفاء، يجد أن مفهوم الشورى كان واضحاً وجلياً عند الأوائل، وأنّهم وعوها وعيًا تامًا ومارسوها ممارسة صحيحة، خالية مما يشوبها من الأهواء.

والمشورة مبدأ خلقي، يجب أن يتحلى به كل فرد، حتى يكون هذا الخلق موجهًا لسلوكيات أفراد المجتمع على اختلاف طبقاتهم ومستوياتهم، ليتكَوّن مجتمع

---

[٦٤] انظر: ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: تاريخ ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (١٩٦٦م) ج٢، ص٩٠٣.

[٦٥] انظر تفصيل ذلك، الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، (١٩٦٤م) ج٣، ص٢٩٣-٢٩٦.

www.mtenback.com

قائم على الشورى. ومنه تكون نقطة الانطلاق إلى الدولة والنظام السياسي، وقد تنبه إلى تلك الرؤية سيد قطب[٦٦]، يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[٦٧]: «والتعبير يجعل أمرهم كله شورى، ليصبغ الحياة بهذه الصبغة، وهو كما قلنا نص مكي، كان قبل قيام الدولة الإسلامية، فهذا الطابع إذًا أعم وأشمل من الدولة في حياة المسلمين، إنه طابع الجماعة الإسلامية، في كل حالاتها، ولو كانت الدولة بمعناها الخاص لم تقم بعد.

والواقع أن الدولة في الإسلام ليست سوى إفراز طبيعي للجماعة وخصائصها الذاتية، والجماعة تتضمن الدولة وتنهض بتحقيق المنهج الصالح، وهيمنته على الحياة الفردية والجماعية. ومن ثم كان طابع الشورى في الجماعة مبكرًا، وكان مدلوله أوسع وأعمق من محيط الدولة وشؤون الحكم فيها، إنه طابع ذاتي للحياة، وسمة مميزة للجماعة المختارة لقيادة البشرية، وهي ألزم صفات القيادة».

فوائد المشورة:

للمشورة فوائد جمة وثمار لا تحصى ومحاسن لا تبلى، وقد أجمل الإمام علي كرّم الله وجهه فوائدها، فقال[٦٨]: «في الشورى سبع خصال: استنباط الصواب، واكتساب الرأي، والتحصن من السقطة، وهي حرز من الملامة، ونجاة من الندامة، وألفة القلوب، واتباع الأثر».

وسنحاول أن نفصل في هذه الفوائد، ونبسط القول فيها، ونضيف إليها ما استنبطه العلماء على مر العصور من فوائد أخرى للمشورة.

---

[٦٦] قطب، سيد: تفسير سورة الشورى، بيروت، القاهرة، دار الشروق، (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ص٨٣-٨٤.

[٦٧] سورة الشورى: ٣٨.

[٦٨] النصيبي، محمد بن طلحة القرشي: العقد الفريد، للملك السعيد، القاهرة، مطبعة الوطن، (١٣١١هـ)، ص٤٣.

www.mtenback.com

استنباط الصواب، والوصول إلى الرأي السديد:

إن الإنسان مهما كان عالمًا ومتبحرًا في المعرفة، فإنه لا يستطيع أن يحيط بكل العلوم والمعارف، ومهما كان ذا تجربة وخبرة، وصاحب حذق وفطنة، فإنه يظل قاصرًا عن إدراك وجه الصواب في كثير من القضايا المبهمة، والأمور المشكلة، ولن تسفر له الحقيقة عن وجهها ناصعة، إلاّ بعد مناظرة غيره من ذوي العلم والمعرفة، والدراية والدربة، وبعد أن يقلّب المسألة معهم على وجوه عدة، ويبدي كلٌّ ما عنده من أفكار وآراء، ووجهات نظر، وبعد مناقشة تلك الآراء، ومقارنة الأفكار بعضها ببعض، يمكنه أن يصل إلى الصواب والسداد والرأي الصحيح. وللعلماء والحكماء أقوال مأثورة في هذا المعنى، يَحسُن أن ننقل طرفًا منها: يقول ابن المقفع[٦٩]: «لا ينبغي للمرء أن يعتد بعلمه ورأيه، ما لم يذاكره ذوو الألباب، و لم يجامعوه عليه، فإنه لا يستكمل علم الأشياء بالفعل الفرد». ويقول ابن الجوزي[٧٠]: «ما استنبط الصواب بمثل المشاورة» فبالمشاورة يصل الإنسان إلى أفضل أموره وأرشدها، قال الرسول ﷺ: «من أراد أمراً فشاور فيه امرأً مسلماً وفقه الله لأرشد أموره»[٧١] وقال أيضاً: استشيروا ذوي العقول ترشدوا»[٧٢] وجاء في المنهج المسلوك[٧٣]: «نصف رأيك مع أخيك، فشاوره ليكمل رأيك»، وفيه أيضاً[٧٤]: «المشورة عين الهداية وسبيل الرشاد»، وقال

---

[٦٩] عبد الله بن المقفع: الأدب الصغير والأدب الكبير، بيروت، دار صادر، (١٤٠٩/١٩٨٩)، ص٤٠.

[٧٠] أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير، بيروت، المكتب الإسلامي، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ص٤٨٨.

[٧١] السيوطي: الجامع الصغير، ج٢، ص٤٥.

[٧٢] المراغي: اللباب في شرح الشهاب، ص١٢٧.

[٧٣] الشيزري، المنهج المسلوك، ص٤٧٩.

[٧٤] السابق، ص٤٧٥.

www.mtenback.com

الطرطوشي[٧٥]: «كان يقال من أعطي المشورة لم يمنع الصواب»، وجاء في بهجة المجالس[٧٦]: «وكان يقال: بإجالة الفكرة يُستَدَرُّ الرأي الصواب».

فبالمشاورة تتضح الأمور، وتنجلي المبهمات، ويزداد الإنسان تدبرًا وبصيرة، فيمضي بثقة وعزيمة، وهو يقف على أرض صلبة، يأمن معها العثار والزلل، والتخبط في متاهات الضلال، وما أروع قول الشاعر[٧٧]:

إذا الأَمْرُ أَشْكَلَ إنْفاذُهُ ... وَلَمْ تَرَ مِنْهُ سَبِيلاً فَسِيحَا

فَشاوِرْ بِأَمْرِكَ في سُتْرَةٍ ... أَخَاكَ اللَّبِيبَ المُحِبَّ النَّصِيحا

فَرُبَّتَمَا فَرَّجَ النَّاصِحونَ ... وَأَبْدَوا مِنَ الرَّأْيِ رَأْيًا صَحِيحا

وقال الآخر[٧٨]:

اسْتَخْبِرِ النَّاس عَمَّا أَنْتَ جاهِلُهُ ... مِنَ الأُمُورِ فَقَدْ يَجْلُو العَمى الخَبَرُ

وقد شبهوا من يستنبط الصواب من الآراء المختلفة، بمن يبحث عن لؤلؤة في وسط كومة تراب، جاء في ربيع الأبرار[٧٩]: «إن الحازم إذا أشكل عليه الرأي، بمنزلة من أضاع لؤلؤة، فجمع ما حول مسقطها من التراب، ثم التمسها حتى وجدها، وكذلك الحازم يجمع، وجوه الرأي في الأمر المشكل، ثم يضرب بعضها ببعض حتى يخلص له الرأي»، وقريب من هذا قول الأحنف بن قيس[٨٠]: «اضربوا الرأي بعضه

---

[٧٥] الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد: سراج الملوك، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، (١٤١٢هـ)، ص٦٨.

[٧٦] القرطبي: بهجة المجالس، ج٢، القسم الأول، ص٤٥٢.

[٧٧] المصدر السابق، ص٤٥٨.

[٧٨] البصري، صدر الدين، علي بن الحسين: الحماسة البصرية، تحقيق: مختار الدين أحمد، بيروت، عالم الكتب، (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ج٢، ص٢٧.

[٧٩] الزمخشري: ربيع الأبرار، ج٣، ص١٤٥.

[٨٠] القرطبي: بهجة المجالس، ج٢، القسم الأول، ص٤٥٦.

www.mtenback.com

ببعض يتولد منه الصواب، وتجنبوا منه شدة الحزم، واتهموا عقولكم، فإنَّ فيها نتائج الخطأ، وذم العاقبة».

ويروى عن عمر بن الخطاب أنه قال[٨١]: «الرأي الفرد كالخيط السحيل، والرأيان كالخيطين، وثلاثة الآراء لا تكاد تنقطع»، فبالمشاورة يُستبان الرشد، وتتضح طريق الهداية، وتنكشف الغمة عن الإنسان، إذ إنه يستنير بأقوال العقلاء وأفكارهم، ويسير على طريق واضح، يقول بعض البلغاء[٨٢]: «من حق العاقل أن يضيف إلى رأيه آراء العقلاء، ويجمع إلى عقله عقول الحكماء».

فإذا ما فعل الإنسان ذلك فإن آراءه تزداد قوة ووضوحًا، وتغدو نظرته إلى العواقب صائبة لا تكاد تخيب، وتكون حاله كقول القائل[٨٣]: «المشاور في رأيه ناظر من ورائه»، وجاء في سراج الملوك[٨٤]: «إن الملك الحازم يزداد برأي الوزراء الحزمة، كما يزداد البحر بموادِّه من الأنهار، وينال بالحزم والرأي ما لا يناله بالقوة والجند».

فالمستشير يستفيد من الآراء المتميزة، والأفكار الناضجة، وبذلك يحيط بالمسألة موضوع المشورة من كل جانب، ويقلب الآراء والأفكار المطروحة، ويقارن بينها، فيصل بتوفيق الله إلى الرأي الفيصل الذي لا يُنْقض.

يقول عز الدين التميمي[٨٥]: « فائدتها الاستفادة من مزايا القرائح، فإن لكل عقل مَزِيَّة؛ إذ إن من طبيعة الشورى أن تتعدد فيها الآراء، وتجول فيها الأفكار، فيذكر

---

[٨١] الطرطوشي، سراج الملوك، ص٦٨. والسحيل من الثياب هو الذي لم يبرم غَزله ومن الحبال الذي يفتل فتلاً واحدًا، وهو غير المُبْرَم الذي يُجمع فيه بين نسيجتين فتُفْتلا فَتْلاً واحدا. انظر: لسان العرب، مادة (سَحَل).

[٨٢] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص٢٢٤.

[٨٣] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص٢٢٣.

[٨٤] الطرطوشي: سراج الملوك، ص٦٨. وعيون الأخبار، ج١، ص٢٧.

[٨٥] التميمي: الشورى بين الأصالة والمعاصرة، ص١٦.

www.mtenback.com

كلٌّ واحد من المجتمعين ما قدحه خاطره، وأنتجه فكره، وإذا كان في الفكرة نقص ذكروه، وإن بدا فيها نقض نقضوه، ولذلك لا يبقى في الرأي، مع اجتماع القرائح عليه، خلل، إلا ظهر من خلال الحوار والنقاش».

وفي هذا المعنى ما رواه القالي في أماليه من قول الشاعر[٨٦]:

خَلِيلَيَّ لَيْسَ الرَّأْيُ في صَدْرِ واحِدٍ ... أَشِيرا عَلَيَّ اليَوْمَ ما تَرَيانِ

أَأَرْكَبُ صَعْبَ الأَمْرِ إنَّ ذُلُولَهُ ... بِنَجْرانَ لا يُقْضى لِحِينٍ أَوَانِ

وكذلك قول الآخر مذكراً بأن من مهام الصديق أن يستشار ويستهدى برأيه، إنه ليس امرؤٌ أكبر من أن يستشير، وقد أمر الله رسوله بأن يستشير أهل المشورة[٨٧]:

شاوِرْ صَدِيقَكَ في الخَفِيِّ المُشْكِلِ ... وَاقْبَلْ نَصِيحَةَ صاحِبٍ مُتَفَضِّلِ

فَاللهُ قَدْ أَوْصى بِذَاكَ نَبِيَّهُ ... فِي قَوْلِهِ: شَاوِرْهُمُ وَتَوَكَّلِ

وجاء في عيون الأخبار[٨٨]: «عليك بالمشاورة، فإنك واجد في الرجال من ينضج لك الكيّ، ويحسم عنك الداء،ويخرج لك المستكنّ، ولا يدع لك في عدوك فرصة إلا انتهزها، ولا لعدوك فيك فرصة إلا حصّنها، ولا يمنعك شدة رأيك في ظنك، ولا علو مكانك في نفسك من أن تجمع إلى رأيك رأي غيرك، فإن أحمدت اجتنيت، وإن ذممت نَفَيت، فإن في ذلك خصالاً: منها أنّه إن وافق رأيك ازداد رأيك شدة عندك، وإن خالف رأيك عرضته على نظرك، فإن رأيته معتليًا لما رأيت، قبلت، وإن رأيته مُتّضعًا عنه استغنيت، ومنها أنّه يجدّد لك النصيحة ممن شاورت إن أخطأ، ويمحض لك مودته وإن قصر».

---

[٨٦] القالي: الأمالي، ج١، ص٤٤.

[٨٧] الشيزري: المنهج المسلوك، ص٤٨٢.

[٨٨] ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم: عيون الأخبار، القاهرة، الهيئة المصرية، للكتاب، (١٩٧٣م)، ج١، ص٣٠. وهو يذكر أن ذلك جاء في كتاب إبرويز إلى ابنه شيرويه، وهو في حبسه.

www.mtenback.com

اكتساب الرأي:

تعد المشورة ميدانًا رحبًا، وحقلاً خصبًا لنضج الأفكار، وصقلها، واكتساب الخبرة والدراية والدربة في شتى الأمور، وهي مسبار للعقول والأفهام، بها يزداد العقل إدراكًا ووعيًا، وتُصقل القرائح، وتُنَمّى المواهب، وقد قيل: «المشورة لقاح العقول»[٨٩].

ولا يذهبنّ بنا الظنُّ، إلى أن الإنسان ذا العلم والمعرفة، وصاحب الفكر الناضج غنيٌّ عن هذا، فلا يحتاج إلىالمشورة. فهذا زعم باطل، والعالم يزداد بالمشورة علمًا إلى علمه، ويكتسب خبرة ودراية، يقول الطرطوشي[٩٠]: «اعلموا أن المستشير وإن كان أفضل رأيًا من المشير، فإنه يزداد برأيه رأيًا، كما تزداد النار بالسليط ضوءًا، فلا يقذفنّ في روعك أنّك إذا استشرت الرجال ظهر للناس منك الحاجة إلى رأي غيرك، فيمنعك ذلك عن المشاورة، فإنّك لا تريد الرأي للفخر به، ولكن للانتفاع به، فإن أردت الذكر كان أفخر لذكرك، وأحسن عند ذوي الألباب لسياستك، أن يقولوا: لا ينفرد برأيه دون ذوي الرأي من إخوانه».

فالمشورة رياضة فكرية رائعة، تُشحذ فيها الأذهان، وتتوقد فيها القرائح، نتيجة المناظرات، وتبادل الأفكار، فيتخلص الفكر من البلادة والخمول، ويتحرر من الجمود، فينطلق نحو آفاق أوسع، وميادين أرحب، ويتمرس فيه المرء على حسن الحوار والنقاش والمناظرة.

يقول عبد الرحمن بن ناصر السعدي[٩١]: «إن الآراء والأفكار تحتاج إلى رياضة وتمرين، فإن تمرين الذهن على التدبر والتفكر، وتقليب الأمور على كل وجه ممكن، مما

---

[٨٩] القيرواني، إبراهيم بن علي الحصري: زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: علي محمد البجاوي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، (١٣٧٢هـ/١٩٥٣م)، ج٢، ص٨٢٤.

[٩٠] الطرطوشي: سراج الملوك، ص٦٨. وانظر عيون الأخبار، ج١، ص٣٠.

[٩١] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: الرياض الناضرة، والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، مصر، مطبعة الإمام، جامع الإسماعيلي، ص٤٥.

www.mtenback.com

يُرقّي الذهن وينميه، ويوسع دائرة المعارف. وعدم ذلك أو قلته، مما يضعف القريحة، ويخمد الفكر، ويحدث البلادة، فكثرة المشاورات هي التمرين الوحيد والرياضة الفكرية. فإن تبادل المناظرات واحتكاك الأفكار بعضها ببعض واستعانة بعضها ببعض، وتعديل بعضها بعضًا، له فائدته العظيمة الملموسة، فكما أن الأعمال العظيمة لا تدرك إلا باجتماع قوى متعددة، بحسب تلك الأعمال، فكذلك الأمور المشكلة، والأحوال المشتبهة، لا يقوم بها فكر واحد، ونظر واحد، بل لابد من عدة أفكار تتراود عليها، فإن العمل تابع للعلم».

وفي هذا المعنى يقول البُسْتيّ[٩٢]:

ذَكِّرْ أَخَاكَ إِذا تَنَاسى واجِبًا ... أَوْ عَنَّ في آرَائِهِ تَقْصِيرُ

فالرَّأيُ يَصْدَأ كالحُسَامِ لِعَارِضٍ ... يَطْرَا عَلَيْهِ، وَصَقْلُهُ التذْكِيرُ

فليس يجلو الفكر، ويصقله، ويزيل ما ران عليه من بلادة وخمول، مثل المناظرات والمحاورات، ولا تُسبر العقول فيكشف مخبوؤها من ذكاء وفطنة، بغير المناقشة وتبادل الآراء والأفكار. جاء في المنهج المسلوك[٩٣]:«والتدبر والفكر يبحثان عن الفطنة، ويكشفان عن الحزم، ومشاورة الحكماء ثبات في اليقين، وقوة في البصيرة، ففكرْ قبل أن تعزم، واعزم قبل أن تصرم، وتدبر قبل أن تهجم، وشاور قبل أن تقدم».

فالمشورة نوع من الحوار الهادف البناء، تكتسب فيه أفكار جديدة، وتتطور به أفكار قديمة، وتنضج من خلاله آراء ويكتسب فيه المرء دربة ودراية، في كثير من الأمور والقضايا الجسام، ويتسلح بأزوادٍ ثقافية متنوعة لا حصر لها.

---

[٩٢] البستي، أبو الفتح، علي بن محمد: ديوان البستي، تحقيق: درية الخطيب، ولطفي الصقال، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية، بدمشق، (١٤١٠هـ/١٩٨٩م)، ص٢٤٥.

[٩٣] الشيزري، المنهج المسلوك، ص٤٨٠-٤٨١.

www.mtenback.com

التحصين من السقطة:

إنّ في المشاورة عصمة من الخطأ، ونجاة من الزلل والغلط، وحصنًا من الضلالة والهلاك، فقد روي عن الرسول ﷺ، أنه قال[٩٤]: «لن يهلك امرؤ بعد مشورة»، وأما من يعتمد على نفسه، ويعجب برأيه، ويترك الاستعانة بمشاورة الآخرين، فإنه لا يأمن الزلل والعثار، بل هو أقرب إلى الضلالة منه إلى الهدى، إذ «إنّما يأكل الذئب من الغنم القاصية»[٩٥].

وجاء في المنهج المسلوك[٩٦]: «وما استغنى مستبد برأيه، وما هلك أحد عن مشورة، وإذا أراد الله بعبد هلكة،كان أول ما يهلكه رأيه».

فالمشورة نجاة من المخاطر، وحماية من مهاوي الضلالة؛ لأن الذي يكتفي برأيه عرضة للوقوع في حمأة المهالك، يروى عن علي كرم الله وجهه، أنه قال[٩٧]: «الاستشارة عين الهداية، وقد خاطر من استغنى برأيه». وجاء في ربيع الأبرار[٩٨]: «لم يعدم المشاور مرشدًا والمستبد برأيه موقوف على تداحض الزلل».

وفي هذا المعنى يقول الشاعر[٩٩]:

وَإِن امْـرؤٌ يَوْمًـا تَوَلَّـى بِرأيِـهِ فَدَعْهُ يُصِيْبُ الرُّشْدَ أَوْيَـكُ غاوِيـا

---

[٩٤] أبو الوفا، مصطفى المراغي، اللباب في شرح الشهاب، ص١٦٥. وجاء في الحاشية (٣) من الصفحة ذاتها: أخرجه القضاعي في المسند عن سعيد بن المسيب.

[٩٥] طرف من حديث شريف، انظر رياض الصالحين، ص٤٠٥، والبيهقي، السنن الكبرى، ج٣، ص٥٤.

[٩٦] الشيزري، المنهج المسلوك، ص٤٧٩؛ وانظر عمرو بن بحر الجاحظ، المحاسن والأضداد، قدم له علي أبو ملحم، بيروت، مكتبة الهلال، ١٩٩١، ص٥١.

[٩٧] الشيزري، المنهج المسلوك، ص٤٧٩.

[٩٨] الزمخشري، ربيع الأبرار، ج٣، ص١٤٣.

[٩٩] الأبشيهي، المستطرف، ج١، ص١٢١. وهو ينسب الشعر لطرفة، وهو في ديوانه، ص٢٠٢.

www.mtenback.com

فمن يترك المشاورة، ويترفع عن الاستعانة بذوي الرأي والخبرة يكون شتيت الرأي، لابس حيرة، فهو واهٍ متخاذل، عزمه إلى وهن، ورأيه إلى أفن، وغالبًا ما يخذله رأيه، فيوقعه في وبال أمره، ويلقي به إلى مهاوي الردى، فيقعد ملومًا محسورًا يعاتب القدر، يصدق عليه قول الشاعر[١٠٠]:

وَعاجِزُ الـرَّأْيِ مِضْيـاعٌ لِفُرْصَتِـهِ حَتّى إِذا فاتَ أَمْرٌ عـاتَبَ القَـدَرا

ولذلك كان السلف الصالح يجعلون الشورى سورًا بينهم وبين خطأ الاجتهاد، خشية الوقوع في مغبة الرأي، والضلالة فيه، فلا يقدمون على أمر فيه اجتهاد إلاّ بعد مشاورة ذوي الرأي والمعرفة[١٠١].

المشورة حرز من الملامة، ونجاة من الندامة:

جاء في الأثر[١٠٢]: «المشورة حصن من الندامة، وأمان من الملامة».

وذلك أن المشاورة تجعل المسؤولية جماعية، فلا تقع تبعاتها على فرد واحد، بل يتحمل الجميع نتائجها، إن خيرًا وإن شرًا، فيتقاسمون حلوها ومرها، فلا يتلاحون ولا يتلاومون، ولا يُبَكِّتُ بعضهم بعضًا، فينجو المرء من سهام اللوم التي تقض مضجعه، وتعكر صفو حياته.

يروى عن الأصمعي أنه قال[١٠٣]: «قلت لبشار: رأيت رجال الرأي يتعجبون من أبياتك في المشورة، فقال: أو ما علمت أن المشاور له إحدى الحسنيين: صواب يفوز بثمرته، أو خطأ يشارك في مكروهه».

---

(١٠٠) الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، مؤسسة الخانجي، ج٢، ص٣٥٠.

(١٠١) انظر: القلقشندي، أحمد بن علي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للنشر والطباعة، ج١١، ص١٩٦.

(١٠٢) الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص٢٢٣. قال عنه الماوردي إنه حديث شريف، و لم أجده في كتب الحديث التي طالعتها.

(١٠٣) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، ج٦، ص٧١.

www.mtenback.com

ومثل هذا ما قاله ابن المعتز[١٠٤]: «ومن أكثر من المشورة لم يعدم عند الصواب مادحًا، وعند الخطأ عاذرًا»، وجاء في سراج الملوك[١٠٥]: «وإذا شاورت فأصبت، أحَمَد الجماعة رأيك؛ لأنهم لنفوسهم يحمدون، وإن أخطأت حمل الجماعة خطأك؛ لأنهم عن نفوسهم يكافحون». وفيه أيضًا[١٠٦]: «قال أعرابي: ما عثرت حتى عثر قومي، قالوا: وكيف ذلك؟ قال: لا أفعل شيئًا حتى أشاورهم».

فالاعتصام بالمشورة نجاة من غائلة اللوم، وتبكيت الضمير، قال عمرو بن العاص[١٠٧] : «ما نزلت بي قط عظيمة، فأبرمتها، حتى أشاور عشرة من قريش، فإن أصبت، كان الحظ لي دونهم، وإن أخطأت لم أرجع على نفسي بلائمة.

والمشورة جُنَّة من ندم الاستبداد بالرأي، وذلك أن الذي يشاور في أموره قبل الشروع بها، ثم يأخذ بالأسباب، و لم ينجح في أمره، و لم يحقق ما كان يصبو إليه، علم أن امتناع النجاح محض قدر، فيكون في مأمن من الندم والحزن، وقد روي عن الرسول عليه السلام، أنه قال[١٠٨]: «ما خاب من استخار ولا ندم من استشار».

وقد حذر الحكماء وذوو التجارب من مغبة الاستبداد بالرأي، وترك المشاورة وما يعقبها من ندم بعد فوات الأوان «ولاتَ ساعةَ مَنْدَم». فقد جاء في تحفة الوزارة[١٠٩]: «استرشدوا العاقل ترشدوا ولا تعصوه فتندموا»، ومثل ذلك قول القائل[١١٠]: «فإن تسأل وتسلم، خير لك من أن تستبد وتندم»، وجاء في بهجة

---

[١٠٤] الثعالبي، عبد الملك بن محمد: اللطائف والظرائف، بيروت، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، (١٤١٢هـ/١٩٩٢هـ)، ص١١٩.

[١٠٥] الطرطوشي: سراج الملوك، ص٦٩.

[١٠٦] المصدر السابق نفسه.

[١٠٧] القرطبي: بهجة المجالس، ج٢، القسم الأول، ص٤٥٥.

[١٠٨] السيوطي، الجامع الصغير، ج٢، ص١٤٥.

[١٠٩] الثعالبي: تحفة الوزارة، ص٨٧.

[١١٠] الشيزري: المنهج المسلوك، ص٤٨٠.

www.mtenback.com

المجالس[١١١]: «قال سليمان عليه السلام لابنه: يا بني لا تقطع أمرًا حتى تشاور مرشدًا، فإنك إذا فعلت ذلك لم تندم».

وروى الأبشيهي في المستطرف[١١٢]: «إن فيروز بن حصين أشار على يزيد بن المهلب ألاّ يضع يده في يد الحجاج، فلم يقبل منه، وسار إليه فحبسه وحبس أهله، فقال فيروز:

أَمَرْتُكَ أَمْرًا حازِمًا فَعَصَيْتَنِي ... فَأَصْبَحتَ مَسْلُوبَ الإمارَةِ نادِما

أَمَرْتُك بِالحَجّاجِ إِذْ أَنْتَ قادِرٌ ... فَنَفْسُكَ وَلّ اللّومَ إِنْ كُنْتَ لائِما

فَما أَنا بِالباكِي عَلَيْكَ صَبابَةً ... وَما أَنا بِالدّاعِي لِتَرْجِعَ سالِما

فالذي يستبد برأيه، ويترك المشورة، ولا يسمع لناصح أو مرشد، فإنّه يندم أشد الندم إن جاءت الأمور على غير ما يحب، وعندها يعود على نفسه باللوم والتقريع، وهذا من أقسى ما يعانيه الإنسان فيتحطم نفسيًا ومعنويًا وجسديًا.

أما الذي يشاور قبل أن يقدم ــ مهما كانت النتائج ــ فهو في طمأنينة، ورضًا وتسليم، لأنه لم يترك لنفسه مجالاً للوم والتبكيت وتأنيب الذات، وعلم أن ما أصابه لم يكن نتيجة استبداده برأيه.

المشورة وسيلة لإشاعة الألفة والودّ في المجتمع:

عندما تكون الشورى هي السائدة في المجتمع، فإن القلوب تتألف والنفوس تتقارب، وتشيع روح الألفة والمحبة والتعاون، بين أفراد المجتمع، على مختلف طبقاتهم ومستوياتهم، بين أفراد الأسرة الواحدة، والمؤسسة الواحدة، والجماعة الواحدة، وبين المرؤوسين والرؤساء على مختلف مستوياتهم، فيشعر الجميع أن مصالحهم واحدة، وأن

---

[١١١] يوسف بن عبد الله القرطبي: بهجة المجالس، ج٢، القسم الأول، ص٤٥٤.

[١١٢] الأبشيهي: المستطرف، ج١، ص٢٥٥.

www.mtenback.com

كلاّ منهم معني بالأمر، ومن ثَم فإنه يحقق ذاته وكيانه، من خلال مشاركته في المناقشة والحوار، وإبداء الرأي وتقديم الحلول والمقترحات، لمواجهة المعضلات والمشكلات، فتتوثق روابط المحبة ووشائج الرحمة بين أفراد الجماعة الواحدة، فلا يشعر بعضهم تجاه بعض إلا بالمودة والصداقة، فتنتفي عوامل التحاسد والتباغض، والذم والملامة، لأنه في حال النجاح يشعر الجميع أنهم شاركوا في صنعه، وأسهموا في تحصيله وبلوغه، وفي حال الإخفاق يكونون جميعًا متحملين للنتائج ومسؤولين عنها، فلا ملام ولا شحناء، بل ودٌّ خالص، وحبٌّ متبادل، وتعاون تام، فيكونون كما قال الرسول عليه السلام[113]: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

ولعل من أجل تحقيق هذا الهدف النبيل السامي، ولما له من عظيم الأثر في حياة المجتمع، أن الله أمر نبيه بها فقال: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ مع أنه عليه السلام كامل الرأي، تام التدبير، مستغن عن المشاورة، بما أيده الله تعالى من وحي مرسل. إلا أن في مشورة أصحابه تأليفًا لقلوبهم وتطييبًا لنفوسهم وقد ذكر الفخر الرازي[114] أنّ: «مشاورة الرسول إياهم توجب علو شأنهم، ورفعة درجتهم، وذلك يقتضي شدة محبتهم له، وخلوصهم في طاعته، ولو لم يفعل ذلك لكان ذلك إهانة لهم، فيحصل سوء الخلق والفظاظة».

وقال ابن كثير: «ولذلك كان رسول الله ﷺ، يشاور أصحابه في الأمر إذا حدث، تطييبًا لقلوبهم، ليكون أنشط لهم فيما يفعلونه». وقال أبو حيان في البحر[115]:

---

[113] السيوطي: الجامع الصغير، ج٢، ص١٥٥.

[114] الفخر الرازي: تفسير الفخر الرازي، ج٩، ص٦٧-٦٨.

[115] أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي: البحر المحيط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (١٤١١هـ/١٩٩٠م)، ج٣، ص٩٩.

www.mtenback.com

«شاورهم إيذانًا بأنهم أهل للمحبة الصادقة، والخلة الناضحة؛ إذا لا يستشير الإنسان إلاّ من كان معتقدًا فيه المودة والعقل والتجربة، وإذا لم يشاور أحدًا منهم حصل في نفسه شيء».

وما ذهب إليه هؤلاء المفسرون في الغاية من العمق والصواب، ومن يتأمل واقع المجتمعات يجد مصداق ذلك، فبالمشورة يشعر المستشار مهما كان قدره بقيمته ومكانته، وأنه موضع ثقة الآخرين، فتطمئن نفسه، ويستشعر فيها قدرة وطاقة، فينشط للعمل، ويقدم عليه بإخلاص لا نظير له.

والعكس بالعكس، فإذا أُهمِل، و لم يستشر، فإنه يشعر بضعة وهوان، فيظن بنفسه العجز والضعف، فتنعدم ثقته بنفسه أولاً، وبمرؤوسيه ثانيًا، ولا يخفى ما لهذا من خطورة عظيمة، وسوء في العواقب؛ إذ تنتشر روح البغضاء والكره والحسد، مما يؤدي إلى تفكك المجتمع، ما يؤذن بانهياره ودماره.

وكثيرًا ما تكون المشورة وسيلة لتنقية القلوب، وسبيلاً إلى تصفية الضمائر، وسلّ السخائم والضغائن والأحقاد من النفوس، وإحلال الصفاء والتوادّ والمحبة محلها، جاء في عيون الأخبار[١١٦]: «قال معاوية رضي الله عنه: لقد كنت ألقى الرجل من العرب، أعلم أن في قلبه علي ضغنًا، فأستشيره، فيثير إلي منه بقدر ما يجد في نفسه، فلا يزال يوسعني شتمًا، وأوسعه حلمًا، حتى يرجع صديقًا أستعين به، فيعينني، وأستنجد به، فينجدني».

بالمشورة تحل المعضلات الجسام، وتنكشف الشدائد العظام:

ليس ثمة من سبيل لمواجهة المعضلات، وحل المشكلات، إلاّ بمشاورة ذوي التجارب والنهى، والاستعانة بذوي العقول والأفهام من أفذاذ العلماء، فهؤلاء بما أوتوا من فكر خصب، ورأي سديد، وبصيرة نافذة، ينظرون في العواقب، ويقلبون أطراف

[١١٦] ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١، ص٨٥.

www.mtenback.com

الأمور، ويحيلون الأفكار، ويقدحون الأذهان، فتستدر الأمور الصائبة، وتتفتق الحلول الملائمة، فتنكشف الغمة، وتزول الشدة، وتنجلي معميات الأمور، قال الماوردي[١١٧]: «إذا أشكلت عليك الأمور، وتغير لك الجمهور، فارجع إلى رأي العقلاء، وافزع إلى استشارة العلماء، ولا تأنف الاسترشاد، ولا تستنكف من الاستمداد، فلأن تسأل وتسلم خير لك من أن تستبد وتندم». وقال أيضًا[١١٨]: «وينبغي أن تكثر من استشارة ذوي الألباب، لاسيما في الأمر الجليل، فقلما يضل عن الجماعة رأي، أو يذهب عنهم صواب، لأن إرسال الخواطر الثاقبة، وإجالة الأفكار الصادقة لا يعزب عنها ممكن، ولا يخفى عليها جائز».

فكم من أمر مبهم، مظلم الجوانب، ملتوي الأطراف، استعصى على بعضهم، فأقضَّ مضجعه، وأسهره الليالي، وهو يجيل فيه الفكر لعله يجد منفذًا، أو يعثر على مخرج، ولكن دونما جدوى. وعندما عرضه على ذوي الخبرة والدراية، والعقل والفهم، وجد عندهم الفرج والخلاص، جاء في صبح الأعشى[١١٩]: «وما أشكل عليه بعد ذلك، فَلْيحُل مظلمه بالاستخارة، وليحلَّ مشكله بالاستشارة.. فقد يسنح للمرء ما أعيا غيره، وقد كثر فيه الدأب».

والمشورة تنجي الأمة من الانفراد بالرأي، وتقيها من الاستبداد الذي يؤدي إلى التعسف في اتخاذ القرارات من جهة، وإلى خنوع الجماعة لرأي الفرد من جهة أخرى، مما يؤدي إلى الظلم والجور، وإشاعة روح التملق والرياء، ممزوجة بالكره والبغضاء، فيتفكك المجتمع، وتنخر فيه عوامل الفساد والهلاك والدمار، ولا منجاة، ولا خلاص من ذلك كله، إلا بالشورى التي من ثمراتها التعاون والمحبة، والوُدُّ والوئام، مِمَّا يجعل الأمة كالجسد الواحد.

---

[١١٧] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص٢٢٦.

[١١٨] المصدر السابق نفسه.

[١١٩] القلقشندي، صبح الأعشى، ج١١، ص١٩٦.

www.mtenback.com

حصول الرحمة والبركة:

في المشورة رحمة وخير عميم، للفرد وللجماعة، فهي رحمة للمستشير، إذ تقيه من الضلالة والتخبط في دياجير التعسف والجور، وتقيه من الندم واللوم، وهي أيضًا رحمة له؛ إذ تقيه من العجب والغرور، لأنه لم يتفرد برأي.

وهي رحمة للجماعة؛ لأنها حصن منيع، من وقوع الظلم والجور، نتيجة الانفراد بالرأي، ومن ثمة الاستبداد والطغيان، الذي يلغي دور الجماعة، ويجعلها تحت سيطرة فرد أو ثلة من المستفيدين والوصوليين.

وفي المشورة بركة وفلاح لأنها تقود غالبًا إلى الوصول إلى الصواب والنجاح، روي أنَّ عمر بن عبد العزيز قال[١٢٠]: «المشورة والمناظرة بابا رحمة، ومفتاحا بركة، لا يضل معهما رأي، ولا يفقد معهما حزم».

والمشورة كذلك في كل أمر من أمور الناس الخاص منها والعام، حيث يعزز الإنسان رأيه برأي غيره ممن يحتاج إليه برأي.

شروط المشورة:

وليس هناك شكل معين للمشورة، وليس لها كيفية مخصوصة، أو وسيلة محددة، بل يمكن أن تتم بصور شتى، وأساليب متنوعة، كما أنها قابلة للتطوير والتكييف حسب الظروف والملابسات والأوضاع، والأمكنة والأزمنة، ولكن لابد أن تتم في جو مناسب ومناخ ملائم، وفق شروط تساعد على نجاحها، وقطف ثمارها، وجني فوائدها التي تحدثنا عنها آنفًا.

ومن استقرائنا كلام العلماء والحكماء والبلغاء نستطيع أن نتبيَّن شروطها، ويمكن أن نجملها فيما يلي:

---

[١٢٠] ابن الأزرق الأندلسي، بدائع السلك، ج١، ص١٩٦.

www.mtenback.com

التروي وعدم التسرع في إبداء الرأي وتقديم المشورة:

قال الرسول ﷺ[١٢١]: «المستشار مؤتمن» وهذا يعني أنه يؤدي أمانة، وما دام قد حُمِّل أمانة، فعليه أن يؤديها على أحسن وجه، ولا سيما أنه قد يترتب عليها أمر مصيري، يخص فردًا أو يخص مجتمعًا بأسره؛ ولذلك لابدّ أن يدرس الأمر موضع المشاورة دراسة عميقة ومتأنية، وهذا يقتضي وقتًا كافيًا، لتقليب الأمر على وجوه مختلفة، وإجالة الفكر فيه ولهذا كان الإسراع في إبداء الرأي مستنكرًا، إذ لا يأمن الإنسان الزلل والخطل فيه.

من أجل ذلك كان العلماء والحكماء يدعون إلى الروية والتأني في معالجة الأمور، وينهون عن التسرع في إبداء الآراء، جاء في ربيع الأبرار[١٢٢]: «قال عبد الله ابن وهب: دعوا الرأي يغبّ، فإن غبوبه يكشف لك محضه». وقال الطرطوشي[١٢٣]: «قال بعضهم خمير الرأي خير من فطيره، وتأخيره خير من تقديمه».

وقد أحسن ابن هرمة إذ يقول[١٢٤]:

دَعُوا الأَمْرَ الدَّقِيقَ وَزَمِّلُوهُ ... فَتَلْقِيحُ الجَلِيلِ مِنَ الدَّقِيقِ

وجاء في الفخري[١٢٥]: «واستُشير بعض العقلاء في أمر فسكت، فقيل له: لم لا تتكلم؟ فقال: ما أحبُّ الخبز إلاّ بائتًا».

---

[١٢١] رواه أصحاب السنن، انظر مجد الدين أبا السعادات المبارك محمد بن الأثير، جامع الأصول، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط، دمشق، مكتبة الحلوان، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان، (١٣٨٩هـ/١٩٦٩م)، ج١١، ص٥٦٢.

[١٢٢] الزمخشري، ربيع الأبرار: ج٣، ص١٤٦.

[١٢٣] الطرطوشي: سراج الملوك، ص٦٨.

[١٢٤] العبيدي، محمد بن عبد الرحمن: التذكرة السعدية في الأشعار العربية، تحقيق: عبد الله الجبوري، النجف الأشرف، مطابع النعمان، (١٣٩١هـ/١٩٧٢م)، ص٣٣٨.

[١٢٥] طباطبا، محمد بن علي: المعروف بابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية، بيروت، دار صادر، بيروت، للطباعة والنشر، (١٣٨٠هـ/١٩٦٠م)، ص٦٧.

www.mtenback.com

من أجل ذلك كانوا لا يستشيرون من كان على عجلة من أمره، جاء في الفخري أيضاً[١٢٦]: «مرّ الحارث بن زيد بالأحنف بن قيس، فقال له: لولا أنك عجلان لشاورتك، وهذا دليل على كراهيتهم للرأي الفطير».

ومن أروع ما قيل في التروي، وعدم إبداء الرأي الفطير، قول ابن الرومي[١٢٧]:

نارُ الرَّوِيَّةِ نارٌ جِدُّ مُنْضِجَةٌ ... وَلِلْبَدِيهَةِ نارٌ ذاتُ تَلْوِيحِ

وَقَدْ يُفَضِّلُها قَوْمٌ لِعاجِلِها ... لَكِنَّهُ عاجِلٌ يَمْضِي مَعَ الرِّيحِ

فالتروي في الرأي من الأمور المهمة، وأجود الرأي، ما أبدي بعد تأنٍ وتثبت، ليكون رأيًا فيصلاً لا ينقض.

فلابد من إجالة الفكر والتدبر في المسألة، والنظر في عواقبها، ودراسة كافة النتائج المحتملة.

فالتأني والتروي في الأمر سبيلان وثيقان للوصول إلى النجاح، والتسرع والتعجل سببان للإخفاق والندامة، وفي ذلك يقول القطامي[١٢٨]:

قَدْ يُدْرِكُ المُتَأَنِّي بَعْضَ حاجَتِهِ ... وَقَدْ يَكُونُ مَعَ المُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ

عدم مجاراة الهوى:

آفة الرأي الهوى، حقيقة لا يماري فيها عاقل؛ لأن الهوى خادع الألباب، وصارف عن الصواب، ويخرج صاحبه من الحق إلى الباطل، ولهذا لا تؤتي المشورة فوائدها، ما لم يتخلص المستشار من هوى نفسه أولاً، ومن مجاراة هوى المستشير ثانيًا،

---

[١٢٦] ابن طباطبا: الفخري، ص٦٧.

[١٢٧] ابن الرومي، علي بن العباس: ديوان ابن الرومي، تحقيق: حسن نصار، القاهرة، دار الكتب، (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، ج٢، ص٥٦٧.

[١٢٨] القطامي، عمير بن شييم بن عمرو: ديوان القطامي، تحقيق: إبراهيم السامرائي، وأحمد مطلوب، بيروت، دار الثقافة، (١٩٦٠م)، ص٢٥.

www.mtenback.com

وهذا شرط من الأهمية بمكان، لأن اتباع هوى المستشير خاصة، يعطل روح المشورة وفوائدها؛ ولأن المستشار عندئذ لا يشير بما أداه عقله وقاد إليه فكره، وبما يراه أصوب، وإنما ينظر إلى هوى المستشير، وما يبعث في نفسه الرضا، ويقدم مشورته وفق ذلك، وفي هذا الخَطَرُ كلُّ الخطر، ولا سيما إن كان المستشار من أولي الأمر والسلطان، فهذا غش صريح، وخيانة واضحة، وتعطيل لمبدأ الشورى، فهو تكريس لرأي الفرد، وترسيخ للاستبداد ترسيخًا غير مباشر. وكم عانت المجتمعات على مر العصور وقاست من مثل هذه الشورى الصورية.

ولذا نجد الحكماء والعقلاء يحذرون من اتباع هوى المستشير، فقيل: «وقال ابن هبيرة، وهو يؤدب بعض بنيه.. وخف الله في موافقة هوى المستشير، فإن التماس موافقته لؤم، وسوء الاستماع إليه خيانة»[١٢٩].

فبعض المستشارين روّضوا أنفسهم على مجاراة هوى المستشير، خاصة إن كان من ذوي المناصب، فلا يشيرون إلا بما يلائم هواه، وما يبعث في نفسه الرضا، وهم يدركون كل الإدراك، أن قولهم مجانب للصواب مناف للحقيقة، فهؤلاء، ضررهم أكثر من نفعهم، فضلاً عن أنهم خانوا الأمانة، وغشوا الأمة، فأولئك هم بطانة السوء، الذين يدفعون بالحاكم والمحكومين إلى مهاوي الردى، ومزالق الضلال.

وقد استعاذ بعض الحكماء من مشورة مَن ينحط في هوى مستشيره[١٣٠].

والخطر في هذا أن النفس البشرية، مائلة إلى ما وافق هواها، فإذا ما زيّن هذا الهوى المستشار، فإن المستشير يقدم على ذلك العمل بجرأة، وقد يكون فيه هلاكه وهلاك الآخرين معه.

---

[١٢٩] الجاحظ: البيان والتبيين، ج٢، ص١٨٨.

[١٣٠] الطرطوشي: سراج الملوك، ص٦٩.

www.mtenback.com

ولذا قال بعض الحكماء[١٣١]: «وَدَّك من نصحك، وقلاك من مشى في هواك». وقال آخر[١٣٢]: رأيي ورأيك في المعرفة أمثل لنفسك من رأيك، لأنه خلو من هواك».

محض النصيحة في المشورة:

النصح في المشورة شرط أساسي في نجاحها، وقطاف ثمارها، وإلاّ كانت غشًا ونفاقًا وخديعة، فعلى المستشار أن يعلم أنه أصبح مؤتمنًا، وعليه أن يؤدي الأمانة دونما خيانة أو غش، قال بعض الحكماء[١٣٣]:«إذا استُشرتَ فانصحْ» وبالمقابل على المستشير أن يتقبل المشورة مهما كانت قاسية، أو كانت مخالفة لهواه.

والمشورة مشورتان المشورة الخاصة في شأن الإنسان نفسه أو ما يتعلق بشؤونه، وهذه المشورة يجب أن تحاط بالسر وأن يمحض فيها النصح مع مراعاة حال المستشير وموضوع المشورة.

ولهذا كان عقلاء الرجال، يحيطون موضوع المشورة بكتمان شديد، ولا يبوحون به إلاّ إلى صاحب المشورة، حتى ذهب بعضهم إلى أنه، إن كان هناك أكثر من مستشار، فيجب أن تكون استشارة كل واحد منهم على انفراد، جاء في عيون الأخبار[١٣٤]: «أن بعض ملوك العجم استشار وزراءه، فقال أحدهم: «لا ينبغي للملك أن يستشير منّا أحدًا إلا خاليًا به، فإنه أَمْوَتُ للسر، وأحزم للرأي، وأجدر بالسلامة، وأعفى لبعضنا من غائلة بعض، فإن إفشاء السر إلى رجل واحد، أوثق من إفشائه إلى اثنين، وإفشاءه إلى ثلاثة

---

(١٣١) السابق ص٧٠.

(١٣٢) السابق نفسه.

١٣٣ البيهقي، إبراهيم بن محمد: المحاسن والمساوئ، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ص٣٦٩.

(١٣٤) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١، ص٢٧.

www.mtenback.com

كإفشائه إلى العامة، لأن الواحد رهن بما أفشي إليه، والثاني يطلق عنه ذلك الرهـــن، والثالث علاوة فيه، وإذا كان سر الرجل عند واحد، كان أحرى ألاَّ يظهره، رهبـــة منه، ورغبة إليه، وإذا كان عند اثنين دخلت على الملك الشبهة، واتسعت على الرجلين المعاريض. فإن عاقبهما، عاقب اثنين بذنب واحد، وإن اتهمهما اتهم بريئًا بجناية مجرم، وإن عفا عنهما، كان العفو عن أحدهما، ولا ذنب له، وعن الآخر، ولا حجة معـــه». وكل هذا في الشأن الخاص.

أما الاستشارة في الأمر العام فيحسن أن تكون على مراحل، فَيُبْدَأ بالخاصة وأهل الرأي وأهل الخبرة في موضوع المشورة دون غيرهم، حتى يتضح الصواب أو ما هـــو قريب منه، ثم يستشار الناس عامة، لأن الأمر الذي موضوعه عام لابد مـــن إعلانـــه واستشارة العامة والخاصة فيه.

المبادرة في العمل بالمشورة:

من عوامل نجاح المشورة، وجني فوائدها، المبادرة بالعمل فيما أشير به، وتـــرك التردد في تنفيذه، لأن التباطؤ في العمل، والتردد غالبًا ما يؤديان إلى فوات الفرصة. وما أروع قول الشاعر في هذا المعنى[١٣٥]:

إِذا كُنْتَ ذا رَأْيٍ فَكُـــنْ ذا عَزِيمَـــةٍ فَـــإِنَّ فَســـادَ الـــرَّأْيِ أَنْ تَـــتَرَدَّدا

ولذلك دعا الحكماء والشعراء إلى المبادرة بالعمل متى ظهر وجه الصواب، وإلا وقع المرء في حمأة الندم بعد فوات الأوان، وقال الثعـــالبي[١٣٦]: «في جزالـــة الـــرأي وسداده، عند صعوبة الأمر، تجب المبادرة بالعمل بالرأي السديد متى ظهر، وإلاَّ أعقب تأخيره سوء العاقبة وحدوث الندم».

---

[١٣٥] البصري: الحماسة البصرية، ج٢، ص٥٧

[١٣٦] الثعالبي: تحفة الوزارة، ص١٠٥.

www.mtenback.com

وقال الشاعر معبّراً عن ضرورة الحزم والحسم، في إعمال سريع للعقل والإرادة[١٣٧]:

وَرُبَّما فَاتَ بَعْضَ القَومِ أَمْرُهُمُ مَعَ التَّأَنِّي، وَكَانَ الرَّأْيُ لَوْ عَجِلُوا

وكانت العرب تقول[١٣٨]: «خذ الأمر مقبلاً، فشرّ الرأي الدَّبَري» وفي هذا المعنى يقول القطامي[١٣٩]:

وَخَيْرُ الأَمْرِ،ما اسْتَقْبَلْتَ مِنْهُ وَلَيْسَ بِأَنْ تَتَبَّعَهُ اتّباعَا

وجعل بعضهم من عوامل نجاح المشورة، أن يكون المستشار على هيئة معينة تساعده على التركيز، وهو يقلب الرأي في قضية ما ليستخلص وجه الصواب فيها، فقالوا: يجب عليه أن يكون على هيئة المتوثب وكأنه يهم بأمر ما، «وقال الهيثم: ما رأيت ابن شُبْرُمَة قط إلا هو متهيّئ، كأنه يريد الركوب، فذكر ذلك له، وأنا حاضر، فقال: إن الرجل لا يستجمع له رأيه حتى يجمع عليه ثيابه، ثم قال: أتى رجل من الحيّ، فقال لِدُهقان: يا هذا، إنّه ربما انتشر عليّ أمري في الرأي، فهل عندك من مشورة؟ فقال: تهيأ، والبس ثيابك، ثم اهمم بما تريد، فهو أجمع لرأيك، فليس من أحد يفعل ذلك إلا اجتمع له رأيه»[١٤٠].

ولعل هذا يعود إلى أن الإنسان عندما يكون خائر القوى، في حالة استرخاء جسدي، يكون فكره مشتتاً منتشراً، غير مركّز؛ فهو لا يستطيع أن يصل إلى أمر محدد. أما عندما يتهيأ جسدياً ونفسياً، ويكون في وضع المتوثب، المزمع أمراً، فكأنه يستجمع قواه العقلية والفكرية، ويشحذ ذهنه، فيتفق له الرأي الصواب، والقول الفصل.

---

[١٣٧] النويري: نهاية الأرب، ج٣، ص٧٤.

[١٣٨] يوسف بن عبد الله القرطبي: بهجة المجالس، ج٢، القسم الأول، ص٤٥٦، والدّبريّ: هو الرأي الذي يسنح بعد فوات الحاجة، انظر القاموس المحيط، (دبر).

[١٣٩] القطامي، الديوان، ص٣٥.

[١٤٠] النويري: نهاية الأرب، ج٦، ص٧٢.

www.mtenback.com

وعندما يستشار أكثر من شخص فكيف تتم المشاورة؟ هل يجتمعون في مكان واحد وفي وقت واحد، ثم يطرح عليهم موضوع المشاورة؟ أو يستشارون على انفراد؟

لقد اختلف في هذه المسألة على ثلاثة مذاهب[١٤١]: فذهب فريق إلى أن الأولى هو اجتماعهم في مجلس واحد، لمناقشة الموضوع مناقشة مستفيضة، وتداول الآراء فيما بينهم، فيعرض كلٌّ واحد ما لديه مدعومًا بالحجج والبراهين، تتم موازنة الآراء وغربلتها، للوصول إلى الرأي الأصوب، والوجه الأرجح.

ويعرض الماوردي هذا المذهب ويشرح وجهة نظر القائلين به، ثم يبين أدلتهم وحججهم، فيقول[١٤٢]: «فمذهب الفرس أن الأولى اجتماعهم على الارتياء، وإجالة الفكر، ليذكر كل واحد منهم ما قدحه خاطره، وأنتجه فكره، حتى إذا كان فيه قدح عورض، أو توجَّهَ عليه رد نُوقض، كالجدل الذي تكون فيه المناظرة، وتقع فيه المنازعة والمشاجرة، فإنه لا يبقى فيه مع اجتماع القرائح عليه خلل إلاَّ ظهر، ولا زلل إلاَّ بان».

أما أصحاب المذهب الثاني، فكانوا يفضلون أن يستشار كلٌّ واحد سرًا، فيعرض كلٌّ منهم رأيه على المستشير، ثم يقارن المستشير بينها، ويختار ما يراه الأصوب والأصلح. وذلك من أجل المحافظة على سرية المشورة وعدم إشاعتها، وحتى لا يكون بين أصحاب المشورة تنافس، يودي بأصالة الرأي.

ويشرح النويري هذا المذهب فيقول[١٤٣]: «وقيل: كان اليونان والفرس لا يجمعون وزراءهم على الأمر يستشيرون فيه، وإنما يستشيرون الواحد منهم من غير أن يعلم الآخر به، لمعان شتى: منها ألا يقع بين المشاورين منافسة تذهب أصالة الرأي وصحة النظر، لأن من طباع المشتركين في الأمر التنافس والتغالب وطعن بعضهم في

---

[١٤١] انظر: الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص٢٢٦-٢٢٧.

[١٤٢] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص٢٢٦.

[١٤٣] النويري: نهاية الأرب، ج٦، ص٧٣، وانظر الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص٢٢٦.

www.mtenback.com

بعض، وربما أشار أحدهم بالرأي الصواب، وسبق إليه، فحسده الآخرون، فتعقبوه بالإعراض والتأويل والتهجين، وكدّروه وأفسدوه.ومنها أن في اجتماعهم على المشورة تعريض السر للإضاعة والشناعة والإذاعة».

ومن الملاحظ هنا، أن النويري نسب هذا المذهب إلى الفرس. بينما نسب الماوردي المذهب الأول إلى الفرس أيضًا، وفي هذا تناقض واضح، ولعل التوفيق بين القولين. يكون فيما قاله النويري بعد كلامه السابق، إذ قال[١٤٤]: «ولذلك قال الفرس: إنما يراد الاجتماع والكثرة في التناحر في الأمور التي يحتاج فيها إلى القوة، فأما الآراء والأمور الغامضة فإن الاجتماع يفسدها، ويولد فيها التضاغن والتنافس».

أما المذهب الثالث فهو للماوردي نفسه، وفي الحقيقة هو جمع بين المذهبين، ومستفاد من مذهب الفرس الذي أشار إليه النويري قبل قليل، فبعد أن عرض الماوردي المذهبين الأولين رجح المذهب الثاني، فقال[١٤٥]: «ولكل واحد من المذهبين وجه، ووجه الثاني أظهر»، وبعد ذلك عرض مذهبه، فقال[١٤٦]: «والذي أراه في الأولى، غير هذين المذهبين على الإطلاق، ولكن ينظر في الشورى، فإن كانت في حال واحدة، هل هي صواب أو خطأ؟ كان اجتماعهم عليها أولى، لأن ما تردد بين أمرين، فالمراد منه الاعتراض على فساده، أو ظهور الحجة في صلاحه، وهذا مع الاجتماع أبلغ، وعند المناظرة أوضح وإن كانت الشورى في خَطْب قد استبهم صوابه واستعجم جوابه، من أمور خافية، وأحوال غامضة، لم يحصرها عدد، ولم يجمعها تقسيم، ولا عرف لها جواب يُكشف عن خطئه وصوابه. فالأولى في مثله، انفراد كل واحد بفكره، وخلوه بخاطره، ليجتهد في الجواب، ثم يقع الكشف عنه، أخطأ هو أم صواب؟ فيكون

---

(١٤٤) النويري: نهاية الأرب، ج٦، ص٧٣..

(١٤٥) الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص٢٢٦.

(١٤٦) المصدر السابق، ص٢٢٦-٢٢٧.

www.mtenback.com

الاجتهاد في الجواب منفردًا، والكشف عن الصواب مجتمعًا، لأن الانفراد في الاجتهاد أوضح، والاجتماع على المناظرة أبلغ، فهكذا هذا».

مشاورة أصحاب الاختصاص:

إن شؤون الحياة وأمورها متعددة الجوانب، مختلفة السمات، متباينة الأوجه، ولا يمكن لإنسان مهما كان شأنه، أن يلم بكل هذه الجوانب، وتلك الأوجه، فضلاً من أن يكون عالمًا وخبيرًا حاذقًا في كل جانب، وقد شاء الله عز وجل أن يمنح كل إنسان فهمًا ومعرفة في جانب محدد من جوانب الحياة، فنجد عالم الدين،وعالم الفلك، وعالم الصناعة، وعالم الطب، ورجل الحكمة والفلسفة، وغيرهم الكثير.

ولذلك فمن الحكمة أن يستشار كُلٌّ فيما يعلمه، ويتقنه، ولديه خبرات واسعة في اختصاصه، يقول صاحب الرياض الناضرة[١٤٧]: «واعلم أن المشاورة تختلف باختلاف مواضيعها، فأمور السياسة يُشاور فيها أهل الحل والعقد، والرجال المتميزون في عقولهم وآرائهم وكمال نصحهم. وأمور العلم والدين يشاور فيها أهل العلم والدين، الجامعون بين العلم والحلم والعقل والدين، والأمور الدنيوية يشاور فيها أهل الخبرة فيها والرأي، بحسب أحوالها».

فلكل جانب أناس عرفوا فيه بنضج الآراء، وعظيم الآثار، وطول الخبرة والمران، فهؤلاء أهل المشورة في الشؤون المختلفة، والاختصاصات المتنوعة، وهم الذين يرجع إليهم في المسائل المعقدة، والأمور المبهمة.

فملك مصر عندما رأى رؤيا أفزعته، جمع ملأه، وقصّ عليهم تلك الرؤيا، واستشارهم فيها، قال الله: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ

---

[١٤٧] السعدي: الرياض الناضرة، ص٤٧.

www.mtenback.com

وَسَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ. قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلامِ بِعَالِمِينَ﴾[148].

ومن ينعم النظر في هذه الآيات، يجد فيها توجيهاً حكيماً في مسألة المشورة، فالملأ لم يبدوا رأياً، ولذلك بحث الملك عن عالم بصير في هذا الشأن، فكان يوسف عليه السلام، الذي كان عليماً خبيراً في هذا الاختصاص، فقدّم مشورته، وأخذ بها الملك، وإن كان على غير دينه، فكان بذلك إنقاذ للمجتمع من هلاك محقق.

ففي هذا توجيه وإرشاد إلى أن على المستشار ألاّ يبدي رأياً فيما لا علم به، ولا خبرة عنده في ذلك الموضوع، بل لابد من البحث عن أصحاب الاختصاص وذوي الخبرة، والأخذ برأيهم، وعندئذ تعطي المشورة ثمارها ناضجة، وقطوفها دانية، فيكون في ذلك الفلاح والنجاح.

صفات المستشار:

إن من نافلة القول أن المستشار له الدور الفعال في إنجاح المشورة، وجني فوائدها، فهو الركن الركين في مسألة المشورة، وهو القطب الذي تدور حوله، ولذلك لابدّ أن تتوافر فيه صفات وخصال معينة، وقد تحدث عنها، وفصل القول فيها، المفكرون والحكماء، وأودعوها مؤلفاتهم، وسطروها في مصنفاتهم، ومن أبرز تلك الصفات وأهم هاتيك الخصال أن يكون المستشار ذا عقل وفطنة وذكاء، ومؤهلاً بعلمه وخبرته لما يستشار فيه لئلا تشتبه عليه الأمور، فتلتبس، فلا يصح مع اشتباهها عزم، ولا يتمُّ مع التباسها حزم[149]، وقد روي عن الرسول ﷺ أنه قال[150]: «استرشدوا

---

[148] سورة يوسف: ٤٣-٤٤.

[149] انظر: الشيزري: المنهج المسلوك، ص٤٨٥.

[150] المراغي: اللباب في شرح الشهاب، ص١٢٧.

www.mtenback.com

العاقل ترشدوا، ولا تعصوه فتندموا». فلابد للمستشار من عقل واع، وذكاء وقـــاد، وبصيرة نافذة ينظر فيها عواقب الأمور، ويتوقع نتائجها قبل حصولها، فيكـــون كمـــا صوره أوس بن حجر[١٥١]:

الأَلْمَعِيُّ الَّذِي يَظُـــنُّ لَـــكَ الظَّـــ ... نَّ كَـــأَنْ قَـــدْ رَأَى وَقَـــدْ سَـــمِعا

فالعاقل الفطن ينظر في العواقب، فيرى بأول رأيه آخر الأمر، فتنكشـــف لـــه الحقائق، وكأنه يجلو بعقله وفطنته ما يطمس الحقيقة ويخفيها، يقول ابن الرومي[١٥٢]:

أَلْمَعِـــيٌّ يَـــرى بِـــأَوَّلِ رَأْيٍ ... آخِـــرَ الأَمْـــرِ مِـــنْ وَرَاءِ المَغِيـــبِ

ويقول إبراهيم بن العباس واصفاً حال ذلك البصير القلب، الحاذق الفهم، البعيد النظر، في سرعة بديهته وحضور قلبه، فينظر في بواطن الأشياء وحقائقها[١٥٣]:

يُمْضِـــي الأُمُـــورَ عَلَـــى بَدِيْهَتِـــهِ ... وَتُرِيـــهِ فِكْرَتُـــهُ عَوَاقِبَهـــا

فَيَظَـــلُّ يُصْدِرُهـــا وَيُورِدُهـــا ... فَيَعُـــمُّ حَاضِرَهـــا وَغَائِبَهـــا

فصاحب الذكاء والفطنة، يرى بعقله ما لا يرى بعينه، وإن إرســـال الخواطـــر الثاقبة، وإحالة الأفكار الصادقة، لا يكاد يخرج عنها ممكن، ولا يخفى عليهـــا جـــائز، وكما قيل[١٥٤]: «لا عاش بخير من لا يرى برأيه ما لم ير بعينه» ومثل هذا ما حكاه ابن قتيبة[١٥٥]: «من لم ينفعْك ظنُّه، لم ينفعك يقينه».

---

[١٥١] الديوان ص٥٣.

[١٥٢] ديوان ابن الرومي: ج١، ص١٤٢.

[١٥٣] مجموعة المعاني، لمؤلف مجهول، تحقيق: عبد المعين الملوحي، دمشق، دار طلاس، (١٩٨٨م)، ص٥٣.

[١٥٤] الشيزري، المنهج المسلوك، ص٤٨٠.

[١٥٥] ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١، ص٩١.

www.mtenback.com

وما ذاك إلا من حدة ذكائه وشدة فطنته، وتقليبه الأمر على وجوه محتملة، حتى يصل به الظن إلى اليقين، فيكون كما قال صالح عبد القدوس[١٥٦]:

وَمِنَ الرِّجالِ إِذَا استوت أَحْلامُهُمْ ... مَنْ يُستَشارُ إِذا اسْتُشيرَ فَيُطْرِقُ

حَتّى يَجُولَ بِكُلِّ وادٍ قَلْبُهُ ... فَيَرَى ويَعْرِفَ ما يَقُولُ ويَنْطِقُ

إِنَّ الحَلِيمَ إِذا تَفَكَّرَ لَمْ يَكَدْ ... يَخْفَى عَلَيهِ مِنَ الأُمُورِ الأَوْفَقُ

إنَّ من الرجال من يتمتع بذكاء وقاد، وفطنة متوهجة، فيأتي ظنه موافقًا للواقع، كما قال علي بن أبي طالب عن ابن عباس رضي الله عنهما[١٥٧]: «إنه ينظر إلى الغيب من ستر رقيق».

ومن المستشارين من له من الآراء السديدة، والأفكار الثاقبة، ما يغني عن الجيوش الجرارة، يقول البستي[١٥٨]:

إِذا دَهَى خَطْبٌ فَآراؤُهُ ... تُغْنِي عَنِ الجَيْشِ وَتَسْرِيبِهِ

وقد أكدّ المتنبي أنّ أثر الرأي الصائب أبلغ من أثر الحماسة والشجاعة والقوة، قال[١٥٩]:

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ ... هُوَ أَوَّلٌ وَهْيَ المَحَلُّ الثَّانِي

وتقول امرأة من إياد[١٦٠]:

---

[١٥٦] الدميري، كمال الدين: حياة الحيوان الكبرى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج١، ص٢٧.

[١٥٧] ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١، ص٩١.

[١٥٨] البستي: ديوانه، ص٤٣.

[١٥٩] أحمد بن الحسين أبو الطيب المتنبي، ديوان المتنبي بشرح العكبري، تحقيق: مصطفى السقا ورفيقيه، بيروت، دار المعرفة، ج٤، ص١٧٤.

[١٦٠] المرزوقي، أحمد بن محمد: شرح ديوان الحماسة، نشر: أحمد أمين وعبد السلام هارون، بيروت، دار الجيل، (١٤١٠هـ/١٩٩١م)، ج٤، ص١٨٠٠.

www.mtenback.com

الْمُسْتَشَارُ لأَمْرِ القَـــوْمِ يَحْـــزُ بُهُـــمْ إِذا الهَنَاتُ أَهَـــمَّ القَـــوْمَ مـــا فِيهـــا
لا يَرْهَبُ الجارُ مِنْـــهُ غَـــدْرَةً أَبَـــدًا وَإِنْ أَلَمَّـــتْ أُمُـــورٌ فَهْـــوَ كافِيهـــا

من كلّ هذا نستدل على أن المستشار لابدَّ أن يكون ذا عقل راجـــح رزيـــن، وفكر مستنير، ورأي ثاقب، وبصيرة نفَّاذه.

وكما حض المفكرون وأصحاب الحكمة على استشـــارة مـــن يتمتـــع بهـــذه الصفات، فإنَّهم حذروا من استشارة الجاهل، وإن كان ناصحًا، فقالوا[١٦١]: «احـــذر مشاورة الجاهل وإن كان ناصحًا، كما تحذر عداوة العاقل إذا كان عدوًا، فإنَّه يوشـــك أن يورطك بمشاورته، فيسبق إليك مكر العاقل، وتوريط الجاهل».

و«إن الأحمق الجاهل، إذا استشرته زاد في لبسك، وأدخل عليك التخليـــط في رأيك، ولم يقم بحقيق نصحك»[١٦٢]، وقال الأبشيهي[١٦٣]: «إذا استشرت الجـــاهل اختار لك الباطل».

ومن صفات المستشار أن يكون ذا تجربة لأن التجارب تصقل الأفكار، وتـــزود الإنسان بخبرات عديدة لا حصر لها، وتكسبه قدرة فائقة على مواجهات المشـــكلات وحلها، وبكثرة التجارب تصح الرؤية، وتكون النتـــائج مضمونـــة، جـــاء في تحفـــة الوزارة[١٦٤]: «قال المأمون لولده: استشيروا ذوي التجارب والحيلـــة، فـــإنهم أعلـــم بمصادر الأمور، وتقلبات الدهور، وأطيعوهم، وتحملوا ما يغلظـــون مـــن قـــول، أو يكشفونه من عيب لما ترجونه من حالة تصلح، وفتق يرتق، فإنّ من جرَّعكم المـــرارة لشفائكم، أشفق ممن أطعمكم الحلاوة لإسقامكم».

---

[١٦١] السابق نفسه.

[١٦٢] ابن الأزرق: بدائع السلك، ج١، ص٣٠٠.

[١٦٣] الأبشيهي، المستطرف، ج١، ص٤٢.

[١٦٤] الثعالبي: تحفة الوزارة، ص٨٧.

www.mtenback.com

وفيها أيضًا[١٦٥]: «قال البلخي: «شاور في أمرك من جرب الأمور وخبرها، وتقلبت عليه الحوادث، وباشرها ما لم يوهنه ضعف الهرم، ولم يغيره حادث السقم».

ومهما كان الرجل ذكيًا فطنًا، فإنه لا غناء فيه إن لم يكن ذا تجربة لأن كثرة التجارب تهتكِ الأستار، وتكشف عن الأسرار، وتُكسب الخبرات، وقال بعض الحكماء[١٦٦]: «كل شيء يحتاج إلى العقل، والعقل يحتاج إلى التجارب».

قال البستي[١٦٧]:

وَإِنِّي لَمُحْتَاجٌ إلى سَيِّدٍ لَهُ ... سَمَاحٌ وَرَأْيٌ، لا تَغِيبُ كَوَاكِبُهْ

فَيَكْشِفُ أَيَّامَ الجُدُوبِ سَمَاحُهُ ... وَتَفْتُقُ أَكْمَامَ الغُيُوبِ تَجارِبُهْ

من أجل هذا كان الحكماء يحذرون من استشارة الشباب الأغرار الذين لم تعركهم التجارب، ولم تصقلهم الحوادث، وقالوا[١٦٨]: «احذر مشاورة... شاب معجب بنفسه قليل التجارب في غرّة...»

فالمستشار لابدُّ أن يكون صاحب تجارب واسعة، قد عرك الحياة وعركته، وعجم الحوادث وعجمته، فصُقل عقله، وصلب عوده، وتمرس في معالجة الأمور، فأصبح ذا حنكة، وصاحب حيل في كشف المعميات، وتفتيق الحلول، قال بعضهم[١٦٩]: «شاور من جَرَّب الأمور، فإنَّه يعطيك من رأيه ما وقع عليه غاليًا، وأنت تأخذه مجانًا». وقال حكيم[١٧٠]: «عليك بمشورة من حلب أشطر دهره، ومرت عليه ضروب خيره وشره، وبلغ من العمر أشده، وأورت التجربة زنده».

---

[١٦٥] السابق ص٨٩.

[١٦٦] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص٢٢٤.

[١٦٧] الديوان، ص٢٧.

[١٦٨] ابن الأزرق: بدائع السلك، ج١، ص٣٠٠.

[١٦٩] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج٤، ص٢٥١.

[١٧٠] النويري: نهاية الأرب، ج٦، ص٧٤.

www.mtenback.com

ومن صفات المستشار أن يكون تقيًا، ولعل هذه الخصلة من أبرز ما يجب أن يتحلى به المستشار، لأنه لا فائدة ترجى من ذكائه وفطنته وحسن تجاربه، إن لم يكن تقيًا دينًا ناصحًا، وإلاّ لكانت صفاته الأولى وبالاً على المستشير، لأنه ربما كان المشير غاشًا له، يورده سبل الهلاك ومهاوي الردى، بدل أن يرشده إلى طرق الخير ومسالك الصواب.

ولذلك قال الرسول ﷺ[171]: «المستشار مؤتمن». وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه[172]: «شاور في أمرك من يخاف الله عز وجل» ومثل ذلك ما جاء في ربيع الأبرار[173]: «لا أمين إلاّ من خشي الله، فشاور في أمرك الذين يخشون الله»، وقال سفيان الثوري[174]: «ليكن أهل مشورتك أهل التقوى والأمانة، ومن يخشى الله تعالى».

ولاشك أن الدين والتقوى عماد كل نجاح، وأس كل فلاح وصلاح، ومن كان متصفًا بهما، كان موضع ثقة واطمئنان، وأهلاً للمشاورة لأنه يكون مأمون السريرة، صادق العزيمة.

فالمشورة أمانة كبرى، ومسؤولية عظمى، ومن لم يرعها حق رعايتها يكن غاشًا خائنًا، روي عن النبي عليه السلام[175]: «من استشاره أخوه المسلم، فأشار عليه بغير رشده، فقد خانه».

ومن خصال المستشار أن يكون ناصحًا ودودًا لأن النصح والمودة، يحملان على صدق اللهجة، ويؤديان إلى الاجتهاد في البحث عن الحل الأمثل، ويقودان إلى النظر في

---

(171) رواه أصحاب السنن، انظر ابن الأثير، جامع الأصول، ج١١، ص٥٦٢.

(172) ابن الأزرق: بدائع السلك، ج١، ص٣٠٠.

(173) الزمخشري، ربيع الأبرار، ج٣، ص١٤٩.

(174) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج٤، ص٢٥١.

(175) البيهقي، السنن الكبرى، ج١٠، ص١١٢.

www.mtenback.com

المسألة بمجامع القلوب، للوصول إلى أصوب الآراء وأصدقها، فعلى المستشار أن يمحض النصيحة، ويبذل جهد المخلص، ويقول ما يقوله المشفق الغيور، قال بعض البلغاء[١٧٦]: «لا نتيجة لرأي إلاّ عن طاعة ونصيحة، ولا نتيجة لمشورة إلاّ عن محبة ومودّة» وعلى طالب المشورة أن يبحث عن ناصح مُحبّ، قال بشار[١٧٧]:

إذَا بَلَغَ الـرَّأْيُ النَّصِيحَـةَ فاسْـتَعِنْ ... بِرَأْيِ نَصِيـحٍ أو نَصيحـةِ حَـازِمِ

قال صالح بن عبد القدوس[١٧٨]:

وَلاَ مُشِيرَ كَـذِي نُصْـحٍ وَمَقْـدِرَةٍ ... في مُشْكِلِ الأَمْرِ فاخْتر ذاك مُنْتَصِحـا

وجاء في روضة العقلاء[١٧٩]: «والواجب على العاقل السالك سبيل ذوي الحجى: أن يعلم أن المشاورة تفشي الأسرار، فلا يستشير إلاّ اللبيب الناصح الودود، الفاضل في دينه، وإرشاد المشير المستشير، قضاء حق النعمة في الرأي».

وقال ابن المقفع في وصف الرجل الحازم[١٨٠]: «وكان لا يستشير صاحبًا إلاّ من يرجو عنده النصيحة».

ولكن ليس كلُّ ذي عقل وتجربة يكون ناصحًا مخلصًا في مشورته، قال أبو الأسود الدؤلي[١٨١]:

فَمَا كُلُّ ذِي لُبٍّ بِمُؤتِيـكَ نُصْحَـهُ ... وَلاَ كـلُّ مُـؤْتٍ نُصْحَـهُ بِلَبِيـبِ

---

[١٧٦] القرطبي: بهجة المجالس، المجلد الثاني من القسم الأول، ص٤٥٢.

[١٧٧] الديوان، ج٤، ص١٧٢.

[١٧٨] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص٢٢٥.

[١٧٩] محمد بن حيان البستي: روضة العقلاء، ص٢٠١.

[١٨٠] ابن المقفع: الأدب الصغير والأدب الكبير، ص١٣٤.

[١٨١] أبو الأسود الدؤلي، ظالم بن عمرو: ديوان أبي الأسود، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، بيروت، دار الكتاب الجديد، (١٩٧٤م)، ص٣٣.

www.mtenback.com

وَلَكِنْ إِذا ما اسْتَجْمعا عِنْـــدَ واحِـــدٍ فَحَـــقٌّ لَـــهُ مِـــنْ طاعَـــةٍ بِنَصِيـــبِ

إنها لمعادلة صعبة قاسية، فإن وجد الناصح المشفق، فربما كان غير ذي ذكـــاء وتجربة، فيضر وهو يريد النفع، وإن وجد المجرب الحاذق الفطن، فقد يكـــون غاشًـــا ماكرًا ذا خديعة، فيكون ضره أضعاف نفعه، فإذا كان ذلك كذلك، فما على المشـــير إلاَّ أن يكون حذرًا كلَّ الحذر، يبحث عمن يستشيره بدراية ومعرفة. وإذا اجتمعـــت القدرة والنصح فذاك الرجل الذي يجب أن يطاع.

وفي هذا المعنى يقول أحد الشعراء[١٨٢]:

وَأَنْفَعُ مَنْ شاوَرْتَ مَنْ كانَ ناصِحًـــا شَفِيقًا فَأَبْصِرْ بَعْدَهَـــا مَـــنْ تُشـــاوِرُ

وَلَيْسَ بِشَـــافِيكَ الشَّـــفِيقُ وَرَأْيُـــهُ غَرِيبٌ ولا ذو الرَّأْيِ والصَّدْرُ وَاعِـــزُ

فعلى المستشار أن يمحض النصح لمن استشاره ويبذل له جهد الناصح الأمـــين، وليجتهد بالرأي، ويلزم الحق، وقصد السبيل، وليجعل المستشير كنفسه، ولينبذ الخيانـــة والغش. وليحذر المستشير من استشارة الأعداء والحاسدين، فإنّهم لا يقدمون نصحـــاً خالصاً، ولا يرضون إلا بزوال النعمة عنه.

ومن صفات المستشار أن يتحلى بالمروءة والشجاعة والأمانة لأن هذه الســـجايا الكريمة، تجعل صاحبها حريصًا على قول الحق، وإبداء الرأي، وتقديـــم المشـــورة، وإن أغضب الآخرين، أو المستشير نفسه، فهو لا يخاف من قول الحق ولا يجامل على أمانته وقد حذر الحكماء من استشارة ذوي الأخلاق الذميمة المستهجنة، وأصحاب النفـــوس الضعيفة السقيمة، وقيل[١٨٣]: «ولا تُدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضـــل، ويعدك بالفقر، ولا جبانًا يضعفك في الأمور، ولا حريصًا يزين لك الشر بالجور، فـــإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى، يجمعها سوء الظن بالله».

---

[١٨٢] القرطبي: بهجة المجالس، ج٢، من القسم الأول، ص٤٥٤.

[١٨٣] الزمخشري: ربيع الأبرار، ج٣، ص١٥٣.

www.mtenback.com

وجاء في المستطرف[184]: «سبعة لا ينبغي لصاحب لب أن يشاورهم: جاهل وعدو، وحسود ومراءٍ، وجبان وبخيل، وذو هوى؛ فإن الجاهل يُضل، والعدو يريد الهلاك، والحسود يتمنى زوال النعمة، والمرائي واقف مع رضا الناس، والجبان من رأيه الهرب، والبخيل حريص على جمع المال، فلا رأي له في غيره، وذو الهوى أسير هواه، فلا يقدر على مخالفته».

كما نهوا عن استشارة العاجز الكسول، فقالوا[185]: «ومن استشار فلينفذ الحزم بألا يستشير عاجزًا، كما أن الحازم لا يستعين كسولاً».

ومن شروط المستشار ألاّ يكون من أهل الأهواء وذلك كأن يكون له في الأمر موضوع المشورة، ميل أو مصلحة، فيؤثر ذلك في رأيه، من حيث يدري أو من حيث لا يدري، لأن الهوى خادع الألباب، وصارف عن الصواب، وصاحب الهوى أسير هواه، فلا يقدر على مخالفته.

قال ابن الأزرق في بدائع السلك، وهو يعدد شروط المستشار[186]: «البراءة في الأمر المستشار فيه من هوى يساعده، وغرض يقصده، قال ابن الحجاج: لأن الأعراض جاذبة، والهوى صاد، والرأي إذا عارضه الهوى، وجاذبته الأغراض فسد».

وفي ذلك يقول الفضل بن العباس بن عتبة[187]:

وَقَدْ يُحْكِمُ الأَيَّامُ مَنْ كانَ جَاهِلاً ... وَيُرْدِي الهَوى ذا الرَّأْيِ وَهْوَ لَبِيبُ

وقال بعض الحكماء[188]: «اعدل عن مشورة من قصد موافقتك متابعة لهواك، واعتمد مخالفتك انحرافًا عنك، واعتمد على من توخى الحق والصواب لك وعليك».

---

(184) الأبشيهي، المستطرف، ج1، ص117.

(185) محمد بن حيان البستي، روضة العقلاء، ص202.

(186) ابن الأزرق: بدائع السلك، ج1، ص302. وانظر أدب الدنيا والدين للماوردي، ص225.

(187) الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص225.

(188) الثعالبي: تحفة الوزارة، ص91-92.

www.mtenback.com

وعدُّوا مَن اتبع الهوى في هذا الميدان خائنًا غشاشًا. وقارنوا بينه وبين الفقيه الذي يتبع الهوى في فتواه، وقرنوه بالطبيب الذي يخطئ في معالجة مرضاه، جاء في تحفة الوزارة[١٨٩]: «قيل في منثور الحكم من التمس الرخص والموافقة من الإخوان في الآراء، فقد غش وخان، كما أن من فعل ذلك في الفقه أخطأ في الأحكام، ومن فعله في الطب زاد في الأسقام».

ومن أخص خصائص المستشار أن يكون كتومًا للسر لأن لكتمان السر أهمية قصوى في تحقيق النجاح، ودرك الفلاح في كثير من الأمور، وكثيرًا ما يكون في إفشاء الأسرار أضرار بالغة، وتفويت للفرص، ولهذا كان من أهم صفات المستشار أن يكون محافظًا على السّر، فهو أمانة لديه. قال ابن حزم[١٩٠]: «إنما يتجالس المتجالسون بالأمانة، فلا يحل لأحدهما أن يفشي على صاحبه ما يكره».

وقال زياد لرجل يشاوره[١٩١]: «لكل مستشير ثقة، ولكل سر مستودع، وإن الناس قد أبدعت بهم خصلتان: إضاعة السر، وإحراج النصيحة، وليس موضع السر إلا أحد رجلين: رجل آخرة يرجو ثواب الله، أو رجل دنيا له شرف في نفسه، وعقل يصون به حسبه، وقد عجمتهما لك».

وكما حرصوا على أن يكون المستشار في حالة جسدية ونفسية، يتوافر فيها صفاء الذهن، وخلو البال من الهموم. ومشتتات الأفكار، ليستخلص وجه الصواب، ولذلك كرهت الحكماء مشاورة من اعترته الشواغل، وألمت بساحته النوازل، مع وفور عقله وحزمه.

---

[١٨٩] السابق ص٩٢.

[١٩٠] ابن الأزرق: بدائع السلك، ص٤٦٦-٤٦٧.

[١٩١] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص٢٩.

www.mtenback.com

فإن من عارضت فكره شوائب الهموم، لا يسلم له رأي ولا يستقيم له خاطر[١٩٢].

قال الأحنف[١٩٣]: «لا تشاور الجائع حتى يشبع، ولا العطشان حتى يروى، ولا الأسير حتى يطلق، ولا المقل حتى يجد».

وحقًا ما قال! فمن كان مشغولاً بإحدى هذه الحاجات الأساسية الضرورية، لا يمكن له أن يفكر تفكيرًا سليمًا، ولا يستطيع أن يقدم رأيًا صائبًا، وإن كان من أصحاب العقول النيرة، والأفهام الثاقبة، قال قس بن ساعدة الأيادي ناصحًا ابنه[١٩٤]: «لا تشاور مشغولاً وإن كان حازمًا، ولا جائعًا وإن كان فهمًا، ولا مذعورًا وإن كان ناصحًا، ولا مهمومًا وإن كان عاقلاً، فالهم يعقل العقل فلا يتولد منه رأي، ولا تصدق به روية».

فلابد للمستشار أن يكون بوضع لا يشغله معه شاغل عن جودة التفكير وأصالة الرأي، حتى إنهم قالوا[١٩٥]: «لا تشاور صاحب حاجة يريد قضاءها» فهو مشغول بحاجته، يفكر بقضائها، ففكره محصور فيها، صاد عن غيرها. فالراحة الجسدية، والطمأنينة النفسية لابد منهما للمرء حتى يستقيم له الرأي، وينقدح له الفكر.

من أجل ذلك كان بعض الملوك، يهيئ لمستشاريه مناخًا مناسبًا، وظروفًا معيشية حسنة، ويؤمن لهم حاجياتهم الأساسية حتى لا ينشغلوا بها، جاء في عيون الأخبار[١٩٦] أن: «بعض ملوك العجم، إذا شاور مرازبته، فقصروا في الرأي دعا

---

[١٩٢] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص٢٢٥.

[١٩٣] الأبشيهي: المستطرف، ج١، ص١٧.

[١٩٤] النويري: نهاية الأرب، ج٦، ص٧٦.

[١٩٥] ابن عبد ربه، أحمد بن محمد: العقد الفريد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (١٣٦٧هـ/١٩٤٨م)، ج١، ص٦٤.

[١٩٦] ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١، ص٣٢.

www.mtenback.com

الموكلين بأرزاقهم فعاقبهم، فيقولون: تخطئ مرازبتك، وتعاقبنا؟ فيقول: نعم: إنهم لم يخطئوا إلا لتعلق قلوبهم بأرزاقهم، وإذا اهتموا أخطؤوا».

وهذا كلام حكيم، ذلك أن النفس البشرية مشغولة بتأمين قوتها، وما يقيم أودها، فإذا ما أحرزت رزقها اطمأنت وسكنت، فتصفو الروح، وينطلق الفكر.

ومن صفاته ألا يكون كثير المن في حال نجاح المشورة، شديد الافتخار برأيه، مسفهًا آراء الآخرين، مستدلاً على فسادها، فذلك هو الإعجاب المذموم، وسوء الأدب الممقوت. كما يجب عليه ألا يكون كثير اللوم إن لم يؤخذ برأيه، فذلك القتل البطيء، قال ابن المقفع[١٩٧]: «فإن كنت أنت المشير، فعمل برأيك، أو تركه، فبدا صوابك، فلا تمنن به، وتكثر من ذكره إن كان فيه نجاح، ولا تلمه عليه إن كان قد استبان في تركه ضرر، بأن تقول: ألم أقل لك: افعل هذا، فإن هذا مجانب لأدب الحكماء».

هذه أبرز صفات المستشار، وهي صفات مهمة وخطيرة، فلابد أن يُتحلى بها، حتى تكتمل الفائدة، وتتحصل المنفعة، وتعطي المشورة ثمارها وجناها، فتتحقق الحكمة منها.

مشورة الشيوخ والشباب:

من يشاور الإنسان؟ أيشاور شيوخًا كبارًا في السن تجمعت لديهم الخبرات والتجارب، أم يشاور شبابًا يتقدون حيوية ونشاطًا، وحدة ذكاء؟

لقد اختلف الناس في ذلك، وتفرقت وجهات نظرهم، فذهب فريق منهم إلى أن مشاورة الشيوخ أجدى وأنفع، وذهب فريق آخر إلى أن مشاورة الشباب أولى وأصوب، ولكل فريق حججه وأدلته، وسنحاول أن نعرض لكل من المذهبين، ونبسط القول في استدلال كل منهم على ما ذهب إليه.

---

[١٩٧] ابن المقفع، الأدب الصغير والأدب الكبير، ص١٢٩.

www.mtenback.com

فالذين فضلوا مشورة الشيوخ احتجوا بأن الشيوخ قد حنكتهم التجارب وعجمتهم الأيام، وصقلتهم الأحداث والسنون، فاكتسبوا بذلك خبرات متراكمة، يفتقر إليها الشباب، ومن أمثال العرب[١٩٨]: «زاحِمْ بِعَوْدَ أو دَعْ»، و«كانت العرب تحمد آراء الشيوخ، لتقدمها في السن، ولأنها لا تتبع حسناتها بالأذى والمن، ولما مر عليها من التجارب التي عرفت بها عواقب الأمور، حتى كأنها تنظرها عيانًا، وطرأ عليها من الحوادث التي أوضحت لها طريق الصواب، وبينته تبيانًا، ولما منحته من أصالة رأيها، واستفادته بجميل سعيها، ولذلك قال علي كرم الله وجهه: رأي الشيخ خير من مشهد الغلام»[١٩٩].

وقال بعض الحكماء[٢٠٠]: «عليك بمشورة من حلب أشطر الدهر، ومرت عليه ضروب خيره وشره، وبلغ من العمر أشده وأورت التجربة زنده».

ويرى البستي أنه لا يستقيم للرجل رأي، ما لم يبلغ من العمر عتيًا، ويشتعل الرأس شيبًا، فيقول[٢٠١]:

ما اسْتَقامَتْ قَناةُ رَأْيِي إلاَّ بَعْدَ ما قَوَّسَ المَشِيبُ قَناتِي

ويعلل الشيزري في المنهج المسلوك[٢٠٢]. فضل مشورة الشيوخ وجودة رأيهم، فيقول: «... لأن المشايخ قد حنكتهم التجارب وعركتهم النوائب، وقد شاهدوا من

---

[١٩٨] أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله: جمهرة الأمثال، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، بيروت، دار الجيل، (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ج١، ص٥٠٢. والعوْد: الجمل المسنّ وفيه بقية. ومعنى المثل: استعن على حربك بأهل السِّنّ والمعرفة فإن رأي الشيخ خير من مشهد الغلام. لسان العرب، مادة (عَوَد).

[١٩٩] النويري: نهاية الأرب، ج٦، ص٧٤-٧٥.

[٢٠٠] السابق، ج٦، ص٧٤.

[٢٠١] البستي، الديوان، ص٢٢٩.

[٢٠٢] الشيزري، المنهج المسلوك، ج١، ص٤٨٧.

www.mtenback.com

اختلاف الدول ما أوضح صواب الرأي، وقد كانت العرب تقول المشايخ أشجار الوقار، ومنابع الأخبار، لا يطيش لهم فهم ولا يسقط لهم وهم».

ويقول الماوردي[٢٠٣]: «عليكم بآراء الشيوخ، فإنهم إن فقدوا ذكاء الطبع، فقد مرت على عيونهم وجوه العبر، وتصدت لأسماعهم آثار الغِير».

وفي هذا المعنى يقول أحد الشعراء[٢٠٤]، مصوراً ما أفاده الشيوخ من كر الليالي والأيام، وتوالي السنين والأعوام، من اكتمال عقل، وحدة رأي:

لَئِنْ فَقَدُوا الشَّبابَ فَرُبَّ عَقْلٍ ... أَفادُوهُ على مَرِّ اللَّيالِي

خَبَتْ نارُ الذَّكاءِ فَأَجَّجُوها ... بِآراءٍ أَحَدَّ مِنَ النِّصالِ

ومثل ذلك ما قاله الآخر مشيراً إلى أثر مرور الأيام في زيادة خبرة الإنسان وحصافة رأيه[٢٠٥]:

إِذا طالَ عُمْرُ الْمَرءِ في غَيْرِ آفَةٍ ... أَفادَتْ لَهُ الأَيَّامُ في كَرِّها عَقْلا

ومن البديهي أن التجارب التي مر بها كبار السن، قد صقلت عقولهم، وأكسبتهم خبرات مفيدة، وآراء سديدة، فمادة الرأي التجارب، ومن أجل ذلك حمدت استشارة الشيوخ، قال أحد الشعراء[٢٠٦]:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ العَقْلَ زَيْنٌ لأَهْلِهِ ... وَلَكِنْ تَمامُ العَقْلِ طُولُ التَّجارِبِ

ولكن ليس بالضرورة، أن يكون كلُّ مُعَمَّر قد اكتسب خبرات وتجارب من سني عمره المديد، فربما مرت تلك السنون العديدة، دونما تحصيل وفائدة، فكانت كأنها

---

[٢٠٣] الماوردي: أدب الدنيا والدين: ص١١.

[٢٠٤] النويري: نهاية الأرب، ج٦، ص٧٥.

[٢٠٥] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص١٢.

[٢٠٦] المصدر السابق، ص١١.

www.mtenback.com

نسخ متكررة، آخرها كأولها، لا زيادة ولا تطوير. فلابد أن ينضاف إلى ذلك وعيٌ شديد، وإدراك عميق، وتفكر طويل في الأيام والأحداث والمستجدات، حتى تتكون مادة الرأي، وتجنى ثمار السنين، يقول علي كرم الله وجهه[٢٠٧]، موصيًا أبناءه: «يا بني إني وإن لم أكن عمرت عمر من كان قبلي، فقد نظرت في أعمارهم، وفكرت في أخبارهم، حتى عدت كأحدهم، بل كأني بما انتهى إلي من أمورهم قد عمرت مع أولهم إلى آخرهم، فعرفت صفو ذلك من كدره، ونفعه من ضرره، واستخلصت لكل أمر نخيله، وتوخيت جميله، وصرفت عنك مجهوله».

ومثل ذلك ما وصى به المأمون أولاده، فقال[٢٠٨]: «يا بني: ارجعوا فيما اشتبه عليكم إلى آراء أهل الحزم من أعوانكم المجربين، والمشايخ المشفقين، فإنهم يُرونكم ما لا ترون، ويكشفون لكم أغطية ما لا تعلمون، فقد صحبوا لكم الدهور، ومارسوا لكم الأمور، وعرفوا حوادث الأزمنة، وإعراضها وإقبالها وإدبارها».

أما الفريق الثاني، فإنهم يرون في الشباب حدة الذكاء، وصفاء الذهن، وسلامة القرائح، وقوة العزيمة، ولذلك فهم يفضلون مشاورتهم، قال النويري[٢٠٩]: «وقد عدل قوم عن ذلك، وسلكوا في خلافه أوضح الطرق، وأنهج المسالك، وقالوا: بل رأي الشباب هو الرأي الصائب، وفهمهم الفهم الثاقب، ونجم سعدهم الطالع، وسحاب جدهم الهامع. وإن لهم من الفطنة أوفر نصيب، وإن سهم رأيهم الرائش المصيب، وإن عقولهم سليمة من العوارض، وأذهانهم آخذة بحظ وافر من الغوامض، ولذلك قالت الحكماء: عليكم بآراء الأحداث ومشورة الشبان، فإن لهم أذهانًا تَفُلّ الفواصل، وتحطم الذوابل».

---

[٢٠٧] الزمخشري، ربيع الأبرار، ج٣، ص١٤٩.

[٢٠٨] الشيزري، المنهج المسلوك، ص٤٨٨-٤٨٩.

[٢٠٩] النويري: نهاية الأرب، ج٦، ص٧٥.

www.mtenback.com

فالشاب النابه الفطن، ذو العقل السليم، ربما فاق في درك الصواب الكهول والمشايخ، وربما أوتي الفتى اليافع من الحكمة، وحصافة الرأي ما لم يؤته شيخ طاعن في السن. كان عمر بن الخطاب يقول[٢١٠]: «لا يمنع أحدكم حداثة سنه أن يشير برأيه، فإن الرأي ليس على حداثة السن، ولا على قدمه، ولكنه أمر يضعه الله حيث شاء».

ولهذا كان مجلسه يضم الشباب والكهول يستشيرهم فيما يعرض عليه. قال الزهري[٢١١]: «كان مجلس عمر رضي الله عنه غاصًا بالعلماء والقراء كهولاً وشبابًا، وربما استشارهم».

وقد امتدحوا في الشباب حدة أذهانهم وتوقدها، ونضارة آرائهم وجدتها، فقالوا[٢١٢]: «آراء الشباب خضرة نضرة، لم يهتصر غصنها هرم، ولا أذوى زهرتها قدم، ولا خبا من ذكائها بطول المدة ضرم»، وفي هذا المعنى يقول الشاعر[٢١٣]:

عَلَيْكُمْ بِآراءِ الشَّبابِ فَإِنَّهَا ... نَتَائِجُ ما لَمْ يُبْلِهِ قِدَمُ العَهْدِ

فُروعُ ذَكَاءٍ، تَسْتَمِدُّ مِنَ النُّهَى ... بِأَنْوَرَ في اللأْواءِ مِنْ قَمَرِ السَّعْدِ

والحق الذي لا مراء فيه أن المسألة هنا، ليست مسألة شباب أو شيوخ، وسنين تمضي وتفوت، بل هي إدراك ووعي، وتبصر في الأمور وعواقبها بعين البصير الفطن.

ولا ريب أن الشيخ أكثر تجارب، وأغزر خبرات، إن كان من ذوي التبصر والنظر، ومن أصحاب الحكمة، والحنكة، فتكون آراؤه أكثر نضجًا، وأعمق غورًا، لأنه استملى على ألسنة التجارب ما تعذب ثمرته، واستبقى من مشارع الحكمة ما تحمد مغبته، فهو شيخ عارف بالدهور، وتنقل الأمور، فأحرى به أن تكون نظرته ثاقبة، ورأيه لا ينقض.

---

(٢١٠) ابن الأزرق: بدائع السلك، ج١، ص٣٠٤.

(٢١١) السابق نفسه.

(٢١٢) النويري: نهاية الأرب، ج٦، ص٧٥.

(٢١٣) النويري: نهاية الأرب، ج٦، ص٧٥. اللأواء: الشدة.

www.mtenback.com

ولا شك أيضا أن الشاب الحذق الفطن، الحاد الذكاء، الذي نشأ في رحاب العلم وترعرع في المعرفة، يكون قد اكتسب خبرة وتجربة في الأمور، وأضحى عقله ناضجًا، وفكره نيرًا، فقد يُلقى في قلبه من قبس العلم، ووهج الفهم، ونور الهداية، ما يجعله ذا رأي لا يُفَل، وقريحة لا تخمد، وربما وَجَدْتَ عنده من أصالة الرأي وجزالته، وصدق العزيمة ومضائها، وصلابة الفكر وتوهجه، ما لا تجده عند الكهول والشيوخ.

استشارة أصحاب المهن:

من يطالع كتب الأدب، يجد أنهم كانوا ينهون عن مشاورة أصحاب المهن التي كانت العرب تنظر إليها، وإلى ممتهنيها، بازدراء شديد، فالجاحظ يقول[٢١٤]: «كان يقال: لا ينبغي لعاقل أن يشاور واحدًا من خمسة: القطان، والغزال، والمعلم، وراعي ضأن، ولا الرجل الكثير المحادثة للنساء».

ولا ريب أن في هذه النظرة، بعدًا عن الحقيقة، ومجانبة للصواب، فعمل بعض هؤلاء لا يقدح أبدًا في سلامة عقولهم، وصفاء أذهانهم، وربما كان كثير منهم يمتلك من الآراء الثاقبة، والأفكار النيرة، ما لا نجده عند غيرهم. وفي تاريخنا الثقافي، ظهر كثير من العلماء والمفكرين ممن كان يمارس مثل هذه المهن.

وقد آن الآوان، أن نتخلص من هذه النظرة الجائرة، والمقولة الخاطئة، وأن نتخلص من رواسبها، وحان الوقت أن نربي أجيالنا على احترام المهن، وتقدير أصحابها واحترامهم، بل ندعو جاهدين مخلصين إلى ممارستها والقيام بها.

---

[٢١٤] محمد بن يزيد المبرد: الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أحمد الدالي، بيروت، مؤسسة الرسالة، (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ج٢، ص٦٨٥، وانظر العقد الفريد، ج١، ص٦٤، وعيون الأخبار، ج١، ص٣١، والمستطرف، ج١، ص٧٧.

www.mtenback.com

ومما يتصل بهذا الأمر بسبب وثيق، أن العقل والفهم والفطانة، ليست مقصورة على فئة معينة دون أخرى، أو أن الله تعالى اختص بها قومًا دون آخرين، فربما نجد الرأي الحكيم، والفهم الصحيح عند من لا يُعبأ به، ولا يفطن له، قال الشاعر[٢١٥]:

وَقَدْ يَتَغابَى المَرْءُ في عُظْمِ أَمْرِه ... وَمِنْ تَحْتِ بُرْدَيْهِ المُغِيْرَةُ أو عَمْرُو

وقال الماوردي[٢١٦]: «وإذا ظفر برأي من خامل، لا يراه للرأي أهلاً، ولا للمشورة مستوجبًا، اغتنمه عفوًا، فإن الرأي كالضالة تؤخذ أين وجدت، ولا يهون لمهانة صاحبه، فيطرح، فإن الدرة لا يَضعها مهانة غائصها، والضالة لا تترك لذلة واجدها».

قال البستي[٢١٧]:

لا تَحْقِرِ المَرْءَ إن رَأَيْتَ بِهِ ... دَمامَةً أَوْ رَثاثَةَ الحُلَلِ

فَالنَّحْلُ لا شَكَّ في ضُؤُولَتِهِ ... يَشْتارُ مِنْهُ الفَتَى خَيِّرَ العَسَلِ

ومثل هذا ما جاء في ربيع الأبرار[٢١٨]: «لا تَستَحقِر الرأي الجزيل من الرجل الحقير، فإن الدرة لا يستهان بها لهوان غائصها»

وفي هذا المعنى يقول طرفة[٢١٩]:

وَكَمْ مِنْ فَتىً عازِبٍ عَقْلُهُ ... وَقَدْ تَعْجَبُ العَيْنُ مِن شَخْصِهِ

وَآخَرَ تَحْسَبُهُ جاهِلاً ... وَيَأْتِيكَ بِالأَمْرِ مِنْ فَصِّهِ

---

[٢١٥] الزمخشري: ربيع الأبرار، ج٣، ص١٤٩. والإشارة في البيت إلى المغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص وهما من أذكياء العرب، وأهل الفطانة فيهم.

[٢١٦] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص٢٢٧.

[٢١٧] ديوان البستي: ص١٥٤، وانظر النويري: نهاية الأرب ج٣، ص١١٥.

[٢١٨] الزمخشري: ربيع الأبرار.

[٢١٩] ديوان طرفة ص٦٤. وفصه: أصله.

www.mtenback.com

استشارة النساء:

ومثلما استُهجنت مشورة أصحاب المهن، كذلك استهجن بعضهم مشورة النساء، بحجة أن في عقولهن نقصًا وضعفًا، وفي آرائهن خللاً ووهنًا. حتى إنهم عدّوا الأطفال أعقل منهن، قال المبرد[٢٢٠]: «وقيل في مثل هذا: لا تدع أم صبيك تضربه، فإنه أعقل منها، وإن كان طفلاً».

وجاء في المحاسن والمساوئ[٢٢١]: «إياك ومشورة النساء، فإن رأيهن إلى الأفن، وعزمهن إلى الوهن». وقال الثعالبي[٢٢٢]: «ولا ينبغي أن يستشار النساء ولا الصبيان، لنقص عقولهم، وضعف آرائهم، وقَلَّ من حكم النساء إلا وانقاد إلى الخطأ».

وفي هاتيكم الأقوال وتلكم الادعاءات، ظلم صريح للمرأة، وانتقاص من إنسانيتها، وهضم لمكانتها الطبيعية بدون دليل صحيح، بل الدليل والبرهان يقوم على عكس ذلك، فالإسلام ساوى بين الرجل والمرأة في مسؤولية تعد من أجل المسؤوليات وأشرفها، وهي مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ كلف بها المرأة إلى جانب الرجل، ولا يكلف بهذه المهمة الخطيرة الشريفة إلا من أوتي عقلاً ناضجًا، وفكرًا راجحًا، وعزمًا ماضيًا، وجاء هذا التكليف بصريح القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[٢٢٣].

ففي هذه الآية الكريمة دلالة واضحة، وبرهان قاطع، على مسؤولية المرأة في إبداء رأيها، في كل ما يؤثر في أوضاع الأمة، وأنها أهل لتقديم المشورة[٢٢٤].

---

[٢٢٠] المبرد، الكامل: ص٦٨٥.

[٢٢١] البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص٣٧٠.

[٢٢٢] الثعالبي: تحفة الوزارة: ص٩٢.

[٢٢٣] سورة التوبة: ٧١.

[٢٢٤] انظر عز الدين التميمي: الشورى بين الأصالة والمعاصرة، ص٥٣-٥٤.

www.mtenback.com

بل هناك آية كريمة تنص صراحة على وجوب مشاورة المرأة، قال الله تعالى: ﴿...لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾[٢٢٥].

فهذه دعوة صريحة إلى مشاورة المرأة في الأمور الشخصية، والقضايا الفردية، وفي أصغر خلية من خلايا المجتمع، وهي الأسرة. فالتشاور بين الرجل والمرأة وسيلة وأسلوب لفض الخلافات والمشكلات، التي تنشأ بين أفراد الأسرة الواحدة، بل بين قطبيها، فالتشاور بينهما يؤدي إلى تبادل وجهات النظر في المسألة التي هي موضوع التشاور، مما يفضي إلى التفاهم، وينتهي بالرضا التام، والأسرة كما هو معلوم بداهة نواة المجتمع، فإذا ترسخ هذا المفهوم السامي بين أفرادها فإنه سيكون هو المبدأ السائد في المجتمع بأسره، وفي ذلك يكون صلاحه واستقراره.

وفي تاريخنا شواهد عديدة على أهلية المرأة في إبداء الرأي الراجح والمشورة النافعة، ومن أشهر ما يروى في هذا الباب، مشورة أم المؤمنين، أم سلمة رضي الله عنها في صلح الحديبية، فكان في تلك المشورة الخير والفلاح. روى الطبري في تاريخه أنه[٢٢٦] «لمّا فرغ الرسول من قضيته قال لأصحابه: قوموا فانحروا، ثم احلقوا، قال: فوالله ما قام منهم رجل، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد، قام فدخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت له أم سلمة: يا نبي الله! أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحدًا منهم كلمة، حتى تنحر بَدَنتك، وتدعو حالقك فيحلقك، فقام فخرج، فلم يكلم أحدًا منهم كلمة، حتى فعل ذلك، نحر بدنته، ودعا حالقه، فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضًا...».

---

[٢٢٥] سورة البقرة: ٢٣٣.

[٢٢٦] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٦٣٧.

www.mtenback.com

وقال السهيلي بعد أن أورد القصة: «وفيه أيضًا إباحة مشاورة النساء، وذلك أن النهي عن مشاورتهن، إنما هو عندهم في أمر الولاية خاصة»[٢٢٧].

ففي هذه القصة دليل ساطع وبرهان واضح على تمتع كثير من النساء بعقول راجحة وآراء سديدة، وفيها ردّ قاطع على من نهوا عن استشارة النساء.

ومن يتأمل هذه القصة، يجد الرسول ﷺ قد نفذ ما أشارت عليه أم سلمة رضي الله عنها بحذافيره، وبكل دقة، فكان في ذلك كل الخير والبركة على المسلمين جميعًا، إذْ أخرجهم وأنقذهم من حَمْأَة خلاف الرسول الكريم، إلى الفوز بطاعته، والنجاة من معصيته.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يستشير النساء، ويأخذ بأقوالهن إن وجد فيها خيرًا وصوابًا روى البيهقي عن ابن سيرين: «قال: كان عمر رضي الله عنه، ليستشير في الأمر حتى إنه كان ليستشير المرأة، فربما أبصر في قولها الشيء يستحسنه فيأخذ به»[٢٢٨].

وقصة استشارة عبد الله بن الزبير، أمه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهم مشهورة، ذكرها ابن الأثير، فقال[٢٢٩]: «دخل ابن الزبير على أمه حين رأى من الناس ما رأى من خذلانهم، فقال: يا أمّه، خذلني الناس، حتى ولدي وأهلي، فلم يبق معي إلاّ اليسير ممن ليس عنده من الدفع أكثر من صبر ساعة، والقوم يعطوني ما أردت من الدنيا، فما رأيك؟ فقالت: أنت والله يا بني أعلم بنفسك، إن كنت تعلم أنك على حق وإليه تدعو فامضِ له، فقد قتل عليه أصحابك، ولا تمكن من رقبتك يتلاعب بها غلمان أمية. وإن كنت إنما أردت الدنيا، فبئس العبد أنت، أهلكت نفسك، وأهلكت من قتل

---

[٢٢٧] أبو القاسم، عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، الروض الأنف، قدم له: طه عبد الرؤوف سعد، القاهرة، مكتبة، الكليات الأزهرية، ج٤، ص٣٧.

[٢٢٨] البيهقي، السنن الكبرى، ج١٠، ص١١٣.

[٢٢٩] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص١٨٨.

www.mtenback.com

معك، وإن قلت: كنت على حق، فلما وهن أصحابي، ضعفت، فهذا ليس فعل الأحرار، ولا أهل الدين، وكم خلودك في الدنيا! القتل أحسن. فدنا ابن الزبير فقبل رأسها، وقال: هذا والله رأيي، والذي قمت به داعيًا إلى يومي هذا، ما ركنت إلى الدنيا، ولا أحببت الحياة فيها، وما دعاني إلى الخروج إلاّ الغضب لله، أن تستحل حرمه، ولكنني أحببت أن أعلم رأيك، فزدتني بصيرة مع بصيرتي».

فلله درها ما أبلغ قولها، وأصدق لهجتها، وأثبت حجتها، أفبعد هذا، من يقول: إن الصبيان أعقل من النساء!

وهذا خالد بن الوليد رضي الله عنه، يستشير أخته فاطمة في أمر عظيم، ويأخذ بمشورتها، وذلك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، سمع أن خالدًا أجاز بعض قاصديه أموالاً، فكتب عمر إلى أبي عبيدة، رضي الله عنه، أن يسأل خالدًا، من أين أجاز الناس، أمن ماله أم من مال إصابة أصابها.

فلما سأله أبو عبيدة، قال خالد أمهلني حتى أستشير أختي، فاستشارها، وأخذ بمشورتها[٢٣٠].

فهذه مواقف أبدت المرأة فيها رأيًا في أمور على غاية من الأهمية والخطر، وأشارت فيها على عظماء الرجال رأيًا وحكمة، وكان أولهم سيد الخلق قاطبة، وقد أُخذ برأيها، فكان فيه الصواب والخير العميم.

ومن الأمور التي يجب فيها استشارة النساء خاصة، ما يتعلق بشأن عظيم من شؤونهن، وهو الزواج، فقد شرع الإسلام استشارة الفتاة في زواجها، وأخذ رأيها قبل عقد النكاح، قال الشافعي رحمه الله[٢٣١]: «بلغنا عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «البكر تُستأمر في نفسها، وإذنها صُماتها».

---

[٢٣٠] أبو الفداء، إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، بيروت، مكتبة المعارف، ج٧، ص١٨.

[٢٣١] الشافعي، محمد بن إدريس: الأم، بعناية أحمد بدر الدين حسون، دمشق، دار قتيبة، (١٤١٦هـ/١٩٩٦م)، ج١٤، ص٢١١. والحديث أخرجه البخاري عن عائشة رضي الله عنها، بلفظ: «البكر تستأذن، قلت إن البكر تستحي قال: إذنها صماتها»، البخاري، صحيح البخاري، ص١٣٣١، رقم (٦٩٧١).

www.mtenback.com

فأعطاها الإسلام حقًا عظيمًا في أمر عظيم من حياتها، وأمر باستشارتها، لأن هذا الأمر يقرر مصيرها، ومن ثَمّ مصير الأسر الإسلامية والمجتمع الإسلامي بأسره.

وأعطى الشارع أيضًا الأيمّ حقًا كاملاً في هذا الموضوع الخطير، لا يتدخل فيه أحد، فقال الرسول عليه السلام[٢٣٢]: «الأيم أحق بنفسها من وليها».

كما شرع الإسلام استشارة الأم في زواج ابنتها، وأخذ رأيها في هذا الشأن، فقد روي عن الرسولﷺ[٢٣٣]: «وآمروا النساء في بناتهن» وأخرج الشافعي[٢٣٤] عن ابن جريج أن رسول اللهﷺ أمر نعيمًا أن يؤامر أم ابنته فيها.

فلو لم تكن المرأة أهلاً للاستشارة، وجديرة بها، لما شرع الإسلام هذه الاستشارة في أمر عظيم كهذا، ولما أمر الرسول الكريمﷺ بذلك في مواقف كثيرة.

صفات المستشير، وعاقبة من لا يستمع إلى المشورة:

المستشير هو القطب الآخر في المشورة، وكما وجدنا للمستشار صفات وسجايا، فإن للمستشير أيضًا مزايا وخصائص يجب أن يتحلى بها، حتى تكتمل المشورة وتتم الفائدة منها، ويتحقق الهدف الذي من أجله سُنت، ويمكن إجمال تلك المزايا بما يأتي:

ألا يكون مستبدًا، مستهينًا بنصائح المستشارين وآرائهم، بل عليه أن يأخذ بما أشير عليه، ما دام قد وثق من مستشاريه ذوي الصفات التي ذكرناها آنفًا.

وقبول المشورة وإمضاؤها هو الغاية المتوخاة، والفائدة المرتجاة، جاء في بدائع السلك[٢٣٥]: «الوظيفة الأولى: القبول... وهو فائدة المشاورة، إذ كان المستشار بالصفة

---

[٢٣٢] الشافعي: الأم، ج١٤، ص٢١١.

[٢٣٣] السابق نفسه.

[٢٣٤] السابق، ج١١، ص٧٢.

[٢٣٥] ابن الأزرق: بدائع السلك، ج١، ص٣٠٧.

www.mtenback.com

المشروطة فيه، و لم تظهر المفسدة فيما أشار إليه». ثم قال ابن الأزرق[٢٣٦]: «ولا عليه من ظهورها بعد ذلك، إذ بعد جهدك لا تلام، وقديمًا كان يقال: من اجتهد رأيه، وشاور صديقه، فقد قضى ما عليه».

فطاعة المستشار الثقة أمر لا بد منه، وإلاّ كان الخسران والندم، قال الشاعر[٢٣٧]:

وَإِنْ بابُ أَمْرٍ عَلَيْكَ الْتَوى فَشاوِرْ لَبِيبًا وَلاَ تَعْصِهِ

وقال بعض الحكماء[٢٣٨]: «من عصا ناصحًا فقد استفاد عدوه» وقال كسرى أنو شروان[٢٣٩]: «حزم ذي الرأي أن يستشير عالمًا ويطيعه».

وفي هذا المعنى يقول الشاعر ناصحًا بأن يحذو المرء في استنصاحه، حذو أهل الحكمة والبصيرة وأن يتبع قولهم[٢٤٠]:

إِذا ما أُمُورٌ أَعْوَزَتْ في اعْتِيادِها فَلا تَعْصِ ذا لُبٍّ وَقُلْ مِثْلَ قَوْلِهِ

ويصور شاعر آخر حالة من لا يطيع مستشاره، ويستبد برأيه، فيتضح ندمه وبؤسه بعد فوات الأوان، فيقول[٢٤١]:

وَمَوْلًى عَصانِي واسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ كَمْا لَمْ يُطَعْ بالبَقَّتَيْنِ قَصِيرُ

فَلَمّا رأى أَنْ غَبَّ أَمْرِي وَأَمْرُهُ وَوَلَّتْ بِأَعْجازِ الأُمُورِ صُدُورُ

تَمَنّى بَئِيسًا أَنْ يَكُونَ أَطاعَنِي وَقَدْ حَدَثَتْ بَعْدَ الأُمُورِ أُمُورُ

---

[٢٣٦] ابن الأزرق: بدائع السلك، ج١، ص٣٠٨.

[٢٣٧] العبيدي: التذكرة السعدية، ص٣٥٣.

[٢٣٨] الشيزري: المنهج المسلوك، ص٤٩٢.

[٢٣٩] الشيزري: المنهج المسلوك، ص٤٩٢.

[٢٤٠] الشيزري: المنهج المسلوك، ص٤٩٣.

[٢٤١] البصيري: الحماسة البصرية، ج٢، ص٣٦.

www.mtenback.com

والخطر كله على الحياة العامة أن يجمع المرء بين طلب المشورة والاستبداد بالرأي لأن في هذا مشورة صورية، ظاهرها ديمقراطي وباطنها استبدادي، وغالباً ما تكون عاقبتها الهلاك والدمار، ففرعون الطاغية المستبد لا يخرج عن حقيقته الاستبدادية الجائرة وإن ظهر بمظهر المستشير، وقد نقل إلينا القرآن الكريم صورة مشورته لملئه، فقال تعالى: ﴿قَالَ لِلْمَلإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾[٢٤٢].

ففرعون في مشورته هذه لم يخرج عن طبعه القائم على الاستبداد والتسلط، فهو يوجه مجلس شوراه إلى ما يريد، فقال لهم: إنّه ساحر، وإنه يريد إخراجكم من الأرض بهذا السحر، وقد أبى عليه غروره، ونزوعه إلى الاستبداد إلا أن يستبق الحوادث ويسجل رأيه قبل أن يستمع إلى آراء الملأ من حوله، وحرضهم عليه، فلم يترك لهم حرية إبداء الرأي فكأنه أوعز إليهم بأخذ رأيه مسبقاً، وهذه طبيعة المستبدين وهذه هي سجيتهم»[٢٤٣].

فهذه الشورى أو المشاورة صورية، ولذلك كانت النهاية الدمار والهلاك، والويل والثبور للجميع، وكأن في هذا توجيهاً من الله عز وجل لكي تكون الشورى حقيقية قائمة على حرية الرأي، وليس فيها توجيه ما من طرف خفي أو غير خفي.

ومما يبعث الأسى في النفس أن كثيراً من البلدان في وقتنا الحاضر ممن تدعي الديمقراطية في الحكم، إنما هي في حقيقة الأمر دول استبدادية، فهي وإن أنشأت المؤسسات الدستورية المعروفة، إلا أن معظمها مؤسسات صورية كمؤسسة فرعون،

---

[٢٤٢] سورة الشعراء: ٣٤-٣٨.

[٢٤٣] انظر: عز الدين التميمي: الشورى بين الأصالة والمعاصرة، ص١٨.

www.mtenback.com

فالحاكم الفرد يوحي لأعضاء تلك المؤسسات بما يريد، ويوجههم حسب رغباته وأهوائه. ومما يحذر منه الاستخفاف برأيه فيحقد على المستشير، وقد يعاقبه عقوبة قاسية دون أن يدري، فيبدي له من الرأي والمشورة ما يتفق وهواه حتى يوقعه في الخطأ ويحرجه في المواقف التي لا يستطيع الخروج منها وقد عبر التوزي عن هذه الفكرة ببيتين قال فيهما[٢٤٤]:

تَنَخَّلْتُ آرائي وسُقْتُ نَصيحَتي ... إلى غَيرِ طَلْقٍ للنَّصيحِ ولا هَشِ

فَلَمَّا أَبَى نُصْحي سَلَكْتُ سَبيلَهُ ... وَأَوْسَعْتُه مِنْ قَوْلِ زُورٍ ومِنْ غُشّ

ومن أحسن ما قيل فيمن أشير عليه، فلم يقبل المشورة، قول السبيع لأهل اليمامة بعد إيقاع خالد بن الوليد بهم[٢٤٥]: «يا بني حنيفة بعداً لكم كما بعدت عاد وثمود، والله لقد أنبأتكم بالأمر قبل وقوعه، كأني أسمع جَرْسه، وأبصر غيبه ولكنكم أبيتم النصيحة، فاجتنيتم الندامة، وإني لما رأيتكم تتهمون النصيح، وتسفهون الحليم، استشعرت منكم اليأس، وخفت عليكم البلاء، والله ما منعكم الله التوبة، ولا أخذكم على غرة، ولقد أمهلكم حتى مل الواعظ، ووهن الموعوظ».

ودريد بن الصمة الشاعر الجاهلي المعروف والفارس المشهور، ينصح قومه في إحدى غزواتهم، فلم يسمعوا قوله، ولم يطيعوا أمره ومشورته، وأعلنوا عصيانهم، فكانت النتيجة أنهم أخذوا من قبل الإعداء على حين غرة ــ كما توقع ــ فقتل من فرسانهم من قتل، فصوّر ذلك في قصيدة رائعة تعد من عيون الشعر العربي، ومنها[٢٤٦]:

أَمَرْتُهُمُ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللِّوى ... فَلَمْ يَسْتَبِينوا الرُّشْدَ إلاَّ ضُحَى الغَدِ

---

[٢٤٤] العبيدي، التذكرة السعدية، ص٣٥٦.

[٢٤٥] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١، ص٦٣-٦٤، والنويري: نهاية الأرب، ج٦، ص٧٨.

[٢٤٦] عبد الملك بن الأصمعي: الأصمعيات، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، القاهرة، دار المعارف، ط٣، ص١٠٧.

www.mtenback.com

فَلَمَّا عَصَوْنِي كُنْتُ مِنْهُمْ وَقَدْ أَرَى غَوَايَتَهُمْ وَأَنَّنِي غَيْرُ مُهْتَدِ
وَما أَنا إلاَّ مِنْ غَزِيَّةَ إِنْ غَوَتْ غَوَيْتُ وَإِنْ تَرْشُدْ غَزِيَّةُ أَرْشُدِ

وممن حذر من عدم استماع المشورة، وإطاعة الناصح علي بن أبي طالب حين قال[٢٤٧]: « أما بعد: فإن معصية الناصح الشفيق، العالم المجرب، تورث وتعقب الندامة، وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة، ونخلت لكم مخزون رأيي، لو كان يطاع لقصير أمر، فأبيتم عَلَيَّ، إباء المخالفين الجناة، والمنابذين العصاة، حتى ارتاب الناصح بنصحه، وضنّ الزّند بقدحه، فكنتُ وإياكم كما قال أخو هوازن:

أَمَرْتُكُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللِّوَى فَلَمْ تَسْتَبِينُوا النُّصْحَ إلاَّ ضُحَى الغَدِ

وأكثر ما يكون رفض النصيحة وعدم قبولها من الإنسان المعجب برأيه، المعتد بنفسه، وقد قيل[٢٤٨]: «من أعجب برأيه لم يشاور كفيًا، ولم يوات نصيحًا».

وفي ذلك يقول الشاعر[٢٤٩]:

إِذا نَصَحْتَ لِذِي عُجْبٍ لِتُرْشِدَهُ فَلَمْ يُطِعْكَ، فَلا تَنْصَحْ لَهُ أَبَدا
فَإِنَّ ذا العُجْبِ لا يُعْطِيكَ طاعَتَهُ وَلا يُجِيبُ إِلى إِرْشادِهِ أَحَدَا

وعلى المستشير التريث في إمضاء الأمر، وعدم التسرع فيه، فلابد من الروية وإنعام النظر، حتى تحصل الثقة بالرأي، وتستبين صحته، ففي الروية تبيان الرأي، وفي تبيان الرأي يصح الاعتزام، وكان يقال: كل رأي لم تتمخض فيه الفكرة ليلة كاملة، فهو مولود لغير تمام[٢٥٠]، وقال ابن الأزرق[٢٥١]: «إذا صح الرأي مع المستشار فلا تعجل إنفاذه، واتركه يختمر يومًا وليلة، إلاَّ فيما تخاف فواته، فاستخر الله وعجّله».

---

[٢٤٧] نهج البلاغة، ج١، ص١٠٧.
[٢٤٨] السابق ص٤٥٧.
[٢٤٩] السابق ص٢٠٥.
[٢٥٠] ابن الأزرق: بدائع السلك، ج١، ص٣٠٨.
[٢٥١] السابق نفسه.

www.mtenback.com

ومثل ذلك قال الثعالبي[٢٥٢]: «ينبغي للوزير إذا دهمه أمر يضطرب له حاله، أن يتثبت في المشورة، ويخمر الآراء، ولا يعجل فإنه لا يزيد الصعب التأني إلا سهولة، والفكرة إلاّ بصيرة، ثم يحدد الاستشارة بعد الأناة، فقد تبدو من الشرر بوادر ليس لها ثبات، ولا هي على أصول، ولا خير في الرأي الفطير».

فأرجح الآراء وأصوبها، وأكثرها سداداً ما كثر امتحانه، وأطيل تأمله، والنظر في عواقبه المحتملة، وإن كان هناك أكثر من مستشار وأكثر من رأي، فلابدّ من تصفح أقوالهم والنظر فيها، والموازنة بينها، والبحث عن نتائجها وما يترتب عليها، ثم اختيار ما يراه الأفضل والأصوب، قال الماوردي[٢٥٣]: « ثم يعرض المستشير ذلك على نفسه، مع مشاركتهم في الارتياء والاجتهاد، فإذا تصفح أقاويل جميعهم، كشف عن أصولها وأسبابها، وبحث عن نتائجها وعواقبها، حتى لا يكون في الأمر مقلداً، ولا في الرأي مفوضاً».

وقد قيل[٢٥٤]: «أضعف الرأي ما سنح للبديهة ابتداءً... وأصوب الرأي ما تكررت الفكرة بعده، وأحكمت الروية عقده».

فالحذر كل الحذر من مبادرة العمل بالمشورة قبل إمعان النظر فيها إمعانًا حاذقًا، والنظر فيها نظرًا ثاقبًا، فإذا ما تقرر الرأي الصحيح بعد الفكرة والروية، شرع في إمضائه والعمل به، وينتهز فيه الفرصة، ولا يبطئ في تنفيذه.

وفي ذلك يقول البستي[٢٥٥]:

إِذَا مَا انْجَلَى الرَّأْيُ، فَاحْكُمْ بِهِ وَلاَ تَحْكُمَنَّ بِمَا يَشْتَبِهْ

---

(٢٥٢) الثعالبي: تحفة الوزارة، ص٨٨.

(٢٥٣) الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص٢٢٧.

(٢٥٤) الشيزري، المنهج المسلوك، ص٤٩.

(٢٥٥) الديوان، ص٤٥.

www.mtenback.com

وقال الماوردي[٢٥٦]: «ثم لا وجه لمن تقرر له رأي أن يني في إمضائه فإن الزمان غادر، والفرص منتهزة، والثقة عجز». وفي هذا المعنى يقول الشاعر[٢٥٧]:

إِذَا كُنْتَ ذا رَأْيٍ فَكُنْ ذا عَزِيمَةٍ ... وَلا تَكُ بِالتَّرْدادِ لِلرَّأْيِ مُفْسِدا

فَإِنِّي رَأَيْتُ الرَّيثَ في العَزْمِ هُجْنَةً ... وَإِنْفاذَ ذِي الرَّأْيِ العَزِيمَةَ أَرْشَدا

والمستشير يكون واسع الأفق، رحب الصدر، مستشعر الصبر، لا يضيق ذرعًا بالمشورة، مهما كانت قاسية، أو لم تأت وفق هواه، فكثيرًا ما يكون قبول النصيحة مرًّا كتجرع العلقم: ولذا قيل[٢٥٨]: «عوّد نفسك الصبر على من خالفك من ذوي النصيحة، والتجرع لمرارة عقولهم وعذلهم».

فعليه أن يوطن نفسه على قبول النصيحة، مهما كانت مرارتها، لأن فيها الخير والفلاح، وقد قالوا[٢٥٩]: «إن من جرعكم المرارة لشفائكم أشفق ممن أطعمكم الحلاوة لإسقامكم» وقال الأبشيهي[٢٦٠]: «واعلم أن جرعة النصحية مرة، لا يقبلها إلاّ أولو العزم» فعليه أن يجاهد نفسه ويروضها على تحمل مرائر النصائح، لأن من طبيعة البشر أن يكره المرء ما فيه هدايته، ويستثقل ما فيه نصح، وينساق وراء ما فيه غوايته، قال الشاعر[٢٦١]:

وَقَدْ يَكرَهُ الإِنْسانُ ما فِيهِ رُشْدُهُ ... وَتَلْقَى عَلى غَيْرِ الصَّوابِ مَراشِدُهْ

---

[٢٥٦] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص٢٢٧.

[٢٥٧] السابق ص٢٢٨.

[٢٥٨] ابن الأزرق: بدائع السلك، ج١، ص٣١٧.

[٢٥٩] الثعالبي: تحفة الوزارة، ص٦.

[٢٦٠] الأبشيهي: المستطرف، ج١، ص١١٩.

[٢٦١] العبدي، التذكرة السعدية، ص٣٧٩.

www.mtenback.com

ويجب ألا يلوم المستشار، ويقرعه، ويحمله المسؤولية إذا جاءت النتائج على غير ما أشار، وما أمَّلَ، لأن على المشير إمحاض النصح، والاجتهاد في الرأي، وتحري الصواب، وليس عليه ضمان النجاح، ولا سيما والمقادير غالبة[٢٦٢].

جاء في بدائع السلك[٢٦٣]: «إذا أشار عليك أحدٌ برأي أفضى فيه إلى الغلط، وزل به عن الصواب، فلا تأخذن في تأنيبه، وتوبيخه، فإن الآراء ربما خفيت وجوهها، وغابت أسبابها، وليس كل الرأي مقطوعًا به».

قال القطامي[٢٦٤]:

وَمَا يَعْلَمُ الغَيْبَ امْرُؤٌ قَبْلَ أَنْ يُـرَى ... وَلاَ الأَمْرَ حَتَّى تُسْتَبَانَ دَوابِرُهْ

فليس من المروءة في شيء أن تُلقى على كاهل المشير تبعات المشورة، إن جاءت نتائجها على غير ما يشتهي المستشير ويتمنى، فيجعله السبب فيما حدث وجرى، ويحمله كل الأخطاء والأوزار، فيشبعه لومًا وتعنيفًا، فهذا قادح في المروءة، مذموم في الأخلاق.

قال ابن المقفع[٢٦٥]: «اعلم أن المستشار ليس بكفيل، وأن الرأي ليس بمضمون، بل الرأي كله غَرَرٌ؛ لأن أمور الدنيا ليس شيء منها بثقة، وأنه ليس من أمرها شيء يدركه الحازم، إلا وقد يدركه العاجز، بل ربما أعيا الحَزَمَة ما أمكن العجزة، فإذا أشار عليك صاحبك برأي، ثم لم تجد عاقبته على ما كنت تأمل، فلا تجعل ذلك عليه ذنبًا، ولا تلزمه لومًا وعذلاً، بأن تقول: أنت فعلت هذا بي وأنت أمرتني، ولولا أنت لم أفعل، ولا جرم لا أطيعك في شيء بعدها، فإنّ هذا كله ضجر ولؤم وخفة».

---

[٢٦٢] انظر: الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص٢٢٧.

[٢٦٣] ابن الأزرق: بدائع السلك، ص٣٠٨.

[٢٦٤] الديوان، ص٩٦.

[٢٦٥] ابن المقفع: الأدب الصغير، ص١٢٩.

www.mtenback.com

وإذا ما عُرف هذا من المستشير واشتهر، فإن النصحاء يتحاشونه، والمستشارين يتناهون عنه، ولن يقدم أحدٌ على نصحه، أو تقديم المشورة إليه، ويوكل عندئذ إلى نفسه العاجزة الخائرة، فيقع في شر تصرفاته، وسوء تدبيره، قال الماوردي[٢٦٦]: «ومتى عرف منه تعقب المشير، وُكِل إلى رأيه، وأُسلم إلى نفسه، فصار فرداً لا يعان برأي، ولا يمد بمشورة».

والتواضع للمستشارين، وعدم الترفع عن النزول عند مشورتهم. خاصة إن كان من ذوي السلطان، والرتب العالية، مما يحمد للمستشير فيجب أن ينبسط إليهم، ليشعروا بالأمان، وليقدموا مشورتهم وهم مطمئنون، جاء في بدائع السلك[٢٦٧]: «لا ينبغي للملك عند المشاورة أن يترفع، ولا يسلك سبيل الهيبة، فإن ذلك يقصر لسان الناصح والمشير».

فالرسول عليه السلام وهو سيد البشر يأخذ بمشورة أصحابه مهما كان قدرهم إن وجد فيها صواباً، من ذلك أخذه بمشورة المنذر بن الحباب رضي الله في غزوة بدر، قال ابن الأثير[٢٦٨]: «.. فخرج رسول الله ﷺ يبادرهم إلى الماء، حتى إذا جاء أدنى ماء بدر نزله، فقال الحباب: يا رسول الله، أهذا منزل أنزلكه الله، ليس لنا أن نتقدمه أو نتأخره أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة، قال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء سواه من القوم فتنزله، ثُمّ نفوّر ما وراءه من القُلب، ثم نبني عليه حوضاً ونملؤه ماء، فنشرب ولا

---

[٢٦٦] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص٢٢٧.

[٢٦٧] ابن الأزرق: بدائع السلك ج١، ص٢٩٨.

[٢٦٨] ابن الأثير، علي بن أبي الكرم: الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ج٢، ص١٧-١٨.

www.mtenback.com

يشربون، ثم نقاتلهم، ففعل رسول الله ﷺ ذلك» وفي الطبري[٢٦٩]: «فقام رسول الله ﷺ ومن معه من الناس، فسار حتى أتى أدنى ماء من القوم، فنزل عليه، ثم أمر بالقُلب فغوّرت، وبنى حوضاً على القليب الذي نزل عليه فملئ ماء».

إن من يتأمل هذا الخبر يجد العجب العجاب، فقائد عام للقوات يضع خطة للقتال، ثم يأتي جندي من عامة العسكر، فيعترض على الخطة ويبين أنها غير صحيحة، وليست محكمة، ثم يضع خطة بديلة، فيقتنع بها القائد، فيثني عليها، ويقول: لقد أشرت بالرأي، والأهم من ذلك أنّه عليه السلام ينفذها بحذافيرها دون تغيير أو تبديل.

وهذه هي الشورى النافعة التي يشعر الفرد في ظلها بحرية الرأي والقول، حتى تبلغ الجرأة بذلك الجندي، أن يناقش قائدة الأعلى في تفاصيل الخطة، بل يفرض خطته البديلة، مع أن معظم الدول المعاصرة العريقة في الديمقراطية، تعطل العمل بها في مواقف الحرب والقتال.

إن في التواضع للمستشارين والاحتفاء بهم، والتقرب إليهم، وإدناء مقاعدهم، وإشعارهم بالودّ، محرضًا لاستخلاص أروع ما لديهم من آراء وأفكار، فتنطلق ألسنتهم بقول الحق بكل حرية وأمان، جاء في صبح الأعشى[٢٧٠]: «... وأن يخص أكابرهم وأماثلهم، وأهل الرأي والخطر منهم بالمشاورة في الملم، والاطلاع على بعض المهم، مستخلصًا نخائل قلوبهم، بالبسط والإدناء، ومستشحذًا بصائرهم بالإكرام والاحتفاء، فإن في مشاورة هذه الطبقة استدلالاً على مواقع الصواب، وتحرزًا من غلط الاستبداد، وأخذًا بمجامع الحزامة، وأمنًا من مفارقة الاستقامة».

---

[٢٦٩] الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، (١٩٦٤م)، ج٢، ص٤٣٥.

[٢٧٠] القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٠، ص٢٠.

www.mtenback.com

وعلى المستشير ألاّ يطلب الرخصة من المستشار مخافة الزلل بمخالطة الهـــوى في ذلك، وفي عيون الأخبار[٢٧١] أنه «من التمس من الإخوان الرخصة عند المشورة، ومن الأطباء عند المرض، ومن الفقهاء عند الشبهة، أخطأ الرأي وازداد مرضًا وحمل الوزر».

ويستحب له بعد أن يستوثق من الرأي الذي تمخضت عنه المشورة، أن يستخير قبل إمضائه، وفي ذلك سنة متبعة، وبركة ظاهرة، أخرج السيوطي[٢٧٢]: «ما خـــاب من استخار، ولا ندم من استشار» وجاء في بدائع السلك[٢٧٣]: «.. تقديم الاســـتخارة قبل العزم على إمضاء ما تمخضت عنه المشورة، قال ابن الحاج: الجمع بين الاســـتخارة والاستشارة من كمال الامتثال للسنة. إذ بركتها ظاهرة»، فينبغي أن لا يقتصر علـــى أحدهما»، وقيل[٢٧٤]: «إذا استخار الرجل ربّه، واستشار نصيحه، وأجهد رأيه، قضى ما عليه، ويقضي الله جل وعزّ في أمره ما يُحبّ».

اكتساب خلق المشورة:

بعد أن تبين لنا أهمية المشورة، وعظيم فوائدها للفرد والمجتمع، لابد أن نبحـــث عن وسيلة لتأصيل هذه القيمة الخلقية العالية في مجتمعنا، وأن نسعى أيضًا، إلى إيجـــاد طرق لتربية أجيالنا وناشئتنا على هذا المبدأ العظيم، وأن نضع الســـبل لتحبيبهـــم في المشورة، وتبصيرهم بفوائدها الجليلة، وإطلاعهم على عواقب تعطيلها وسوء مصير من لا يتخلّق بها.

لا ريب أن أفضل من يقوم بهذه المهمة العظمى، والمسؤولية الكبرى، الأســـرة أولاً، والمؤسسات التعليمية ثانيًا.

---

[٢٧١] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص٨٥.

[٢٧٢] السيوطي: الجامع الصغير، ج٢، ص١٤٥.

[٢٧٣] ابن الأزرق: بدائع السلك، ج١، ص٣٠٨.

[٢٧٤] البيهقي: المحاسن والمساوئ، ص٣٦٩.

www.mtenback.com

مهمة الأسرة:

للأسرة دور كبير، وعليها واجب خطير في تنشئة الأجيال تنشئة صحيحة سليمة، بغرس القيم النبيلة في نفوس أبنائها منذ نعومة أظفارهم، وإكسابهم السلوك القويم الذي يجعلهم مواطنين صالحين، فيستقيم المجتمع باستقامتهم، ويصلح بصلاحهم.

وأول ما يجب على الوالدين الواعيين المدركين، اللذين يتحملان مسؤوليتهما كاملة تجاه أولادهما، أن ينشئوهم منذ الصغر على مبدأ المشورة وحبها، ورفض الاستبداد والانفراد بالرأي، ويكون ذلك باستشارة أولادهما في كثير من الأمور الأسرية، وأن يعوداهم على كيفية إبداء الرأي، واحترام الآراء الأخرى! فيمارس الأولاد النقاش والحوار الهادئين اللذين يقودان إلى حل المشكلة، وفق أصوب الآراء وأفضلها.

وأن يجمع الأب أبناءه صغارًا وكبارًا، إناثًا وذكورًا، ويطرح عليهم مشكلة اعترضته يريد حلاً لها، ثم يستمع لرأي كل منهم بإصغاء وانتباه شديدين، ويناقش كلاً منهم فيما أبداه، من غير تسفيه أو انتقاص منه، ثم يتوصل معهم إلى الحل الأمثل وفق أفضل الآراء التي قدِّمت.

فعلى الأب والأم أن يجعلا البيت مؤسسة شُورية ديموقراطية، تُناقش فيها كل القضايا دقيقها وجليلها، ويستشار الجميع فيها صغارًا وكبارًا، وتكون جميع الآراء موضع اهتمام وتقدير، فلا يتخذ أي قرار مهما كان شأنه إلا بعد التشاور والتحاور بين الجميع.

فإذا ما تكررت مثل هذه الأمور، وطورت، ينشأ الأولاد وقد تشربوا هذا المبدأ العظيم، وتصبح المشورة ملجأهم الآمن وحصنهم الحصين الذي يلجؤون إليه، كلما حزبهم أمر، واعترضهم عارض مهم.

www.mtenback.com

مهمة المؤسسات التعليمية:

أما المدارس والمعاهد العلمية على مختلف مستوياتها، فدورها أعظم، ومسؤوليتها أخطر، فهي تتحمل العبء الأكبر في بث روح المشورة بين الأجيال، وتنشئتهم على حبّها وتمثلها، واتخاذها منهجًا وسلوكًا في الحياة، ويكون ذلك من المناهج المدرسية، بحيث تتضمن مفرداتها التركيز على إبراز أهمية المشورة في حياة الفرد والمجتمع، وتجسيم الخطر الحاصل من تعطيل هذا المبدأ، وسيادة الاستبداد والانفراد بالرأي، وما يعقب ذلك من فساد وهلاك للجميع.

ويستحسن أن توظف الأقوال والآراء التي قيلت في المشورة، توظيفًا يظهر فضلها، ويكشف عن فوائدها، وخاصة الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث الشريفة، والقصص والروايات التي تدعو إلى المشورة وتظهر منافعها، وتنفر من الاستبداد والتفرد بالرأي.

ولنا في سيرة الرسول عليه السلام أسوة حسنة وقدوة رشيدة، فخليق بنا أن نتمثل سيرته العطرة مع إبراز واضح لجانب المشورة في مناهجنا الدراسية، فتبرز هذه الجوانب المضيئة، لتكون المشورة سلوكاً ومنهجاً. ففي معركة أحد استشار الرسول عليه السلام أصحابه، فوجد الغالبية العظمى تريد الخروج لملاقاة العدو، بينما كان من رأيه البقاء في المدينة، ومع ذلك نزل عند رأيهم، وكان يعلم خطورة ذلك وما يترتب عليه، لكن حرصه على تطبيق المشورة، وحرصه الأكبر على تربية أصحابه على هذا المبدأ العظيم، وممارسته ممارسة عملية، وتحمل تبعات ذلك مهما كانت خطيرة، كل ذلك جعله يقدم على ما أشاروا عليه به[٢٧٥].

وأهم من ذلك كله أن يطبق مبدأ الشورى تطبيقًا عمليًا في الأنشطة الصفية وغيرها، فيشترك الطلاب في مناقشة القضايا المتعلقة بالنشاطات، وتؤخذ آراؤهم في

---

[٢٧٥] انظر تفصيل ذلك: الطبري: ج٢، ص٥٠٣.

www.mtenback.com

ذلك، كالتخطيط لرحلة علمية مثلاً، فيجمع المشرف على ذلك النشاط الطلاب ليناقشوا الأمور المتعلقة به بكل حرية وصراحة، فيبدي كل واحد وجهة نظره، وتناقش المقترحات بكل احترام، ليتم الوصول إلى الآراء الصحيحة والسليمة، ثم الأخذ بها، فيكون المشرف موجهًا مرشدًا، وقائدًا للنقاش والحوار، وليس مسيطرًا ومنفذًا ما يراه هو فقط، فينشأ الطلبة على هذه الروح وهذه الطريقة في مواجهة القضايا والمشكلات والتغلب عليها.

وليبتعد قدر الإمكان عن فرض الآراء الجاهزة، بحجة أن الحوار والنقاش لا يوصلان إلى نتيجة، ولا أزال أذكر حتى الآن، تلك المقولة التي يرددها بعض المدرسين بل إنّها حفرت في ذاكرتي، وذلك عندما يريد أن يظهر بمظهر الديمقراطي، فيأخذ آراء الطلبة حول موعد رحلة، أو موعد امتحان مثلاً، فإذا سمع أكثر من رأي، انتفض كاللديغ، وقال تلك المقولة المشؤومة: «اتفق العرب على ألا يتفقوا» وبعدها يصدر رأيه الذي لا ينقض، ولا يمكن لأحد أن يحتج عليه.

إن مثل هذه التصرف من قبل بعض المدرسين، يغرس ويؤصل مبدأ الاستبداد والتفرد بالرأي، ويلغي الشورى، وعندئذ يصبح الاستبداد هو الحل للمشكلات، أما الشورى فهي تعني الفوضى، وفي هذا الخَطَرُ كل الخطر، فلابد أن يكون المدرسون واعين بمثل هذه الأمور، وأن يمارسوا المشورة مع طلبتهم ممارسة عملية صحيحة، ويدربوهم على اتخاذ القرارات الصحيحة.

كما أن طرق التدريس، يجب أن تنحو المنحى الذي ينمي الشورى في نفوس الطلاب، وذلك عندما يكون أسلوب المناقشة، هو الأسلوب المتبع في التدريس، يقول أحد المربين الغربيين[٢٧٦]: «تجسد المناقشة الصفات الأساسية للعملية الديمقراطية، فهي

---

[٢٧٦] كينت هوفر، دليل طرائق التدريس، ترجمة أديب يوسف شيش، دمشق، دار السلام للترجمة والنشر، (١٩٨٨م)، ص٦٤.

www.mtenback.com

تقوم على الاعتقاد بأن الأفراد، حين تتوافر لهم معلومات كافية عن قضية ما، قادرون على اتخاذ القرار في المناخ الذي يسمح بتبادل الأفكار والآراء بحرية، إن واجب رئيس جلسة المناقشة، سواء أكان مدرسًا أم طالبًا، تأمين جو مناسب للتفكير الحر والتعبير عن الرأي بلا قيود».

ويقول الطوسي وهو أحد المربين المسلمين القدامى[٢٧٧]: «لابدّ لطالب العلم من المطارحة والمناظرة، فينبغي أن يكون بالإنصاف والتأني والتأمل، فيتحرز عن الشغب والغضب، فإن المناظرة والمذاكرة مشاورة، والمشاورة إنما تكون لاستخراج الصواب، وذلك إنما يحصل بالتأمل والإنصاف، ولا يحصل ذلك بالغضب والشغب والمشقة».

وبهذا يتبين لنا دور المؤسسات التعليمية في ترسيخ مبدأ الشورى، وإنشاء جيل يؤمن بها كوسيلة مثلى في مواجهة المشكلات وحلها، وسبيل لمجتمع فاضل تسوده روح المحبة والتعاون، والتضامن، ويتخلق الجميع بهذا الخلق النبيل، ويتمسكون بهذه القيمة الاجتماعية الكبرى.

المشورة في القضاء:

إن للقضاء أهمية كبرى، في حياة المجتمعات، فإن صلح القضاء صلح المجتمع، وإن فسد فسد المجتمع، ولهذا أولى الإسلام القضاء عناية فائقة، وأعطى القاضي مكانة بارزة، وكان الأئمة والخلفاء يتخيرون القضاة من ذوي العلم والتقى، واشترطوا للقاضي شروطًا منها أن يكون صاحب مشاورة، لا يستبد برأيه، أخرج البيهقي، أن عمر بن عبد العزيز قال[٢٧٨]: «القاضي لا ينبغي أن يكون قاضيًا حتى يكون فيه خمس خصال: عفيف، حليم، عالم بما كان قبله، يستشير ذوي الألباب، لا يبالي بملامة الناس».

---

[٢٧٧] إبراهيم النجار، والبشير الزريبي: الفكر التربوي عند العرب، تونس الدار التونسية للنشر، ص٤٢٢.

[٢٧٨] البيهقي، السنن الكبرى، ج١٠، ص١١٠.

www.mtenback.com

وجاء في أدب القاضي للماوردي[٢٧٩]: «فالقاضي مأمور بالمشاورة في أحكامه، وقضاياه».

والقضايا التي يجب على القاضي أن يشاور فيها هي المسائل الخلافية، والقضايا الاجتهادية، ليتنبه القاضي بالمذاكرة والمناظرة والمشاورة، إلى ما يمكن أن يكون قد خفي عليه، فبالمشاورة يستوضح الطريق، وتنار له السبل، فيقضي وهو على بصيرة من الأمر، أما الأمور التي انعقد عليها الإجماع، وحصل فيها الاتفاق، فلا حاجة للمشاورة فيها.

جاء في كتاب شرح أدب القاضي[٢٨٠]: «وإذا ورد على القاضي حكم من الأحكام نظر في ذلك: فإن كان مما قد نزل به الكتاب، أو جاءت به السنة، فلا حاجة إلى المشاورة، وإن كان شيئًا لم يأت في كتاب الله تعالى، ولا في السنة، احتاج فيه إلى مشاورة أهل العلم، فينبغي ألا يعجل في ذلك بحكم، حتى يشاور من يثق برأيه وعلمه ودينه، فإذا اتفقوا على ذلك أمضاه».

وعلى القاضي أن يكثر من المشاورة في القضية الواحدة، ولا يكتفي بمشاورة شخص واحد، بل عليه أن يستشير عددًا ممن يتوسم فيهم الفهم والمعرفة ورجاحة العقل ونور البصيرة، وذلك من أجل أن يتبين له وجه الصواب، قال الماوردي[٢٨١]: «ولا يعوّل القاضي على مشاورة الواحد، حتى يجمع بين عدد ينكشف بمشاورتهم ما غمض، ويتوصل بها إلى ما خفي، ولا يقلدهم، وإن كانوا عددًا حتى يصل إلى علم الحادثة بما يقتضيه الدليل، ويوجبه التعليل».

---

[٢٧٩] الماوردي: أدب القاضي، ص٢٦٠.

[٢٨٠] الصدر الشهيد، شرح أدب القاضي للخصاف، تحقيق: محيي الدين هلال السرحان، بغداد، مطبعة الرشاد، (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)، ص٣٧١.

[٢٨١] الماوردي: أدب القاضي، ص٢٦٧.

www.mtenback.com

وهذا لا يعني أن القاضي يحكم ويقضي بما يشار عليه، فيكون مقلداً لمستشاريه، وليس له رأي مستقل، بل الغاية من ذلك هي مناظرة العلماء والمختصين، ليكشف عن الخفايا والأمور المتشابهة ثم يقضي بما يؤديه فهمه واجتهاده. فالمشاورة هنا لاستخراج الأدلة، ومعرفة الحق بالاجتهاد، وليس من أجل التقليد.

ويوضح الماوردي الهدف من مشاورة القاضي، فيقول[٢٨٢]: «لم يؤمر بالمشاورة للتقليد وإنما أمر بها لأمرين: أحدهما: ليتوصل بها إلى معرفة ما لم يصل إليه من الأدلة، وربما خفيت عليه سنة علم بها المستشار، و لم يعلم بها المستشير. والثاني: ليستوضح بمناظرتهم طرق الاجتهاد، والتوصل إلى غوامض المعاني، فإن باجتماع الخواطر في المناظرة يكمل الاستيضاح والكشف، فلذلك كان مأموراً بها».

ويستحسن من القاضي أن يكون معه في مجلس القضاء من يستشيره، ويأخذ برأيه فيما يشكل عليه، قال ابن قدامة[٢٨٣]: «لما ولي سعد بن إبراهيم قضاء المدينة، كان يجلس بين القاسم وسالم يشاورهما. وولي محارب بن دثار قضاء الكوفة، فكان يجلس بين الحكم وحماد يشاورها» ثم عقب على ذلك فقال[٢٨٤]: وما أحسن هذا لو كان الحكام يفعلونه، يشاورون وينتظرون، ولأنه يتنبه بالمشاورة، ويتذكر ما نسيه بالمذاكرة، ولأن الإحاطة بجميع العلوم متعذرة، وقد ينتبه لإصابة الحق، ومعرفة الحادثة من هو دون القاضي، فكيف بمن يساويه، أو يزيد عليه».

ولهذا قال السرخسي[٢٨٥]: «إن القاضي وإن كان عالمًا ينبغي له ألاَّ يدع مشاورة العلماء».

---

[٢٨٢] السابق ص٢٦٨.

[٢٨٣] موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة: المغني ومعه الشرح الكبير لشمس الدين محمد بن أحمد بن قدامة، بيروت، دار الفكر، (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ج١١، ص٣٩٧.

[٢٨٤] ابن قدامة، المغني، ج١١، ص٣٩٧.

[٢٨٥] السرخسي، المبسوط، ج١٦، ص٧١.

www.mtenback.com

والشيء الذي يجب أن يتنبه له، أنه لا يجوز أن يشاور القاضي مستشاريه بمحضر من الخصوم، وذلك لسببين أولهما: كي لا يعلم الخصمان ما يدور بين القاضي ومستشاريه، فلربما استغل ذلك أحد الخصمين فزين حجته، ولبس على القاضي بذلك. والثاني: لئلا يحتقر الجهال القاضي ظنًا منهم، أنه لا يعرف شيئًا ولذا فهو يشاور من هم أعلم منه، جاء في شرح أدب القاضي[٢٨٦]: «فمتى كانت المشورة بمحضر من الخصمين، فإذا أشار إنسان على القاضي بشيء يقف عليه الخصم اشتغل بالحيلة والتلبيس».

ويقول السرخسي: «ينبغي للقاضي ألاَّ يدع المشاورة، وإن كان فقيهًا، ولكن في غير مجلس القضاء على ما بينا أن الاشتغال بالمشورة في مجلس القضاء ربما يحول بينه وبين فصل القضاء، ويكون سببًا لازدراء بعض الجهال به».

ويستحب للقاضي ألا يتعجل في إصدار الحكم والبت فيه، بل عليه أن يرجئ ذلك من أجل استشارة ذوي الفهم والمعرفة وأصحاب الاختصاصات المختلفة، حتى يتبين له وجه الحق، قال الشعبي[٢٨٧]: «كانت القضية ترفع إلى عمر رضي الله عنه، وربما يتأمل في ذلك شهرًا، ويستشير أصحابه».

فالمشورة في القضاء حصن حصين للقاضي من الظلم والجور، فبالمشورة تتضح الأدلة، وتتكشف الأمور الغامضة الخفية، ويتبلج الحق، فيقضي وهو مطمئن في حكمه وفي مأمن من الندم وتبكيت الضمير.

وبعد هذه الجولة في أرجاء التراث العربي، وما أثمرته الحضارة العربية الإسلامية في مجالات الفكر الاجتماعي تبين لنا أن المشورة خلق عربي أصيل، باركه الإسلام واتخذه سنة متبعة، والمشورة ركن ركين في بناء المجتمع، ودعامة كبرى من دعاماته،

---

[٢٨٦] الصدر الشهيد، شرح أدب القاضي، ص٣٦٥.

[٢٨٧] السرخسي، المبسوط، ج٦، ص٨٤.

www.mtenback.com

فهي ضرورة أساسية من ضرورات الحياة، وسبيل قويم إلى ارتقاء المجتمعات وتطورهـــا. فالتخلي عنها هو نقض للبنة أساسية في صرح المجتمع، وهدم ركيزة هامة فيه، ينـــذر بالانهيار والدمار والخراب.

والتخلق بها، والحرص عليها وممارستها ممارسة عملية بناءة، ســبيل لاســتقرار المجتمع ورقيه، ووسيلة لحياة أفضل، ينعم الجميع في ظلها بحياة العز والكرامة والسعادة، ففي المشورة نجاة في الدنيا، وفلاح في الآخرة.

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

الفهارس

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الآيات القرآنية

السورة	الآيـــة	رقمها	الصفحة
البقرة	﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ... الآية﴾	٢٣٣	٦٦
آل عمران	﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ... الآية﴾	١٥٩	١٠، ١٨
النساء	﴿وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا... الآية﴾	٢٨	١٠
التوبة	﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ... الآية﴾	٧١	٦٥
يوسف	﴿وَقَالَ الْمَلِكُ... الآية﴾	٤٣،٤٤	٤٧
الشعراء	﴿قَالَ لِلْمَلإِ حَوْلَه... الآية﴾	٣٤-٣٦	٧١
الشورى	﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ.... الآية﴾	٣٨	١١، ٢٣

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأحاديث النبوية

الحديث	الصفحة
«إذا استشار أحدكم أخاه...»	٢١
«إذا كان أمراؤكم خياركم....»	١٩
«استرشدوا العاقل....»	٣٢
«استشيروا ذوي العقول....»	٢٤
«إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية....»	٣٠
«الأيمّ أحق بنفسها...»	٦٩
«البكر تستأمر في نفسها....»	٦٨
«الدين النصحية....»	٢١
«لم يهلك امرؤٌ بعد مشورة.....»	١٩
«المؤمن للمؤمن كالبنيان....»	١٢
«ما تشاور قوم قط....»	١٠
«ما خاب من استشار....»	٣٢
«مثل المؤمنين في توادهم...»	٣٤
«المستشار مؤتمن....»	٣٨
«المشورة حصن من الندامة....»	٣١
«من أراد أمراً فشاور....»	١٠
«من استشار أخوه....»	٥٢
«وآمروا النساء....»	٦٩

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأشعار

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـ ب ـ		
يمضي	عواقبها	إبراهيم بن العباس	٢	٤٨
وإني لمحتاج	كواكبه	البستي	٢	٥١
وقد يحكم	لبيب	الفضل بن العباس	١	٥٥
ألمعي	المغيب	ابن الرومي	١	٤٨
إذا دهى	وتسريبه	البستي	١	٤٩
فما كلُّ	بلبيب	أبو الأسود الدؤلي	٢	٥٣
ألم تر	التجارب	ـ	١	٦٠
		ـ ت ـ		
شاور	المشورات	القاضي الأرجاني	٢	١٧
ما استقامت	قناتي	البستي	١	٥٩
		ـ ح ـ		
إذا الأمر	فسيحا	ـ	٣	٢٥
ولا مشير	منتصحا	صالح عبد القدوس	١	٥٣
نار	تلويح	ابن الرومي	٢	٣٩
		ـ د ـ		
إذا كنت	ترددا	ـ	١	٤٢
إذا نصحت	أبدا	ـ	٢	٧٣
إذا كنت	مفسدا	ـ	٢	٧٥
وقد يكره	مراشده	ـ	١	٧٥

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
أمرتهم	الغد	دريد بن الصمة	٣	٧٢
عليكم	العهد	—	٢	٦٢
— ر —				
إن اللبيب	ومشاورا	—	٢	١٦
وعاجز	القدرا	—	١	٣١
استخبر	الخبر	—	٢	٢٥
ذكر	تقصير	البستي	٢	٢٩
وأنفع	تشاور	—	٢	٥٤
وقد يتغابى	عمرو	—	١	٦٤
ومولى	قصير	—	٣	٧٠
وما يعلم	دوابره	القطامي	١	٧٦
— ش —				
تنخلت	هش	التوزي	٢	٧٢
— ص —				
وإن باب	ولا تعصه	طرفة بن العبد	١	١٣
وإن ناصح	ولا تعصه	طرفة بن العبد	١	١٤
وكم من	شخصه	طرفة بن العبد	٢	٦٤
— ض —				
تأنّ	مستغمض	—	٢	١٦
— ع —				
الألمعي	سمعا	أوس بن حجر	١	٤٨

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
وخير	اتباعا	القطامي	١	٤٣
رحلت	الجوامع	أوس بن حجر	١	١٣
ـــ ق ـــ				
ومن الرجال	فيطرق	صالح عبد القدوس	٣	٤٩
دعوا	الدقيق	ابن هرمة	١	٣٨
ـــ ل ـــ				
وإن قال	مزيلا	أوس بن حجر	١	١٣
إذا طال	عقلا	ـــ	١	٦٠
وقد يدرك	الزلل	القطامي	١	٣٩
وربما	عجلوا	ـــ	١	٤٣
شاور	متفضل	ـــ	٢	٢٧
لا تحفر	الحلل	البستي	٢	٦٤
إذا ما أمور	قوله	ـــ	١	٧٠
لئن فقدوا	الليالي	ـــ	٢	٦٠
ـــ م ـــ				
أمرتك	نادما	فيروز بن حصين	٣	٣٣
إذا بلغ	حازم	بشار بن برد	٢	٥٣
ـــ ن ـــ				
خليلي	تريان	ـــ	٢	١٧
الرأي	الثاني	المتنبي	١	٤٩

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
ـــ هـــ ـــ				
إذا ما المجلى	يشتبه	البستي	١	٧٤
المستشار	ما فيها	–	٢	٥٠
ـــ ي ـــ				
وإن امرأ	غاويا	ـــ	١	٣٠

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأمثال

المثـــل	الصفحة
«خذ الأمر مقبلاً، فشرّ الرأي الدَّبَرِي»	٤٣

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

المصادر والمراجع

الأبشيهي، شهاب الدين أحمد:

المستطرف في كل فن مستظرف، إشراف المكتب العالمي للبحوث، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٨٧.

ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد:

جامع الأصول، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، دمشق مكتبة الحلوان، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان، ١٣٨٩/١٩٦٩.

ابن الأثير، علي بن أبي المكارم:

الكامل في التاريخ: بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٨٥/١٩٦٥.

الأرجاني، أبو بكر أحمد بن محمد الحسين:

ديوان الأرجاني، تحقيق محمد قاسم مصطفى، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٧٩.

ابن الأزرق، محمد بن الأزرق الأندلسي:

بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق محمد بن عبد الكريم، ليبيا، تونس: الدار العربية للكتاب.

أبو الأسود، ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي:

ديوان أبي الأسود، تحقيق محمد حسن آل ياسين، بيروت، دار الكتاب الجديد، ١٩٧٤.

الأصفهاني، الراغب الأصفهاني:

مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دمشق، دار القلم، ١٤١٢/١٩٩٢.

www.mtenback.com

الأصمعي، عبد الملك بن قريب:

الأصمعيات، تحقيق أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، القاهرة، دار المعارف، ط٣.

الألوسي، محمود الألوسي البغدادي:

روح المعاني، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥/١٩٨٥.

أوس بن حجر:

ديوان أوس بن حجر، تحقيق محمد يوسف نجم، بيروت، دار صادر، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٨٠/١٩٦٠.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل:

صحيح البخاري: القاهرة، دار مطابع الشعب.

البستي، أبو حاتم محمد بن حبّان:

روضة العقلاء ونزهة الفضلاء: تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ورفيقيه، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٦٨/١٩٤٩.

البستي، أبو الفتح، علي بن محمد بن الحسين:

ديوان البستي، تحقيق درية الخطيب، ولطفي الصقال، دمشق مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤١٠/١٩٨٩.

بشار بن برد:

ديوان بشار: نشره محمد الطاهر بن عاشور، مراجعة محمد شوقي أمين، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٨٦/١٩٦٦.

البصري، صدر الدين، علي بن الحسن:

الحماسة البصرية: تحقيق مختار الدين، أحمد، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٣/١٩٨٣.

www.mtenback.com

البيهقي، إبراهيم بن محمد:

المحاسن والمساوئ: بيروت، دار بيروت، للطباعة والنشر، ١٣٩٩/١٩٧٩.

البيهقي، أحمد بن الحسين:

السنن الكبرى: بيروت، دار المعرفة.

الترمذي، محمد بن عيسى:

صحيح الترمذي: بشرح الإمام بن العربي المالكي، بيروت، دار الكتاب العربي.

التميمي، عز الدين:

الشورى بين الأصالة والمعاصرة: عمان، دار البشير، ١٤٠٥/١٩٨٥.

التوحيدي، علي بن محمد بن علي بن العباس، أبو حيان التوحيدي:

البصائر والذخائر: تحقيق أحمد أمين، والسيد أحمد صقر، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٧٣/١٣٩٥٣.

الثعالبي، أبو منصور، عبد الملك بن محمد

- تحفة الوزارة، تحقيق حبيب علي الراوي، وابتسام مرهون الصفار، بغداد، مطبعة العاني، ١٩٧٧.

- التمثيل والمحاضرة، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨١/١٩٦١.

- اللطائف والظرائف، بيروت، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٢/١٩٩٢.

الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر:

البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، مؤسسة الخانجي.

www.mtenback.com

ابن الجوزي، أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي:

- زاد المسير في علم التفسير: بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٧/١٩٨٧.
- مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: تحقيق زينب إبراهيم القاروط، بيروت، دار مكتبة الهلال.

ابن حجر، أحمد بن حجر الهيثمي المكي:

الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، تقديم عبد الوهاب عبد اللطيف، القاهرة، مكتبة القاهرة، ١٣٨٥/١٩٦٥.

أبو حيان، محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي:

البحر المحيط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١١/١٩٩٠.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد:

العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر، تاريخ ابن خلدون، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٦٦م.

الرازي، فخر الدين، محمد بن عمر الرازي:

تفسير الفخر الرازي، بيروت دار الفكر.

ابن الرومي، علي بن العباس

ديوان ابن الرومي: تحقيق حسين نصار القاهرة، دار الكتب ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

الزبيدي، محمد بن محمد المرتضى

تاج العروس: الكويت، مطبعة حكومة الكويت.

الزمخشري، جار الله محمود بن عمر:

- أساس البلاغة: بيروت، دار الطباعة والنشر، ١٤٠٤/١٩٨٤.

www.mtenback.com

- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار: تحقيق سليم النعيمي، بغداد، مطبعة العاني، ١٤٠٠/١٩٨٠.

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل: صححه محمد عبد السلام شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥/١٩٩٥.

الزوزني، أبو محمد عبد الله العبدلكاني:

حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء، تحقيق محمد جبار المعيبد، بغداد، منشورات وزارة الإعلام، العراقية، ١٩٧٣.

السرخسي، شمس الدين:

المبسوط: تصنيف الشيخ خليل الميس، بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٦/١٩٨٦.

السعدي، عبد الرحمن ناصر:

الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة: القاهرة، مطبعة الإمام، جامع الإسماعيلي.

السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد:

تفسير السمرقندي، المسمى بحر العلوم: تحقيق علي محمد عوض وآخرين، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٣/١٩٩٣.

السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله

الروض الأنف: قدم له طه عبد الرؤوف سعيد، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية.

السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر:

الجامع الصغير: نشر عبد الحميد أحمد حنفي، مصر.

www.mtenback.com

الشافعي، محمد بن إدريس

الأم: طبع بعناية أحمد بدر الدين حسون، دمشق، دار قتيبة، ١٤١٦/١٩٩٦.

الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسين:

نهج البلاغة: شرح الشيخ محمد عبده، بيروت، مكتبة الأندلس.

الشيزري، عبد الرحمن بن عبد الله بن مضر:

المنهج المسلوك في سياسة الملوك: تحقيق علي عبد الله الموسى، الأردن، الزرقاء، مكتبة المنار، ١٤٠٧/١٩٨٧.

الصدر الشهيد:

شرح أدب القاضي للخصاف: تحقيق محيي الدين هلال السرحان، بغداد، مطبعة الرشاد، ١٣٩٧/١٩٧٧.

الطبرسي، الفضل بن الحسن:

مجمع البيان في تفسير القرآن: إيران، شركة المعارف الإسلامية.

الطبري، محمد بن جرير:

تاريخ الرسل والملوك: تحقيق محمد أبو الفضل، إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٤، وطبعة مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ١٤٠٥/١٩٨٥.

جامع البيان عن تأويل القرآن: تحقيق محمود شاكر، وأحمد محمد شاكر، القاهرة، دار المعارف، ط٢.

الطرطوشي، أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد:

سراج الملوك: القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، ١٤١٢هـ.

www.mtenback.com

طرفة بن العبد:

ديوان طرفة: بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٩٩/١٩٧٩.

الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا:

الفخري في الآداب السلطانية: بيروت، دار صادر، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٨٠/١٩٦٠.

ابن عبد ربه، أحمد بن عبد ربه الأندلسي:

العقد الفريد: شرح أحمد أمين ورفيقيه، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٦٧/١٩٤٨.

العبيدي، محمد بن عبد الرحمن بن عبد المجيد:

التذكرة السعدية في الأشعار العربية: تحقيق عبد الله الجبوري، النجف الأشرف، مطابع النعمان، ١٣٩١/١٩٧٢.

ابن العربي، أبو بكر محمد:

أحكام القرآن: تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة، مطبعة عيسى الحلبي، وشركاه.

العسكري، أبو هلال، الحسن بن عبد بن سهل:

جمهرة الأمثال: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، وعبد المجيد قطامش، بيروت، دار الجيل، ١٤٠٨/١٩٨٨.

العقاد، عباس محمود العقاد:

الديمقراطية في الإسلام: القاهرة، دار المعارف ط٣.

علي، جواد علي:

المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: بيروت، دار العلم للملايين، بغداد، مكتبة النهضة، ١٩٧٠م.

www.mtenback.com

ابن فارس، أحمد بن فارس:

مقاييس اللغة: تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٦٨هـ.

أبو فارس، محمد أبو فارس:

ارتباط الشورى بالفتوى وقضايا الاجتهاد: الشورى في الإسلام، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، عمان ١٩٨٩م.

الفيروز أبادي، مجد الدين، محمد بن يعقوب:

القاموس المحيط: بيروت، مؤسسة الرسالة.

القالي، أبو علي، إسماعيل بن القاسم:

الأمالي، بيروت، دار الكتب العلمية.

ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري:

عيون الأخبار: القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣.

ابن قدامة، موفق الدين عبد الله بن أحمد، وشمس الدين محمد بن أحمد:

المغني ومعه الشرح الكبير: بيروت، دار الفكر، ١٤٠٤/١٩٨٤.

القرطبي: محمد بن أحمد:

الجامع لأحكام القرآن: بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥/١٩٨٥.

القرطبي، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري:

بهجة المجالس وأنس المجالس: تحقيق محمد مرسي الخولي، بيروت، دار الكتب العلمية.

القطامي، عمير بن شييم بن عمرو التغلبي:

ديوان القطامي: تحقيق إبراهيم السامرائي، وأحمد مطلوب، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٠م.

www.mtenback.com

قطب، سيد قطب:

- تفسير سورة الشورى: بيروت، القاهرة، دار الشروق، ١٤٠٣/١٩٨٣.

- في ظلال القرآن: القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البـــابي وشركاه.

القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد:

صبح الأعشى في صناعة الإنشا: القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية، العامة للنشر والطباعة.

القيرواني، إبراهيم بن علي الحصري:

زهر الآداب وثمر الألباب: تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٧٢/١٩٥٣.

ابن القيم، أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر:

إعلام الموقعين: راجعه عبد الرؤوف سعد، بيروت، دار الجيل، ١٩٧٧.

ابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر:

- البداية والنهاية: بيروت، مكتبة المعارف.

- تفسير القرآن الكريم: بيروت، دار الأندلس.

كينت هوفر:

دليل طرائق التدريس: ترجمة أديب يوسف شيش، دمشق، دار الســـلام للترجمة والنشر، ١٩٨٨.

مؤلف مجهول:

مجموعة المعاني، تحقيق عبد المعين الملوحي، دمشق، دار طلاس، ١٩٨٨.

www.mtenback.com

ابن ماجة، أبو عبد الله، محمد بن يزيد القزويني:

سنن ابن ماجة: تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٧٢/١٩٥٢.

الماوردي، أبو الحسن، علي بن محمد بن حبيب البصري:

- أدب الدنيا والدين: تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤١٥/١٩٩٥.

- أدب القاضي: تحقيق محيي الدين هلال سرحان، بغداد، مطبعة الإرشاد، ١٣٩١/١٩٧١.

المبرد، أبو العباس، محمد بن يزيد:

الكامل في اللغة والأدب: تحقيق محمد أحمد الدالي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦/١٩٨٦.

المتنبي، أبو الطيب، أحمد بن الحسين:

ديوان المتنبي بشرح العكبري: تحقيق مصطفى السقا ورفيقيه، بيروت، دار المعرفة، ١٣٩٧هـ/١٩٧٨م.

مجمع اللغة العربية:

المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

المراغي، أبو الوفا مصطفى المراغي:

اللباب في شرح الشهاب: القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٣٩٠/١٩٧٠.

المرزوقي، أحمد بن محمد بن الحسن:

شرح ديوان الحماسة: نشر أحمد أمين وعبد السلام هارون، بيروت، دار الجيل، ١٤١٠/١٩٩١.

www.mtenback.com

ابن المقفع، عبد الله بن المقفع:

الأدب الصغير والأدب الكبير: بيروت، دار صادر، ١٤٠٩/١٩٨٩.

ابن منظور، محمد بن مكرم، الأنصاري:

لسان العرب: بيروت، دار صادر.

النجار، إبراهيم النجار والبشير الزريبي:

الفكر التربوي عند العرب: تونس، الدار التونسية.

النصيبي، محمد بن طلحة القرشي:

العقد الفريد للملك السعيد، القاهرة، مطبعة الوطن، ١٣١١هـ.

النووي، الإمام أبو زكريا محيي الدين النووي:

رياض الصالحين، تحقيق: جماعة من العلماء، بيروت، دمشق، عمان، المكتب الإسلامي، ١٤١٢/١٩٩٢.

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب:

نهاية الأرب في فنون الأدب: القاهرة، نسخة مصورة، عن مطبعة دار الكتب.

وكيع، أبو بكر محمد بن خلف بن حيان:

أخبار القضاة: علق عليه عبد العزيز مصطفى المراغي، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٦٦/١٩٤٧.

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com